

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية اللغة العربية بالرياض

قسم النحو والصرف وفقه اللغة

الفكر النحوي عند ابن الدهان

(ت ٥٦٩هـ)

مع تحقيق كتابه

«الغرة في شرح اللمع»

من أول باب (إن وأخواتها) إلى آخر باب (العطف)

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في النحو والصرف

إعداد الطالب

فريد بن عبد العزيز الزامل السليم

إشراف

أ.د. تركي بن سهو العتيبي

العام الجامعي ١٤٣٠ - ١٤٣١هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد:

فلم يزل الباحثون يؤدون شيئاً من حقِّ تراثهم العلمي الذي خلّفه أسلافهم العلماء، يحققون، ويدرسون، وينشرون، كي يظهر ما وصلوا إليه من نضج فكري، وثراء معرفي، في ميادين العلم كافة، وخاصةً ما كان متعلقاً بكتاب الله تعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

ولقد كانت علوم العربية، وخاصة النحو والصرف، مرآة كشفت عن علم دقيق، وفكر رصين، ونمط أصيل من البحث، حتى ظنَّ بعض الناس أنَّ شعاعه مقتبس من أمم أخرى، فشكُّوا في أصالة هذا الفكر، وراحوا يتصيّدون الأدلة، ويتكلّفونها، انبهاراً بهذا المقدار العالي الذي وصله، في وقت مبكر من عمره.

وإنَّ من القيام على التراث وخدمته، العناية برموزه وأربابه، الذين حملوا لواء العلم، وأدّوه إلى من بعدهم، فاجتهدوا في أدائه، بالتأليف والتدريس، واجتهدوا في تطويره، من خلال ما أضافوه من دقائق العلم، ونتائج الفكر.

وقد كانت هذه المعاني حاضرة في ذهني لما أردت أن أسجل موضوعاً لنيل درجة الدكتوراه في النحو والصرف، فبقيت زمناً أبحث وأستشير، وكان د. عبد الرحمن العثيمين -حفظه الله- الله قد حدّثني في زمن سابق عن شروعه في تحقيق كتاب الغرة لابن الدهان، إلّا أنه وقف عن إكماله من زمن، لانشغاله في شؤون علمية أخرى، فلما راجعته في اختيار موضوع للدكتوراه، أشار علي بأن أسجل جزءاً من الغرة، بعد الجزء الذي وقف عنده، ولا أملك من مكافأته على ذلك إلّا الدعاء له، فجزاه الله خيراً. ثمّ إني استشرت د. تركي العتيبي -حفظه الله- في هذا، فوافق على ذلك، ثم استقرَّ الأمر بعد زمن، على أن تكون الدراسة عن فكر ابن الدهان النحوي مع تحقيق جزء من كتابه الغرة.

ولهذا الكتاب أهمية ظاهرة، فمؤلفه من أعلام نحوي عصره، وعصره عصر مزدهر

بالعلم، فإنه وإن كان النحو قد استقرت أصوله في القرن الرابع، إلا أن ما بعده من القرون، كان الاجتهاد فيها هو سبيل التميز عند النحويين، وميدان المسابقة، بقيت الحالة هذه، حتى جاءت عصور النقل والتلخيص والتحشية، التي قلَّ فيها التميُّز.

ثم إن الكتاب غزير المادة، معنيٌّ باستقصاء آراء النحويين ومذاهبهم، وهو مصدر لكثير من الكتب التي جاءت بعده، مما هو متداولة بيننا، وله أهمية بالغة في نظر الدارسين المعاصرين، كالتذليل والتكميل، ومختصره: ارتشاف الضرب، لأبي حيان، وغيرهما من الكتب.

ويمكن أن ألخص أهدافي في هذا الموضوع بهدفين رئيسين:

١- إبراز الجوانب المعرفية التي كان نحو ابن الدهان أثراً لها، والكشف عن ذلك الأثر ومظاهره وهو ما يعبر عنه بالفكر النحوي.

٢- نشر هذا الكتاب النفيس (الغرة) بعد خدمته، بالدراسة والضبط والتعليق والفهرسة.

ولقد سُبِّقتُ بدراسات متعددة لهذا الكتاب ومؤلفه، وهي كما يلي:

١- رسالة د. إبراهيم الأدكاوي، التي هي بعنوان (آراء ابن الدهان النحوي، مع تحقيق الأبواب الستة الأخيرة التي أضافها إلى شرح اللمع).

٢- رسالة د. علاء محمد رأفت، التي هي بعنوان (جهود ابن الدهان وأثره في الدراسات النحوية والصرفية).

٣- ما شرع فيه د. عبد الرحمن العثيمين من تحقيق الجزء الأول.

٤- رسائل ماجستير لطلاب د. الأدكاوي، في جامعة المنوفية في مصر، لعدد من الأبواب، تبدأ من باب النكرة والمعرفة إلى آخر الكتاب.

فأمَّا الرسالتان الأوليان، فإنهما لم تُفردا للفكر، ولم يكن الجزء الأول من الغرة داخلاً في بحثهما، كما صرح بذلك د. الأدكاوي، في رسالته، وكذلك د. علاء، فقد أخبرني من خلال اتصال به أنه لم يعثر على الجزء الأول عند بحثه.

وأما الجزء الذي حُقِّق، فقد راعيته، فاخترت هذا الجزء المحدد: من أول باب (إن) وأحواتها إلى آخر باب (العطف)، وذلك أن د. عبد الرحمن العثيمين قد شرع في تحقيق الجزء الأول منه، فكان المقترح أن تكون بدايتي من حيث انتهاؤه، أما النهاية، فقد علمت أن

الدكتور الأدكاوي - رحمه الله - قد قسم الأبواب الأخيرة على بعض طلاب الماجستير، وأن ذلك التقسيم يبدأ من باب النكرة والمعرفة، فوقفت قبيله.

وقد قسمت العمل قسمين:

الأول: الفكر النحوي عند ابن الدهان، وفيه تمهيد وتسعة فصول:

فأما التمهيد، فتحدثت فيه حديثاً مختصراً جداً عن ابن جني، وركزت على المواضع التي اختلف حولها الدارسون، لكثرة ما كتب عنه، ورغبتني عن التكرار، وتحدثت في التمهيد أيضاً عن متن اللمع، وترجمت لابن الدهان.

أما الفصل الأول فكان عن منهج ابن الدهان، وفيه من المباحث: طريقته في شرح اللمع، وشرح شواهد، وأمثله، والاستدراك عليه، وما تميز به منهجه من الاستقصاء. والفصل الثاني في مصادر ابن الدهان، تحدثت فيه عن نقل عنهم من العلماء، ومن الكتب، كتب النحو، وكتب معاني القرآن وإعرابه، وكتب اللغة.

والفصل الثالث في الخلاف النحوي عند ابن الدهان وموقفه منه، تحدثت مباحثه عن عنايته بالخلاف، وموقفه من البصريين، والكوفيين، وموقفه من ابن جني، صاحب المتن. والفصل الرابع في أثر المعنى الشرعي في الخلاف النحوي عند ابن الدهان، تحدثت مباحثه عن الدلالة التركيبية، والدلالة الشرعية، وأقوال الفقهاء.

والفصل الخامس في شخصية ابن الدهان النحوية، تحدثت مباحثه عن مناقشاته، ونقده واعتراضاته، وآرائه واختياراته.

والفصل السادس في الأصول النحوية عند ابن الدهان، تحدثت فيه عن السماع والقياس. والفصل السابع في التعليل عند ابن الدهان، وتحدثت مباحثه عن: العلل التعليمية والقياسية، وأنواعها، وعن الجدل واستخدام المنطق في التعليل. والفصل الثامن في العوامل النحوية عند ابن الدهان، تحدثت مباحثه عن العوامل اللفظية، والعوامل المعنوية، وتقدير العامل، وتعدد المعمولات.

والفصل التاسع في قيمة كتاب (الغرة)، فتحدثت مباحثه عن مزاياه، والمآخذ عليه، وأثره فيمن بعده.

وذيلت الدراسة بخاتمة أودعتها أهم النتائج.

أما القسم الثاني: فهو تحقيق الغرة من أول باب (إن) وأخواتها إلى آخر باب العطف،

وقد قدمت التحقيق بإثبات نسبة الكتاب، وبوصف النسخ الخطية.
وذيلت العمل بالفهارس الفنية.

ولقد جرت عادة الباحثين أن يذكروا في مقدمات بحوثهم ما واجههم من صعوبات،
ويشكروا من ساعدتهم في إنجاز عملهم.
فأما الصعوبات، فإني أحمد الله تعالى على جزيل ما أنعم، ولم أجد من فضله إلا ما يوجب
الشكر، وإن كان ثم شيء فأسأل الله أن يجعل عاقبته حميدة، وأن يعوّض عن وطأته بخيري
الدنيا والآخرة.

وأما الشكر، فالشكر لله تعالى أولاً وآخراً، ثم إني أشكر المشرف على هذه الرسالة، د.
تركي بن سهو العتيبي، فقد زاد فضله على ما يجود به أكرم المشرفين على تلاميذهم، قرأ
الرسالة حرفاً حرفاً، ولم يترك نقصاً إلا أشار بإكماله، ولا خللاً إلا بين السبيل إلى تسديده،
أعطاني من وقته وجهده، حتى وقت إجازته وراحته، واستفدت من منهجه وعلمه، لم يأخذ
حزمه من علو خلقه، ولا خلقه عن أداء واجبه، فجزاه الله خير الجزاء.
وأسأل الله سبحانه وتعالى، أن يرزقنا جميعاً الإخلاص في القول والعمل، وأن يتقبل منا
الصالحات، ويعفو عن الزلات، إنه سميع مجيب.

كتبه

فريد بن عبد العزيز الزامل السليم

عنيزة ١٨ المحرم ١٤٣١هـ

التمهيد

أ- ابن جني ومؤلفاته.

ب- كتاب اللمع.

ج- ابن الدهان ومؤلفاته.

أ- ابن جني ومؤلفاته:

الدراسات التي تعرضت لابن جني بالترجمة كثيرة جداً، وقد أفرد برسائل خاصة، فجعلت هذه الترجمة مقتضبة جداً، وحاولت أن أذكر فيها ما اختلف حوله المترجمون، أو ما كان فيه إضافة على ما ذكروه.

اسمه ونسبه:

هو عثمان بن جني الموصللي. لم أقف على غير هذا في اسمه. كان أبوه مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصللي، ولذا ابن جني قد يلقب بالأزدي ولاء^(١).

و(جني) معرب كني، بجيم مكسورة، ونون مشددة مكسورة، وياء ساكنة، وليست مشددة على صورة المنسوب. قيل معناه: كريم نبيل، جيد التفكير، مخلص عبقرى، وروي عنه: أن معنى اسمه أبيه (فاضل) بالرومية^(٢). ويكنى أبا الفتح.

ولم يزد المترجمون له على ذكر أبيه، وأنه رومي، وفي ذلك يقول:

فإن أصبح بلا نسب	فعلمي في الورى نسبي
على أنني أول إلى	فروم سادة نجب
قياصرة إذا نطقوا	أرم الدهر ذو الخطب
أولاك دعا النبي لهم	كفى شرفاً دعاء نبي ^(٣)

نشأته:

لم أقف في ترجمة ابن جني على تاريخ دقيق لولادته، وإنما اختلف فيها على أقوال:

١- أنها كانت قبل ٣٣٠هـ، وعلى هذا أكثر المترجمين^(٤).

٢- أنها كانت سنة ٣٠٢هـ^(٥).

(١) انظر: تاريخ بغداد ٢٠٥/١٣.

(٢) انظر: الأنساب للسمعاني ٣/٣٢٨، ومقدمة الخصائص ٨.

(٣) انظر: تاريخ بغداد ٢٠٥/١٣، ومعجم الأدباء ٤/١٥٨٦، ووفيات الأعيان ٣/٢٤٦.

(٤) انظر: معجم الأدباء ٤/١٥٨٥، ووفيات الأعيان ٣/٢٤٨.

(٥) انظر: المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ١/٢٤١.

٣- أنها كانت قبل الثلاثمائة^(١).

٤- أنها كانت سنة ٣٢٠^(٢).

وهذا القول الأخير، هو الذي ارتضاه الذين ترجموا لابن جني من المعاصرين، وذلك من خلال تتبع بعض الأحداث التي ثبت أن ابن جني حضرها، أو كان طرفاً فيها، فقد حددها برجشتراسر بهذه السنة^(٣)، وقرّر د. فاضل السامرائي ود. فائز فارس أنها في حدود تلك السنة^(٤)، وذهب د. حسين شرف إلى أنها سنة ٣٢٢، أو ٣٢١ هـ^(٥).

وكانت ولادته في الموصل، وفيها نشأ^(٦).

وقد أخذ في الموصل عن أحمد بن محمد الموصلي الشافعي^(٧).

ويقال إنه تصدّر للتدريس في الموصل، ومروّ أبو عليّ الفارسي بالموصل، فحضر حلقة، ثم سأله في التصريف، فقصر في الإجابة، فقال له: زبّيت وأنت حصرم. فلازم أبا عليّ أربعين سنة حتى وفاة أبي علي^(٨).

صفاته الخلقية:

وذكروا من صفاته الخلقية أنه كان أشقر، في صورته بعض التركية^(٩).

وكان إذا تكلم يميل شفته، ويحرك يده.

وكان ممتعاً بإحدى عينيه، ولذا قال في شعر له:

فَقَدْ -وَحْيَاتِكَ- مَّأْ بَكَيْتُ -حَشِيتُ عَلَى عَيْنِي الْوَاحِدَةَ^(١٠)

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢/٢٤٤.

(٢) انظر: مقدمة اللمع د. حسين شرف ٦، وابن جني النحوي ٤٠.

(٣) انظر: مقدمة المقتضب لابن جني ١٠، عن مقدمة اللمع د. حسين شرف ٦.

(٤) انظر: ابن جني النحوي ٤٣، ومقدمة اللمع د. فائز فارس هـ.

(٥) انظر: مقدمة اللمع ٦.

(٦) انظر: معجم الأدباء ٤/١٥٨٦، ووفيات الأعيان ٣/٢٤٦، وبغية الوعاة ٢/١٣٢، ومقدمة الخصائص ١٠.

(٧) انظر: بغية الوعاة ٢/١٣٢.

(٨) انظر: معجم الأدباء ٤/١٥٨٩.

(٩) فهرسة ابن خير الأشبيلي ٣١٨، وابن جني النحوي ٢٥.

(١٠) انظر: معجم الأدباء ٤/١٥٨٦، ومقدمة الخصائص ١١-١٣.

شيوخه:

ذكرت في نشأته أخذه عن أبي العباس أحمد بن محمد الموصلبي^(١). وأما أبرز من أخذ عنهم بعده فهم:

١- أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي (ت ٣٧٧هـ)^(٢).

لازمه ابن جني أربعين سنة، وكان يحله ويثني عليه، وروى عنه في مواضع كثيرة جداً، وقد ذكر المترجمون من خبره معه، ما أشرت إليه آنفاً، من تصدر ابن جني للإقراء في الموصل، وحضور أبي علي حلقته، فكانت تلك الحادثة مبدأ ملازمته له في سفره وحضره. وقد شكك د. محمد أسعد أطلس في هذه القصة^(٣)، وذلك لما وازن بين تاريخ ولادته الذي اختار أنه في حدود ٣٣٠هـ، وقول ابن جني: إن أبا علي أنشده بالموصل سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة^(٤)، فيكون ابن جني في حدود الثانية عشرة من عمره، وهذا سنٌ يبعد أن يرحل فيه لطلب العلم.

وهذا الذي ذكر يمكن أن ينازع فيه، وذلك أن الأقرب للصواب - كما سبق - أن ولادة ابن جني كانت في حدود سنة ٣٢٠هـ، وبذلك يزول الإشكال^(٥). وبهذا أيضاً يزول إشكال آخر، وهو في طول المدة التي قضاها مع شيخه، وذلك أن الروايات تكاد تجمع على أن أبا علي اجتاز الموصل سنة ٣٣٧هـ، ويُعتقد أن ذلك لما أغار معز الدولة البويهية عليها في ذلك التاريخ^(٦)، فيكون ابن جني في ذلك الوقت في حدود السابعة عشرة من عمره، فأحداث القصة - والحالة هذه - موافقة للمعقول. وقد قرأ عليه كتاب سيبويه^(٧)، وكتاب التصريف للمازني^(٨)، وكتاب الإبدال لابن

(١) ترجمته في: بغية الوعاة ٣٨٩/١.

(٢) ترجمته في: تاريخ بغداد ٢١٧/٨، وإنباه الرواة ٢٧٣/١، ووفيات الأعيان ٨٠/٢.

(٣) انظر: مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ٤٤٩/٣٠.

(٤) انظر: الخصائص ٧٤/١.

(٥) انظر: ابن جني النحوي ٤٠-٤١.

(٦) انظر: مقدمة الخصائص ١٨.

(٧) انظر: ابن جني النحوي ٤٤.

(٨) انظر: الخصائص ٣٥٨/١، والمنصف ٦/١.

السكيت^(١)، وكتابي أبي زيد المهنزي^(٢)، والنوادر^(٣).

٢- أبو بكر محمد بن الحسن بن يعقوب، المقرئ، المعروف بابن مقسم (ت ٣٨٠هـ)^(٤).

وقد أكثر من النقل عنه، فكان في المرتبة الثانية في كثرة النقل عنه بعد الفارسي^(٥).

٣- أبو الفرج الأصفهاني. (ت ٣٥٦)^(٦)

روى عنه في سر الصناعة^(٧)، والفسر^(٨)...

٤- أبو صالح السليل بن أحمد بن عيسى (ت ؟)^(٩).

روى عنه في الخصائص^(١٠)...

٥- أبو سهل أحمد بن محمد القطان (ت ٣٥٠هـ)^(١١).

وقفت على نقول عنه في المبهج^(١٢)، وسر الصناعة^(١٣)، والخصائص^(١٤).

٦- أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد القرمسيني (ت ٣٥٨هـ)^(١٥).

(١) انظر: سر الصناعة ٥٥٣/٢.

(٢) انظر: سر الصناعة ٧٢٢/٢.

(٣) انظر: سر الصناعة ٧٧/١.

(٤) ترجمته في: تاريخ بغداد ٦٠٨/٢، والمنتظم ١٧٠/١٤.

(٥) انظر: مقدمة اللمع د. حسين شرف ٧، ومقدمة الفسر ١٠٢. وانظر أمثلة على مواضع النقل عنه في: سر صناعة

الإعراب ١٣/١، ١٤٢، ١٥٥، ١٦٠، ٣٧١، ٣٧٩، ٥٣٩/٢، والخصائص ٦٨/١، والمختسب ٩٠/١، ١٢٩،

والمبهج ٥٣، ٨٣، ١٣٧.

(٦) ترجمته في: ميزان الاعتدال ١٥١/٥، ولسان الميزان ٢٢١/٤.

(٧) ٧٤/١، ٢٠٢.

(٨) ١٠١/١، ١٨٢.

(٩) لم أقف على من ترجم له.

(١٠) ٣٦٠/١، ٣٨٧.

(١١) ترجمته في: تاريخ بغداد ١٩٤/٦، وسير أعلام النبلاء ٥٢١/١٥.

(١٢) ص: ٧٥.

(١٣) ٦٣٣/٢، ٣٣٩/١.

(١٤) ٢٠١/٣.

(١٥) ترجمته في: تاريخ بغداد ٥٠٣/٦.

روى عنه في المحتسب^(١)، والخصائص^(٢).

٧- محمد بن سلمة (ت ٢٠٣)^(٣).

نقل عنه في الخصائص^(٤)، وسر الصناعة^(٥).

كما روى عن شيوخ آخرين، استقصى ذكرهم د. رضا رجب في مقدمة الفسر^(٦)، ولا حاجة لإعادة ذكرهم، إلا أنه يجدر أن أشير إلى من اختلف في أخذه عنهم، فقد ذكر د. محمد أطلس من شيوخ ابن جني: بندار بن عبد الحميد الكرخي، وأبا بكر بن دريد الأزدي^(٧).

وكان الكرخي قد عاش في زمن المتوكل، وعاصر المبرد، فلا يمكن أن يدركه ابن جني، وكذا ابن دريد، فقد كانت وفاته سنة ٣٢١هـ، وهي السنة التي ولد فيها ابن جني على وجه التقريب^(٨).

ثقافته:

استمد ابن جني ثقافته من مصادر عدة، فمنها:

١-أخذه من الكتب، فقد جرى في كتبه ذكر النسخ والنقل^(٩)، وأنه وقف على كذا بخط فلان^(١٠). إلا أن د. حسام النعيمي يميل إلى أن ما لم ينص على قراءته على شيوخه من الكتب مع نقله عنه، أنه قد قرأها عليهم وإن لم ينص على ذلك، وذلك لعنايته بالرواية، وثنائه على المعتنين بها^(١١).

(١) ٣٥/١، ١٧/٢.

(٢) ٧٥/١.

(٣) لم أقف على من ترجم له.

(٤) ٣١٥/١.

(٥) ٣٧١/١.

(٦) انظر: مقدمة الفسر ١٠١-١٠٨.

(٧) انظر: مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق ٤٤٩/٣٠.

(٨) انظر: مقدمة الفسر ١٠٨.

(٩) انظر: الخصائص ٢٠٧/١، وسر الصناعة ٣٨٦/١.

(١٠) انظر: المنصف ٢١٦/١.

(١١) انظر: الدراسات اللهجية ٣١.

٢- مشافهته لبعض الأعراب، فقد أخذ اللغة عن من شافهه منهم، فقد روى عن أبي عبد الله الشجري مرات كثيرة^(١).

٣- حضوره مجالس ذوي السلطان، فقد حضر مجلس سيف الدولة، وخدم بني بويه: عضد الدولة، وولده صمصام الدولة، وولده شرف الدولة، وولده بهاء الدولة^(٢)، والمعتاد أن يلتقي في مجالسهم أهل العلم والأدب، فيكون في ذلك الحوارات والمناظرات، وتبادل الآراء والأفكار. ومن أهم نتائج ذلك، لقاؤه بالمتنبي في بلاط سيف الدولة، فكانت بينهما صلات علمية وشخصية متينة، ويروى عن المتنبي أنه كان يقول: ابن جني أعلم بشعري مني^(٣)، وكان من أبرز نتائج هذه الصلة كتاب الفسر، الذي عُني فيه بشعري المتنبي، إعراباً، وتصريفاً ودلالة.

٤- أسفاره وتنقلاته، فقد نشأ في الموصل، ثم انتقل إلى حلب^(٤)، وواسط^(٥)، واستقر أخيراً في بغداد.

ومن هذه المصادر تشكلت ثقافة ابن جني، فأبدع لنا ما أبدع في هذا العلم الجليل، علم العربية، نحواً وصرفاً ولغةً ودلالةً وأصواتاً، كما أن هذه المصادر وغيرها شكلت ثقافة موسوعية عظيمة، لم تقتصر على علوم العربية فحسب وإنما استفادت من العلوم الأخرى وسخرتها لخدمة هذا العلم العظيم^(٦).

مذهبه العقدي:

وفي صدد الحديث عن تكوينه العلمي، تجدر الإشارة إلى مسألتين مهمتين، عُني بعض المترجمين له بذكرهما، واختلفوا حول إحداهما، وهما: اعتزاله، وتشيعه.

فأما اعتزاله فلا تجد خلافاً عند من تعرض لمذهبه في كونه معتزلياً^(٧)، وآراؤه شاهدة

(١) انظر على سبيل المثال: الخصائص ٧٨/١، ٢٤٠، ٢٥٠، ٣٣٨، ٩/٢، ٢٦، ٥٥.

(٢) انظر: إنباه الرواة ٣٤٠/٢.

(٣) انظر: البلغة ١٤١.

(٤) انظر: معجم الأدباء ١٥٩٤/٤.

(٥) انظر: إنباه الرواة ٣٤٠/٢.

(٦) انظر: مقدمة الفسر ١٢٤-١٢٥.

(٧) انظر: طبقات المعتزلة ١٣١، ولسان الميزان ١٩٥/٢، والمزهر ١٠/١، ومناهج اللغويين في تقرير العقيدة ٦١٤.

بذلك^(١)، ومن ذلك:

١- نفي الصفات، قال: «فأما قوله سبحانه: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ﴾^(٢) فحقيقة لا مجاز . وذلك أنه سبحانه ليس عالماً بعلم، فهو إذا العليم الذي فوق ذوي العلوم أجمعين»^(٣).

وقال: «وأما قوله عز وجل: ﴿لَ K J I﴾^(٤) فليس من باب المجاز في الكلام، بل هو حقيقة، قال أبو الحسن: خلق الله لموسى كلاماً في الشجرة، فكلم به موسى، وإذا أحدثه كان متكلماً به...»^(٥).

٢- أن أفعال العباد ليست من خلق الله تعالى ولم يشأها، وإنما هي من خلق العباد أنفسهم، قال في (باب ما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية): «... قول الله عز اسمه: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ: : < = > ؟ @﴾^(٦) ولن يخلو (أغفلنا) هنا من أن يكون من باب أفعلت الشيء أي صادفته ووافقته كذلك... أو يكون ما قاله الخصم: أن معنى أغفلنا قلبه: منعنا وصددنا، نعوذ بالله من ذلك...»^(٧).

٣- أنه نعت المتكلمين بأشياخه وأصحابه^(٨).

وقد استعمل (القديم) لله تعالى^(٩)، فعد ذلك د. فاضل السامرائي من أدلة اعتزاله^(١٠)، وهو ليس دليلاً قاطعاً؛ لأنه يحتمل أن يُريد به الخبر لا الاسم، فإن أراد الخبر فالكل يعتقد بأنه جل وعلا هو الأول وليس قبله شيء، وإن أراد الاسم، فإن غير المعتزلة قد يدخلون في استعماله اسماً.

(١) انظر عرض آرائه الاعتزالية والرد عليها في: مناهج اللغويين في تقرير العقيدة ٦١٩-٦٣٤.

(٢) يوسف: ٧٦.

(٣) الخصائص ٤٥٧/٢.

(٤) النساء: ١٦٤.

(٥) الخصائص ٤٥٤/٢.

(٦) الكهف: ٢٨.

(٧) الخصائص ٢٥٤/٣.

(٨) انظر: الخصائص ٢٦٦/٣، والمبهم ١٠٥.

(٩) انظر: الخصائص ٤٩/١، ١٢/٢، ٢١٣، ٤٤٩، ٤، ٢٣٢/٣، ٢٤٨، والتمام ١١٩، ١٩١.

(١٠) انظر: ابن جني النحوي ٥٤.

وفي مسألة نحوية حَكَمَ بِحَكْمٍ عَبرَ عَنْهُ بِأَنَّهُ مِثْلُهُ بَيْنَ الْمُتَرَلِّتَيْنِ^(١)، وعدَّ د. فاضل السامرائي هذا مما يثبت اعتزاله، والظاهر أن هذا لا يُثَبِّتُ ذلك مجرداً، وإنما بوجود الأدلة الأخرى، وإلا فاستعمال المصطلح في غير قَضِيَّتِهِ التي أوجد فيها، لا يدل دلالة قاطعةً على أن مستعمله قد تبني رأي أصحاب القضية الأصلية.

وأما تشييعه فقد استُدل عليه بأدلة منها:

- ١- أنه ذَكَرَ في أعيان الشيعة، وذَكَرَ بَعْضُ كُتُبِهِ في كُتُبِ تصانيفهم^(٢).
- ٢- أن بعض نصوصه يوحي بذلك، فهو يصلي ويسلم على علي رضي الله عنه^(٣)، ولم يدخل في خطبة الخصائص^(٤) (على) على (الآل) عند الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، قيل: هذا من شعار الشيعة^(٥).
- ٣- أن ذوي السلطان الذين اتَّصل بهم، وكان من خاصتهم -وهم البويهيون- كانوا شيعةً حَرِصِينَ على إظهار التشيع^(٦).
- وذهب الأستاذ محمد النجار، ود. فاضل السامرائي ود. محمد الشيخ عليو محمد إلى أنه كان مصانعاً للشيعة ولم يكن شيعياً^(٧).

وقد اعترض هذا الرأي د. حسام النعيمي، ورأى أن المصانعة تشعر باهتزاز الشخصية، وهذا ما لا يمكن أن يحكم عليه به، مع وجود ما ينفيه، وذكر عدة أدلة على أنه كان سنياً مصرحاً بسنيته، ومن ذلك:

- ١- الصلاة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٨)، والسلام على عائشة رضي الله

(١) انظر: الخصائص ٣٥٩/٢.

(٢) انظر: أعيان الشيعة ٢٠٩/٣٩، والذريعة إلى تصانيف الشيعة ١٦٣/٧. عن ابن جني النحوي ٤٠.

(٣) انظر: الخصائص ١٣٥/٢، والتمام ١٢٤.

(٤) ١/١.

(٥) انظر: مقدمة الخصائص ٣٧.

(٦) انظر: الكامل لابن الأثير ١٤٦/٦.

(٧) انظر: مقدمة الخصائص ٣٧، وابن جني النحوي ٦٠، ومناهج النحويين في تقرير العقيدة ٦٣٦.

(٨) انظر: المحتسب ٣٢١/٢.

عنها^(١)، والترضي عن عمر^(٢)، وأبي هريرة^(٣)، ومعاوية^(٤) رضي الله عنهم أجمعين.
 ٢- أنه قرر - كما هو رأي جمهور المسلمين - وجوب غسل الرجلين في الوضوء^(٥)،
 والمعلوم من مذهب الشيعة أن فرضهما المسح لا الغسل^(٦).

والذي يظهر لي أنه لم يكن شيعياً، وأما المصانعة فلها مفهومان:
 الأول: أن يفهم منها التلون، بأن يظهر عند كل طائفة بما يعجبهم، ويسر هو غير ذلك، وهذا الذي أنكره د. حسام النعيمي، ورأى أنه اهتزاز في الشخصية.
 والثاني: أن تكون محاولة للتقريب، وتركيزاً على نقاط الاتفاق بين الطوائف، مع التصريح التام بما يعتقد ذلك الفرد، دون تمويه أو تزييف، وهذا الذي اعتقد أن ابن جني قد ارتكبه، فالصلاة والسلام على عليٍّ والحسن رضي الله عنهما ليس شيئاً منكراً عند السنة، بخلاف الترضي عن عمر وعائشة ومعاوية وأبي هريرة رضي الله عنهم عند الشيعة، فهو أمر منكر عندهم، بل إنه صلى على عمر، كما نقلت آنفاً، وهذا التصريح لا يمكن أن يتصور معه مصانعة أو مداهنة. والله أعلم.

وفي معاصري ابن جني من كان على سننه في هذه المسألة، فابن فارس (ت ٣٩٥هـ) ذكر أنه كان متشيعاً، وترجم له في طبقات الشيعة^(٧)، وأيد هذا باتصاله بالبويهيين^(٨)، كما حصل تماماً لابن جني.

ولكن هذا لم يرتضه المحققون لحياته، والفاحصون لآثاره، يقول د. زهير سلطان: «... وهكذا يتضح لنا أن ابن فارس كان محباً لعلي - عليه السلام - وآله، ولم يكن متشيعاً، وهناك فرق كبير بين حبه والتشيع له، فلم نعثر له في آثاره على ما يدل على تشيعه، كحديثه عن ولاية عليٍّ، أو ذكره لخطبة غدير خم ... إلى غير ذلك من مبادئ التشيع

(١) انظر: المحتسب ٦٧/٢.

(٢) انظر: المنصف ١٢٩/١.

(٣) انظر: المبهج ٤٢.

(٤) انظر: الفسر ٥٤٨/١.

(٥) انظر: المحتسب ٦٧/٢.

(٦) انظر: الدراسات اللهجية ١٢-١٣.

(٧) أعيان الشيعة ٢١٦/٩.

(٨) انظر: مقدمة مجمل اللغة ١٤/١.

المعروفة، ولم يمنعه من إظهار التشيع مانع؛ لأنه كان يعيش في كنف بني بويه الشيعة...»^(١).
ويمكن إسقاط هذه الأدلة ذاتها على ابن جني، لتأييد النتيجة الآتية الذكر.

تلاميذه:

تتلمذ على ابن جني جماعة، ومن أشهرهم:

- ١- أبو القاسم عمر بن ثابت الثماني (ت ٤٤٢ هـ)^(٢)، وكان من شراح اللمع.
ذكر المترجمون له تلمذته على ابن جني^(٣)، كما ذكر المترجمون لابن جني تتلمذه عليه^(٤)، ولكن لم يجر له ذكر في كتابيه شرح اللمع^(٥)، وشرح التصريف^(٦).
- ٢- أبو أحمد عبد السلام بن الحسين البصري (ت ٤٠٥ هـ)^(٧).
ورد اسمه في إجازة ابن جني للحسين بن أحمد بن نصر^(٨).
- ٣- أبو الحسن علي بن عبيد الله السمسمي (ت ٤١٥ هـ)^(٩).
ذكر الأنباري أخذه عن ابن جني^(١٠).
- ٤- علي بن زيد القاشاني (ت ؟)^(١١).
- ٥- محمد بن أحمد بن سهل الحنفي (ت ٤٦٢ هـ)^(١٢).
وقد عد د. رضا رجب في مقدمة الفسر من تلامذته ستة عشر^(١٣).

(١) مقدمة مجمل اللغة ١/١٤.

(٢) ترجمته في: إشارة التعيين ٢٣٨، وبغية الوعاة ٢/٢١٧.

(٣) انظر: معجم الأدباء ٥/٢٠٩١، ووفيات الأعيان ٣/٤٤٣.

(٤) انظر: معجم الأدباء ٤/١٥٨٦، وبغية الوعاة ٢/١٣٢.

(٥) انظر مقدمة محقق شرح اللمع المسمى (الفوائد والقواعد) ح.

(٦) انظر مقدمة محقق شرح التصريف ٧٤.

(٧) ترجمته في: تاريخ بغداد ١٢/٣٣١، وإنباه الرواة ٢/١٧٥.

(٨) انظر: معجم الأدباء ٤/١٥٩٧.

(٩) ترجمته في: إنباه الرواة ٢/٢٨٨، ووفيات الأعيان ٣/٣١٢.

(١٠) انظر: نزهة الألباء ٢٤٨.

(١١) ترجمته في: معجم الأدباء ٤/١٧٥٩، وبغية الوعاة ٢/١٦٧، وفيهما أخذه عن ابن جني.

(١٢) ترجمته في: إنباه الرواة ٣/٤٤، ومعجم الأدباء ٥/٣٢٥٠، وفيهما أخذه عن ابن جني.

(١٣) انظر: مقدمة الفسر ١٠٨-١١٧.

مصنفاته:

مصنفاته كثيرة مشهورة، والموجود منها مطبوع محقق، وقد استقصاها د. رضا رجب بالعرض، فعد سبعة وستين مصنفًا، والمطبوع يذكُر مكان الطبع وتاريخه، وعدد الطبعات وأماكنها، كما نص على ترتيبها في التأليف، من خلال ما ذكر ابن جني في المتأخر عن المتقدم، من إشارة أو إحالة، فمما نص عليه؛ تقدم المنصف، وتقدم سر الصناعة على التمام والمبهج، وتأخر الخصائص عن التنبيه والمبهج، وتأخر المحتسب عن سر الصناعة...^(١).

كما أعدَّ د. غنيم بن غانم الينبعاوي بحثًا بعنوان: أضواء على آثار ابن جني في اللغة (الآثار المخطوطة والمفقودة)^(٢).

وأودُّ هنا أن أُشير إلى مسائل:

الأولى: أن من مصنفات ابن جني (تفسير شعر المتنبي الصغير)، وقد طبع بتحقيق د. محسن غياض باسم: الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي، ثم طبع بعد ذلك في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، باسم: الفسر الصغير، بتحقيق أ.د. عبد العزيز بن ناصر المانع، الذي نقد التحقيق الأول، ورجح العنوان الذي أثبتته بأدلة وحجج كثيرة.

والثانية: أن مما أشار إليه الباحثون المعاصرون من كتبه: شرح الإيضاح للفارسي، وقد ذكر بروكلمان أنه محفوظ في مكتبة شهيد علي برقم ٩٣٠^(٣)، والصحيح خلاف هذا-والله أعلم- وذلك أن ما أشار إليه، هو مخطوط محفوظ بهذا الرقم في مكتبة قليج علي، كتب عليه: شرح الإيضاح لابن جني، وهو الكتاب الذي بين أيدينا: الغرة لابن الدهان، يبدأ من باب النكرة والمعرفة إلى آخر الكتاب.

والثالثة: أن المترجمين ذكروا له كتاب: تهذيب تذكرة أبي علي الفارسي، وقد ظل هذا التهذيب مفقودًا، ثم عثر مؤخرًا د. صالح العايد على مخطوطة يُظنُّ أنها تذكرة أبي علي نفسها، أو قطعة منها، ولكن من خلال النظر فيها، يُعتقد أنها تهذيب التذكرة لابن جني، يدل لذلك أنه كثيرًا ما يستعمل الرمز ع~ ثم يعقبُ على كلام سابق^(٤)، وقد يستعمل

(١) انظر: مقدمة الفسر ١٣٤-١٥٤.

(٢) طبعته جامعة أم القرى ط: ١، ١٤٢٠هـ.

(٣) انظر: تاريخ الأدب العربي ١٩١/٢.

(٤) ١٧٩ أ.

الرمز: فا. فلعل العين رمز لابن جني فهو أول حروف اسمه (عثمان)، و(فا) رمزٌ للفارسي. وقد وقفت في الغرة على ما يؤيد هذا، قال ابن الدهان: «وقال الفارسيُّ: النصبُ بعدَ (لا سيَّما) في الاستثناءِ ليسَ بالسَّهلِ»^(١)، وجاء في هذا المخطوط: «قال: رَوُوا في (ولا سيَّما) الوجوهَ الثلاثة، فا: والنصب عندي ليس بالسهل، ووجهه أن تجعل (ما) بمتزلة (شيء) وتنصب (يوماً) عن تمام الاسم بالإضافة»^(٢).

ونقل ابن الدهان عن «التذكرة المهدبة عن الفارسي» قولَ المبرد: «لو صليت خلف إمام يقرأ...»، وقد وقفت عليه في هذا المخطوط.

والكتاب ظاهرٌ أنه مختارات من أصل، فهو يقول: «مسألةٌ مكتوبة في آخر المجلدة»^(٣)، «مسائل في آخر الجزء»^(٤)، «آخر المجلدة، وهو آخر الجزء العشرين من أجزاء أبي عليٍّ، وأوَّلُ الحادي والعشرين»^(٥).

وفاته:

توفي ابن جني يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر صفر عام ٣٩٢هـ في بغداد^(٦).

(١) ص: ٤٩٧.

(٢) ٧٧ ب.

(٣) ١٥٦ ب.

(٤) ١٦٦ ب.

(٥) ١٦٩ ب - ١٧٠ أ.

(٦) انظر: تاريخ بغداد ٢٠٥/١٣، والأنساب ٣٢٩/٢، وبغية الوعاة ١٣٢/٢.

ب- كتاب اللع:

اللُّعُ: جمع لُعة: وهي القطعة من الشيء^(١).

وهو يُريد من هذه التسمية الإشارة إلى أن هذا الكتاب إنما هو بُذُّ وأساساتٌ لعلم النحو.

وقد سَمَّاه ابن جني: اللع في العربية، صرح بذلك في إجازته للحسين بن أحمد بن نصر^(٢).

وقد أجمع محققوه على هذه التسمية.

وقد حُدِّدَ زمنُ تأليفه بأنه قُبيل سنة ٣٨٤ هـ^(٣)، وهو تاريخ كتابة تلك الإجازة. قال د. رضا رجب: لأنه لم يشر إليه في كتبه، كما هي العادة^(٤)، لكن الظاهر أن عدم إشارته إليه إنما هي بسبب طبيعة الكتاب، فهو لا يعدو أن يكون قواعداً مَخْلَصَةً من الشرح والتعليلات والخلاف، فما الذي يدعو إلى أن يُشارَ إليه؟

وقد طبع الكتاب بتحقيق ثلاثة من الأساتذة:

الأول: د. فائز فارس، في دار الثقافة في الكويت سنة ١٣٩٢ هـ، طبع بمناسبة مرور ألف عام على وفاة ابن جني.

الثاني: د. حسين محمد شرف، في القاهرة سنة ١٣٩٩ هـ.

الثالث: حامد المؤمن، في بيروت، سنة ١٤٠١ هـ.

مصادره:

اللع كتاب مختصر، مادته قواعد متداولة بين النحويين، لا تحتوي نقاشاً أو خلافاً أو ترجيحاً تطلبُ نسبته إلى عالم بعينه.

وقد ذكر حاجي خليفة أنه جمع اللع من كلام شيخه أبي عليّ الفارسي^(٥)، والذي يظهر أن هذا كلامٌ غير دقيق، لما قدمت من أن مادة اللع غير متميزة بمذهب أو منهج.

(١) انظر: اللسان ٣٢٤/٨-٣٢٧ (لع).

(٢) انظر: معجم الأدباء ١٥٩٨/٤.

(٣) انظر: مقدمة اللع د. حسين شرف ٤٤، ومقدمة الفسر ١٣٩.

(٤) انظر: مقدمة الفسر ١٣٩.

(٥) انظر: كشف الظنون ١٥٦٢/٢.

ولعل الذي أحدث هذا الخطأ أن السيوطي عدد مصنفات ابن جني فقال: «... اللمع في النحو، ذا القد، جمعه من كلام شيخه أبي علي الفارسي...»^(١)، فتوهم أن (ذا القد) وصف لللمع^(٢).

منهجه:

الغرض من هذا الكتاب أن يكون كتاباً تعليمياً، ولذا نهج ابن جني فيه منهجاً يتوافق مع هذا الهدف، ومن أبرز ملامح منهجه فيه:

١- ترتيب الأبواب ترتيباً جمع فيه النظر إلى نظيره، فبعد الحديث عن المعرب والمبني، وما يتصل به من أبواب، تحدث عن الأسماء المرفوعة، ثم الأسماء المنصوبة، ثم الأسماء المحرورة، ثم التوابع، ثم النكرة والمعرفة، وبعدها باب النداء، لاتصاله بالمعرفة، ثم تحدث عن بناء الأفعال وإعرابها، وأتبعه بباب ما لا ينصرف، للعلاقة بين المنع من الصرف والفعل، ثم ختم أبواب النحو بباب العدد، ثم بحث أبواب الصرف.

كما حذف الأبواب التي تتسم بالصعوبة، والتي قد لا تهم المبتدئ، كباب الاشتغال والتنازع، والإخبار بالذي والألف واللام، والإبدال.

٢- الاقتصار على المسائل الأساسية، التي يكثر استعمالها، والتي هي أحق من غيرها بالذكر^(٣)، دون ذكر المسائل الفرعية القليلة الدوران. فعلى سبيل المثال؛ في باب الإضافة اكتفى بتقسيمها إلى ضربين، وهما: «ضم اسم إلى اسم هو غيره، بمعنى اللام، والآخر: هو ضم اسم إلى اسم هو بعضه، بمعنى (من)»^(٤). تاركاً الحديث عن الإضافة التي بمعنى (في)، بل ترك الحديث عن الإضافة المحضة وغير المحضة، وما يُفیده كل منهما، من التعريف أو التخصيص، أو رفع القبح...

٣- الاقتصار على رأي واحد، فلم يُعن بالخلاف، والتعليل له، والتفصيل في أثره^(٥).

٤- الاختصار في العبارة، ولذا اكتفى بالحد العام، دون ذكر الشروط والموانع، التي قل

(١) بغية الوعاة ١٣٢/٢.

(٢) هذا تعليل د. فائز فارس في مقدمة تحقيقه للمع ص: يح.

(٣) انظر: مقدمة اللمع د. حسين شرف ٥٢.

(٤) انظر: اللمع ٨٠.

(٥) انظر: مقدمة اللمع د. حسين شرف ٥٣، وحامد المؤمن ٢٥.

أن يتركها المصنفون، فتارة يوضح المصطلح بعلاماته، كقوله في تعريف الاسم: «فالاسم ما حسن فيه حروف الجر، أو كان عبارة عن شخص... والفعل: ما حسن فيه (قد) أو كان أمراً»^(١).

وتارة يوضحه بضده، ثم يفرق بينهما، كقوله في تعريف الإعراب: «الإعراب: ضد البناء في المعنى ومثله في اللفظ، والفرق بينهما: زوال الإعراب لتغير العامل وانتقاله، ولزوم البناء الحادث لتغير عامل وثباته»^(٢).

ومن عدم استطراده في الحد، عدم ذكر الاستثناءات، قال في تعريف الجمع السالم: «فجمع التصحيح: ما سلم فيه نظم الواحد وبنائوه، وهو على ضربين: جمع تذكير وجمع تأنيث...»^(٣)، ولم يذكر ما التغير المستثنى في جمع الاسم الثلاثي الساكن العين بالألف والتاء، نحو: هِنْد، يقال فيه: هِنْدَات، هِنْدَات، هِنْدَات، ونحو ذلك، وأيضاً في تعريفه جمع التكسير يقول: «وهو كل جمع تغير فيه نظم الواحد وبنائوه»^(٤)، فلم يذكر صور التغير، وأنه يكون إما بزيادة أو نقص أو زيادة ونقص، ظاهر أو مقدر.. إلى غير ذلك من التفاصيل.

ومع هذا الاقتصار في العبارة، والوضوح فيها، فإنه قد خالف هذا حين تأثر بعرض إحدى المسائل عرضاً منطقيّاً، ورتبها ترتيباً لا حاجة للنحوي فيه^(٥)، جاء في (باب المعرفة والنكرة): «واعلم أن بعض النكرات أعم وأشيع من بعض، فأعم الأسماء وأبهما: (شيء)، وهو يقع على الموجود والمعدوم جميعاً، قال الله سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْأَلُوا عِبَادَ اللَّهِ عَنْ غُيُوبِهِمْ قَالُوا لَا نَسْأَلُهُمْ غُيُوبَهُمْ فَتَلَبَّاهُمْ بِقَوْلٍ كَلِمَاتٍ كَقَوْلِهِمْ سَأَلْنَا عَنْ غُيُوبِهِمْ وَنُحِبُّ الْغَيْبَ﴾»^(٦)، فسمّاها شيئاً، وإن كانت معدومة، فـ(موجود) -إذن- أخص من (شيء)؛ لأنك تقول: كل موجود شيء، ولا تقول: ليس كل شيء موجوداً، و(محدث) أخص من (موجود)؛ لأنك تقول.... و(جسم) أخص من (محدث)....»^(٧).

(١) اللمع ٧-٨.

(٢) اللمع ١٠.

(٣) اللمع ٢٠.

(٤) اللمع ٢٢.

(٥) انظر: خصائص التأليف النحوي في القرن الرابع الهجري ١٣٥.

(٦) الحج: ١.

(٧) اللمع ٩٨-٩٩.

٥- عُنِيَ بكثرة الشواهد، والأمثلة، فبلغت الشواهد القرآنية قُرابة (٤٥) آية، وبلغت الشواهد الشعرية عنده (٧٦) بيتاً ورجزاً. وهذا العدد يعد كثيراً بالنسبة لحجم الكتاب. أمّا الأمثلة، فعنايته بها ظاهرة، فلا تكاد مسألة تخلو من مثال.

أسلوبه:

اتسم أسلوبه في هذا الكتاب بالوضوح، وعدم التعقيد، طلباً للتيسير، ويمكن أن يتضح هذا بالنظر إلى:

- ١- المفردات؛ فهي مألوفة متداولة، ليس فيها غريبٌ أو مستعمل في غير ما وضع له.
- ٢- الجمل؛ فهي قصيرة، ولا يكاد يقحم جملاً اعتراضية، ومراجع الضمائر واضحة قريية.

إلاً أنه قد يقوده هاجس الاختصار، الذي كان أساساً من أسس منهجه، إلى عبارة تحتاج التوضيح والشرح، كقوله في تعريف المبتدأ: «هو كل اسم ابتدأته، وعريته عن العوامل اللفظية، وعرضته لها، وجعلته أولاً لثانٍ يكون الثاني خبراً عن الأول ومسنداً إليه...»^(١).

شروحُ اللمع:

شرح هذا المتن جمع كبير من العلماء، وذلك للأهمية التي تبوَّأها، قال القفطي في معرض حديثه عن جمل الزجاجي: «وهو كتاب المصريين وأهل المغرب، وأهل الحجاز واليمن والشام، إلى أن اشتغل الناس باللمع لابن جني، والإيضاح لأبي عليٍّ الفارسي»^(٢). وقد ذكر محققو كتاب اللمع، وبعض شروحه جمعاً كبيراً من الشراح، يحسنُ هنا أن أعيد ذكرهم:

- ١- أبو القاسم عمر بن ثابت الثماني (ت ٤٤٢ هـ).

وقد حقق شرحه د. فتحي علي حسانين علي، رسالة دكتوراه في جامعة الأزهر، عام ١٤٠١ هـ، ثم طبع بعنوان: الفوائد والقواعد بتحقيق: د. عبد الوهاب محمود الكحلة، ونشر بمؤسسة الرسالة عام ١٤٢٢ هـ.

وهذه التسمية مجانبة الصواب، والصواب تسميته: شرح اللمع، كما تثبت مخطوطتا

(١) اللمع ٢٥.

(٢) إنباه الرواة ١٦١/٢.

- الكتاب، كما أن المترجمين لم يذكروا له كتاباً باسم الفوائد والقواعد^(١).
- ٢- عبد الواحد بن علي بن برهان العكبري (ت ٤٥٦هـ)^(٢).
- وقد طبع في الكويت عام ١٤٠٤هـ بتحقيق د. فائز فارس.
- ٣- أبو نصر القاسم بن محمد بن مباشر الواسطي (ت ٤٦٨هـ)^(٣).
- وقد حققه د. رجب عثمان محمد. ونشرته مكتبة الخانجي بالقاهرة عام ١٤٢٠هـ.
- ٤- الشريف يحيى بن محمد بن طباطبا العلوي. (ت ٤٧٨هـ)^(٤).
- ذكر شرحه حاجي خليفة وإسماعيل باشا^(٥).
- ٥- أبو نصر الحسن بن أسد الفارقي (ت ٤٧٨هـ)^(٦).
- ٦- أبو بكر الحسن بن علي بن محمد الطائي (ت ٤٩٨هـ).
- وسمى شرحه: المقنع^(٧).
- ٧- أحمد بن عبد الله المهابازي. (ت في حدود ٥٠٠هـ)^(٨).
- وقد حقق في تونس، كما ذكر ذلك لي د. عبد الرحمن العثيمين، وقد اطلع عليه.
- ٨- أبو زكريا يحيى بن علي، الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ)^(٩).
- ٩- ناصر بن أحمد الخُوِّي الشيرازي (ت ٥٠٧هـ)^(١٠).
- ١٠- الشريف أبو البركات عمر بن إبراهيم الكوفي (ت ٥٣٩هـ)^(١١).
- واسم شرحه: البيان في شرح اللمع. وقد حقق الكتاب رسالة ماجستير في جامعة أم

(١) نشر د. عبد الله عمر الحاج إبراهيم مقالاً نقد فيه إخراج الكتاب، وتعرض لقضية العنوان. انظر: مجلة عالم الكتب المجلد ٢٥. العدد: ٤-٣. ١٤٢٤-١٤٢٥.

(٢) ترجمته في: تاريخ بغداد ٢٧٠/١٢، وإنباه الرواة ٢١٣/٢.

(٣) ترجمته في: بغية الوعاة ٢٦٢/٢.

(٤) ترجمته في: نزهة الألباء ٢٦٩، وبغية الوعاة ٣٤٢/٢.

(٥) انظر: كشف الظنون ٤٠٤/٦ (دار الفكر)، وهدية العارفين ٥١٩/٦.

(٦) ترجمته في: إنباه الرواة ٣٢٩/١، وتاريخ الإسلام ٢٠٣/٣٣ (تدمري)، وفيهما ذكر شرحه.

(٧) ترجمته في: إنباه الرواة ٣٥٢/١، وبغية الوعاة ٥١٥/١، وفيهما ذكر شرحه.

(٨) ترجمته في: معجم الأدباء ٣٥٧/١، ومعجم البلدان ٢٢٩/٥، وبغية الوعاة ٣٢٠/١، وفيها ذكر شرحه.

(٩) ترجمته في: معجم الأدباء ٢٨٢٣/٦، وبغية الوعاة ٣٣٨/٢، وفيهما ذكر شرحه.

(١٠) انظر: إنباه الرواة ٣٤١/٣، وبغية الوعاة ٣١٠/٢، وفيهما ذكر شرحه.

(١١) ترجمته في: نزهة الألباء ٢٩٥، وإنباه الرواة ٣٢٤/١.

القرى، وطبع عام ١٤٢٣ هـ ، عن دار عمار في الأردن.

١١- الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي ابن الشجري (ت ٥٤٢ هـ)^(١).

١٢- أبو الحسن علي بن الحسين الباقولي، الملقب بجامع العلوم (ت ٥٤٣ هـ)^(٢).

وقد حققه د. إبراهيم أبو عباة رسالة دكتوراه، وطبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤١٠ هـ.

١٣- أبو عبيد الله محمد بن علي بن أحمد بن حميدة، محمد بن علي. (ت في حدود ٥٥٠ هـ)^(٣).

١٤- أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب (ت ٥٦٧ هـ)^(٤).

١٥- سعيد بن المبارك بن الدهان، وهو موضع الدراسة.

١٦- أبو منصور أسعد بن نصر العبرتي. (ت ٥٨٩ هـ)^(٥).

ومن هذا الشرح نسخة في المكتبة الملكية ببرلين برقم: ٦٤٦٧^(٦).

١٧- أبو الحسن علي بن الحسن بن عنتر بن ثابت، المعروف بشميم الحلبي (ت ٦٠١ هـ)^(٧).

وسمى شرحه: المخترع^(٨).

١٨- أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦ هـ)^(٩).

واسم شرحه: المتبع في شرح اللمع. وقد حققه د. عبد الحميد الزوي. ونشرته جامعة قاريونس بينغازي سنة ١٩٩٤ م.

١٩- أبو محمد القاسم بن القاسم بن عمر بن منصور الواسطي (ت ٦٢٦ هـ)^(١٠).

(١) ترجمته في: معجم الأدباء ٢٧٧٦/٦، ووفيات الأعيان ٤٥/٦، وشذرات الذهب ١٣٢/٤، وفيها ذكر شرحه.

(٢) ترجمته في: إنباه الرواة ٢٤٧/٢، ونكت الهميان ٢١١، وبغية الوعاة ١٦٠/٢.

(٣) ترجمته في: معجم الأدباء ٢٥٧١/٦، وبغية الوعاة ١٧٣/١. وفيهما ذكر شرحه.

(٤) ترجمته في إنباه الرواة ١٠٠/٢، وبغية الوعاة ٣٠/٢، وفيهما ذكر شرحه.

(٥) ترجمته في: إنباه الرواة ٢٣٥/١، وبغية الوعاة ٤٤١/١.

(٦) انظر: تاريخ الأدب العربي ٢٤٧/٢. وانظر: شرح اللمع للأصفهاني ٤٥/١.

(٧) ترجمته في: إنباه الرواة ٢٤٣/٢، ومعجم الأدباء ١٦٨٩/٤، وبغية الوعاة ١٥٦/٢.

(٨) انظر: معجم الأدباء ١٦٩٧/٤، وهدية العارفين ٧٠٣/٥.

(٩) ترجمته في: وفيات الأعيان ١٠٠/٣، والذيل على طبقات الحنابلة ٢٢٩/٣، وبغية الوعاة ٣٨/٢.

٢٠- أحمد بن الحسين بن أحمد بن أبي المعالي المعروف بابن الخباز (ت ٦٣٩هـ)^(٢).
واسم شرحه: توجيه اللمع، وقد حققه د. فايز زكي دياب. ونشرته دار السلام في
القاهرة عام ١٤٢٣هـ.

وحققه أيضاً د. عبد الله عمر الحاج إبراهيم، وهو الآن تحت الطبع^(٣).
ولابن الخباز شرح آخر اسمه: الإلماع في شرح اللمع^(٤).
٢١- أبو بكر بن يحيى بن عبد الله الجذامي، المعروف بالخفاف الأندلسي (ت ٦٥٧هـ)^(٥).

وقد ذكر بروكلمان جمعاً كبيراً من الشروح، في مكتبات تركيا وأوروبا الشرقية^(٦).

أوهام في شروح اللمع:

١- ذكر د. فائز فارس أن ابن هشام الأنصاري شرح شواهد اللمع، وأشار إلى نسخة
في دار الكتب المصرية^(٧)، وذلك في مقدمة تحقيقه لشرح ابن برهان^(٨)، وفي مقدمة تحقيقه
للمع أشار إلى نسخة أخرى بمكتبة برلين، ولم يذكر نسخة دار الكتب^(٩). وقد اطلع د.
إبراهيم أبو عباة على نسخة برلين المسماة: الروضة الأدبية في شواهد علوم العربية فوجدها
نسخة من الاقتراح للسيوطي^(١٠).

٢- عد د. عبد الحميد الزوي من شراح اللمع ابن مالك (ت ٦٧٢هـ)، استناداً على
ذكر السيوطي لشرح للمع له في همع الهوامع^(١١)، قال د. عبد الله عمر الحاج إبراهيم:

(١) ترجمته في: معجم الأدباء ٢٢١٨/٥، وفوات الوفيات ١٩٢/٣، وبغية الوعاة ٢٦١/٢ وفيها ذكر شرحه.

(٢) ترجمته في: إشارة التعيين ٢٩، والوافي بالوفيات ٢٢٣/٦، وبغية الوعاة ٣٠٤/١.

(٣) وقد زودني بنسخة من الكتاب بعد المراجعة الأخيرة، جزاه الله خيراً.

(٤) عن مقدمة محقق توجيه اللمع د. عبد الله عمر الحاج، ص: ٢٥.

(٥) ترجمته في: بغية الوعاة ٤٧٣/١، وفيه ذكر شرحه.

(٦) انظر: تاريخ الأدب العربي ٢٤٧/٢.

(٧) برقم ١٥٧٠.

(٨) انظر: شرح اللمع لابن برهان ٥٢/١.

(٩) انظر: مقدمة تحقيق اللمع: كز

(١٠) انظر: شرح اللمع للأصفهاني ٤٨/١.

(١١) ٢٢٧/١.

«الذي ذكره السيوطي في الهمع هو شرح المهابادي، ولم ينسب شيئاً إلى ابن مالك»^(١). وبالرجوع إلى الموضوع المحال إليه، تجد النص التالي: «قال أبو حيان: هذه المسألة قلّ من تعرض لها من النحاة، ولم أر من تكلم عليها منهم سوى ابن مالك في التسهيل، وإليها نادى في شرح اللمع». فالظاهر أنّ د. عبد الله يريد أنّ ثمّ خطأ طباعياً، وأنّ (إليها نادى): (المهابادي)، وقد وجدت طبعات الكتاب متضاربة على هذا^(٢)، ولكنّ ما ذهب إليه د. عبد الله صحيح، وذلك أنّ النص الذي نقله السيوطي عن أبي حيان وقفت عليه في التذيل والتكميل، قال: «وهذه المسألة قلّما تعرض لها النحويون، ولم أر أحداً تكلم فيها - فيما وقفت عليه - غير هذا المصنف، وغير رجل يعرف بالمهابادي، قال في شرح اللمع من تصنيفه...»^(٣).

مختصرات اللمع:

وقفت على ذكر مختصرين للمع:

الأول: لابن جني، واسمه عقود اللمع، وقد حققه د. حسن شاذلي فرهود، ونشر في مجلة كلية الآداب جامعة الرياض (الملك سعود)^(٤). وقد نظم هذا المختصر، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين الموصلي الحنبلي، الملقب بشُعْلَة (ت ٦٥٦ هـ)^(٥)، وسمّاه: العنقود في نظم العقود^(٦). والثاني: لمحمود بن حمزة بن نصر الكرمان. (ت في حدود ٥٠٠ هـ)^(٧). ذكره ياقوت، قال: صنف النظامي في النحو، اختصره من اللمع^(٨).

(١) مقدمة تحقيقه لتوجيه اللمع ٣٨.

(٢) انظر الهمع بتحقيق د. عبد العال سالم مكرم ٢٧٦/٣، وتحقيق أحمد شمس الدين ١٩٦/٢، وتحقيق عبد الحميد هندراوي ٢٦٣/٢.

(٣) التذيل والتكميل ٢٦٣/٨.

(٤) مجلد ٥، عام ١٩٧٧ - ١٩٧٨ م.

(٥) ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٣٦٠/٢٣، وغاية النهاية ٨٠/٢.

(٦) انظر: غاية النهاية ٨١/٢، والدر المنضد ٣٩٥/١.

(٧) ترجمته في: معجم الأدباء ٢٦٨٦/٦، وبغية الوعاة ٢٧٧/٢، وهدية العارفين ٤٠٢/١.

(٨) انظر: معجم الأدباء ٢٦٨٧/٦.

ج- ابن الدهان ومؤلفاته:

اسمه ونسبه:

هو سعيد بن المبارك بن علي بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن نصر بن عاصم بن عباد ابن عاصم، وقيل: عصام^(١)، بن الفضل بن ظفر بن غلاب بن حمد بن شاكر بن عياض بن حصن بن رجاء بن أبي بن شبل بن أبي اليسر كعب بن عمرو الأنصاري، ناصح الدين أبو محمد، المعروف بابن الدهان البغدادي^(٢).

وقد نص جماعة من المترجمين أن نسبه يرجع إلى الصحابي الجليل أبي اليسر كعب بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه^(٣)، ثم وهم بعض المعاصرين، فنسبوه إلى كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه^(٤).

مولده ورحلاته:

وكانت ولادته ليلة الجمعة الخامسة والعشرين من رجب سنة ٤٩٤هـ^(٥). وقيل الحادي عشر من رجب، وقيل سنة ٤٩٣هـ^(٦). ولد بنهر طابق^(٧)، وكان أصله من بغداد، من محلة المقتدية^(٨).

ولم أقف على ذكر نشأته الأولى، ولا ذكر من أخذ عنهم في صغره، وإنما يذكر المترجمون أنه انتقل من بغداد إلى أصفهان، وسمع بها واستفاد من خزائنها، ثم عاد إلى بغداد، واستوطنها زمناً، ثم خرج منها قاصداً دمشق بطلب من صاحبها ابن الصوفي^(٩)، فاجتاز

(١) انظر: معجم الأدباء ١٣٦٩/٣، ونكت الهميان ١٥٨.

(٢) انظر: معجم الأدباء ١٣٦٩/٣، ووفيات الأعيان ٣٨٢/٢، ونكت الهميان ١٥٨.

(٣) انظر: المراجع في الحاشية السابقة، وإشارة التعيين ١٢٩، والبلغة ١٠٤.

(٤) انظر: الفريدة في شرح القصيدة ٣١، وشرح أبنية سيويه ٧.

(٥) انظر: مسالك الأبصار ٧٦/٧.

(٦) انظر: بغية الوعاة ٥٨٧/١، وطبقات المفسرين للداودي ١٨٤/١.

(٧) محلة ببغداد من الجانب الغربي، قرب نهر القلائين. انظر: معجم البلدان ٣٢١/٥.

(٨) انظر: معجم الأدباء ١٣٦٩/٣، وإنباه الرواة ٤٧/٢-٤٨.

(٩) انظر: معجم الأدباء ١٣٧٠/٣. وابن الصوفي هو حيدرة بن مفرّج بن حسن، (ت ٥٤٨هـ). انظر: سير أعلام

الموصل وذلك سنة ٥٤٤هـ^(١)، فطلبه وزيرها الجواد الأصفهاني^(٢)، وأكرمه وصدّره للإقراء والتأليف، وبقي بها إلى أن مات^(٣).

شيوخه:

يبدو أن ابن الدهان كان أكثر أخذَه عن الكتب، ففي الجزء الذي حققته من الغرة لم أجد إشارة إلى شيخ له، أو تصريحاً بسماع، أو رواية. ثم لم أجد من ذكر له شيخاً أخذ عنه علوم العربية، إلا ما ذكر ياقوت أنه أخذ اللغة العربية عن الرماني^(٤)، ولا أدري من عني به، فهو قطعاً ليس أبا الحسن النحوي الشهير، فإنه توفي سنة ٣٨٤هـ، أي قبل ولادة ابن الدهان بنحو تسعين سنة، فيحتمل أن يكون وهماً، أو أن نحوياً آخر عُرف بالرماني معاصر لابن الدهان.

وأما شيوخه في الحديث، فقد ذكروا أنه أخذ عن اثنين، وقد صرح الذهبي أنه سمع منهما وهو كبير^(٥)، وهما:

١. أبو القاسم هبة الله بن الحصين (ت ٥٢٥ هـ)^(٦).

٢. أبو غالب أحمد بن الحسن بن البناء (ت ٥٢٧ هـ)^(٧).

قالوا: وأخذ عن غيرهما^(٨).

تلاميذه:

وقد أخذ عنه جماعة من أهل العلم، وذكر القفطي: أن جماعته يتعصبون له، ويفضّلونه

(١) انظر: خريدة القصر (شعراء العراق) ٢١/٣.

(٢) هو جمال الدين أبو جعفر محمد بن علي بن أبي المنصور (ت ٥٥٩ هـ). انظر: وفيات الأعيان ١٤٣/٥، وشذرات الذهب ١٨٥/٤.

(٣) انظر: إنباه الرواة ٤٧/٢-٤٨، ونكت الهميان ١٥٩.

(٤) انظر: معجم الأدباء ١٣٦٩/٣.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء ٥٨١/٢٠.

(٦) ترجمته في: شذرات الذهب ٧٧/٤.

(٧) ترجمته في: شذرات الذهب ٧٩/٤.

(٨) انظر: معجم الأدباء ١٣٦٩/٣، وفيات الأعيان ٣٨٢/٢، وإشارة التعيين ١٢٩، ونكت الهميان ١٥٩، والوافي بالوفيات ١٥٦/١٥، والبلغة ١٠٤، وبغية الوعاة ٥٨٧/١.

على غيره، ويقصدون نحوه لنحوه^(١).

ومن أخذوا عنه:

- ١- أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (ت ٥٦٢ هـ)^(٢).
- قال عبد الباقي اليماني: «روى عنه أبو سعد بن السمعاني»^(٣)، وقال الفيروزآبادي: «روى عنه أبو سعيد السمعاني»^(٤)، ولم أقف على ذكره في شيوخ السمعاني^(٥).
- ٢- أبو الفتح عثمان بن عيسى بن منصور البُلَطي (ت ٥٩٩ هـ)^(٦).
- ٣- أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله، المعروف بابن عساكر، صاحب تاريخ دمشق (ت ٥٧١ هـ)^(٧).
- ذكر القفطي أنه روى عن ابن الدهان خبراً^(٨).
- ٤- أبو الحرم مكّي بن ريان بن شبة بن صالح الماكسيني الضرير (ت ٦٠٣ هـ)^(٩).
- ذكر قراءته على ابن الدهان ابن خلكان^(١٠) والذهبي^(١١).
- ٥- أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير (ت ٦٠٦ هـ)^(١٢).
- من أشهر من تتلمذ عليه، ونقل عنه في كتاب البديع^(١٣).
- ٦- أبو الشاء، وأبو المجد محمود بن الحسن بن علي، المعروف بابن الأرملة (ت

(١) انظر: إنباه الرواة ٥١/٢.

(٢) ترجمته في: البداية والنهاية ٢٥٤/١٢، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبه ١١/٢.

(٣) إشارة التعيين ١٢٩-١٣٠.

(٤) البلغة ١٠٤.

(٥) انظر: المنتخب من معجم شيوخ السمعاني. (ثبت الشيوخ) ١٣/٤-١٢٥.

(٦) ترجمته في: بغية الوعاة ١٣٦/٢، وفيه ذكر أخذه عن ابن الدهان.

(٧) ترجمته في: وفيات الأعيان ٣١١/٣.

(٨) انظر: إنباه الرواة ٤٩/٢.

(٩) ترجمته في: وفيات الأعيان ٢٧٨/٥، وسير أعلام النبلاء ٤٢٥/٢١، وبغية الوعاة ٢٩٩/٢.

(١٠) انظر: وفيات الأعيان ٢٧٨/٥.

(١١) انظر: تاريخ الإسلام ١٣٣/٤٣.

(١٢) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١٤١/٤، والبدية والنهاية ٥٤/١٣، وطبقات المفسرين للدواودي ١١٢/١،

وبغية الوعاة ٢٧٤/٢. وقد أجمعوا على تتلمذه على ابن الدهان.

(١٣) انظر: مقدمة تحقيق البديع ١٠٦/١، والفصل التاسع من هذا البحث.

٦٠٦هـ) (١).

٧- أبو الرضا أحمد بن علي بن زنبور النيلي (ت ٦١٣هـ) (٢).

قال الذهبي: «تأدب على سعيد ابن الدهان» (٣).

٨- أبو الدر (٤) ياقوت بن عبد الله الرومي. (ت ٦١٨هـ) (٥).

قرأ عليه ديوان المتنبي (٦).

وقال ياقوت: وأخذ عنه الخطيب التبريزي وجماعة (٧). وهذا وهم، فإن الخطيب التبريزي أبا زكريا يحيى بن علي توفي سنة ٥٠٢هـ (٨)، وفي تلك السنة عمر ابن الدهان ثمان سنين، فكيف يكون شيخاً له (٩)!

والذي يظهر أن ثَمَّ وهماً سببه تشابه في الأسماء، فإن شيخ الخطيب هو الحسن بن رجاء

(١) ترجمته في: بغية الوعاة ٢/٢٧٦، وفيه أخذه عن ابن الدهان.

(٢) ترجمته في: تاريخ الإسلام ٤٤/١٣٥، وبغية الوعاة ١/٣٤١.

(٣) انظر: تاريخ الإسلام ٤٤/١٣٥.

(٤) هذه الكنية في معجم الأدباء (٦/٢٨٠٤) لمهذب الدين ياقوت بن عبد الله الرمي، (ت ٦٢٢هـ)، وأما تلميذ ابن الدهان فلم يكنه ياقوت بأبي الدر، في حين كناه بها غيره، وإنما كناه ياقوت بأبي محمد، ولقبه أمين الدين، كما لقبه غيره بهذا اللقب، جاء في معجم الأدباء (٣/١٣٧٠): «... فمما أنشدت من شعره ما ألقاه عليّ أمين الدين أبو محمد ياقوت الموصلي الكاتب، وكان من أعيان تلاميذه، وسمع أكثر تصانيفه...».

(٥) ترجمته في: معجم الأدباء ٦/٢٨٠٥، ووفيات الأعيان ٦/١١٩، وتاريخ الإسلام ٤٤/٤٣٤. وفيها ذكر تلمذته على ابن الدهان.

(٦) توضيح المشتبه ٥/٣١٨.

(٧) انظر: معجم الأدباء ٣/١٣٦٩.

(٨) انظر: تاريخ دمشق ٦٤/٣٤٩.

(٩) في كتاب «التنبية على الألفاظ التي وقع في نقلها وضبطها تصحيف ... في كتاب الغريين» (ص: ١٦٢-١٦٣): «كذا قرأته على شيخنا الأديب أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي الشيباني اللغوي، وكان ضابطاً، حافظاً للغة، متقناً، أخذها عن علماء العراق والشام، مثل أبي محمد الدهان، وأبي القاسم الرقي...» ثم ترجم المحقق خطأً لأبي محمد سعيد بن المبارك. (هامش رقم (١) ص: ١٦٣).

ومثل هذا الوهم وهم د. إبراهيم السامرائي في تحقيقه نزهة الألباء، فقد ترجم الأنباري لأبي محمد الدهان، فقال: «وأما أبو محمد الدهان اللغوي، فإنه كان من أفاضل أهل اللغة... وأخذ عنه أبو زكريا الخطيب التبريزي» فأفحم المحقق بين معقوفتين بعد أبي محمد (سعيد بن المبارك بن علي بن) وترجم لصاحب الغرة. انظر: نزهة الألباء ٢٦٣ هامش رقم (٥).

ابن الدهان اللغوي^(١).

مؤلفاته:

ذكر المترجمون له أكثر من عشرين مؤلفاً، منها الموجود، ومنها المفقود، وهي:

١- شرح الإيضاح والتكملة.

ذكره القفطي وياقوت وغيرهما. وذكروا أنه في ثلاثة وأربعين مجلداً^(٢).

و نقل عنه السبكي في فتاويه^(٣)، وابن النحاس الحلبي في تعليقه على المقرب، وسماه:

الشامل في شرح الإيضاح^(٤).

٢- شرح اللمع.

واسمه: الغرة في شرح اللمع. وهو في ثلاث مجلدات^(٥). وهو الكتاب الذي ندرسه.

٣- كتاب تفسير القرآن.

ذكره ياقوت، وذكر أنه في أربع مجلدات^(٦).

٤- كتاب النهاية في العروض.

ذكره ياقوت^(٦).

٥- كتاب الدروس.

ذكره القفطي^(٧)، وياقوت، ووصفه بأنه مقدمة في النحو^(٦).

٦- كتاب الفصول.

ذكر القفطي وياقوت من مصنفاته الفصول في النحو^(٨)، وذكر ابن خلكان: الفصول

الكبرى والفصول الصغرى^(٩)، وحقق د. فائز فارس لابن الدهان كتاباً بعنوان:

(١) انظر: نزهة الألباء ٢٧٠، ومعجم الأدباء ٢٨٢٣/٦.

(٢) انظر: إنباه الرواة ٥٠/٢، ومعجم الأدباء ١٣٧١/٣، ووفيات الأعيان ٣٨٢/٢.

(٣) انظر: فتاوي السبكي ٣٢٣/٢.

(٤) انظر: التعليقة على المقرب ١٦٢/١، ٣٤٧، ٨٠٥/٢، ٨٢٥.

(٥) انظر: إنباه الرواة ٥٠/٢، ومعجم الأدباء ١٣٧١/٣.

(٦) انظر: معجم الأدباء ١٣٧١/٣.

(٧) انظر: إنباه الرواة ٥٠/٢.

(٨) انظر: إنباه الرواة ٥٠/٢، ومعجم الأدباء ١٣٧١/٣.

(٩) انظر: وفيات الأعيان ٣٨٢/٢.

الفصول في العربية^(١).

٧- كتاب الدروس في القوافي والعروض.

ذكره ياقوت^(٢)، ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية رقم ١٨٦ عروض^(٣).
ونسخة في جوتا في ألمانيا برقم ٣٥٨، رقم ١^(٤).

٨- كتاب العقود في المقصور والمدود.

ذكره ياقوت^(٢)، وذكره ابن خلكان باسم: المعقود في المقصور والمدود^(٥)، ويحتمل أن يكون خطأ طباعياً.

٩- كتاب الرسالة السعيدية في المآخذ الكندية.

ذكره القفطي وابن خلكان بهذا الاسم^(٦)، وذكره ياقوت باسم: المآخذ الكندية من المعاني الطائفة^(٢)، وهو ما أخذه المتنبى من أبي تمام^(٧)، ومنه نسخة في مكتبة كوبريللي رقم ١٢٠٤^(٨).

١٠- كتاب فيه شرح بيت واحد من شعر الملك الصالح بن رزّيك، وزير صاحب مصر.

ذكره القفطي وياقوت^(٩).

١١- كتاب إزالة المرء في الغين والراء.

ذكره القفطي وياقوت وابن خلكان^(١٠).

١٢- كتاب الغنية في الضاد والطاء.

(١) نشرته مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ.

(٢) انظر: معجم الأدباء ١٣٧١/٣.

(٣) انظر: مقدمة تحقيق د. علاء رأفت لشرح أبنية سيويه ١٤.

(٤) انظر: تاريخ الأدب العربي ١٧٠/٥، ومقدمة تحقيق د. صالح العايد للفصول في القوافي ١٤.

(٥) انظر: وفيات الأعيان ٣٨٢/٢.

(٦) انظر: : إنباه الرواة ٥٠/٢، ووفيات الأعيان ٣٨٢/٢.

(٧) المصادر السابقة.

(٨) انظر: تاريخ الأدب العربي ١٧٠/٥.

(٩) انظر: إنباه الرواة ٥٠/٢، ومعجم الأدباء ١٣٧١/٣.

(١٠) انظر: إنباه الرواة ٥٠/٢، ومعجم الأدباء ١٣٧١/٣، ووفيات الأعيان ٣٨٢/٢.

ذكره ياقوت وابن خلكان^(١).

١٣- كتاب الأضداد في اللغة.

طبع بتحقيق: محمد حسين آل ياسين^(٢).

١٤- كتاب النكت والإشارات على ألسن الحيوانات.

ذكره ياقوت^(٣).

١٥- كتاب تفسير (قل هو الله أحد).

ذكره ياقوت^(٣).

١٦- كتاب شرح الفاتحة.

ذكره ياقوت^(٣).

١٧- كتاب رسائله.

ذكره ياقوت^(٣).

١٨- ديوان شعره.

ذكره ياقوت^(٣).

١٩- زهر الرياض.

وهي تذكرته، قال القفطي: رأيتها وملكته بخطه^(٤)، وتقع في سبع مجلدات^(٥).

٢٠- الرياضة في النكت النحوية.

ذكره ياقوت^(٣).

٢١- المختصر في القوافي.

حققه د. محمد الطويل، بعنوان: الفصول في القوافي^(٦)، ثم حققه د. صالح بن حسين

(١) انظر: معجم الأدباء ١٣٧١/٣، ووفيات الأعيان ٣٨٢/٢.

(٢) ط: ٢. مكتبة النهضة ببغداد. ١٣٨٢هـ.

(٣) انظر: معجم الأدباء ١٣٧١/٣.

(٤) انظر: إنباه الرواة ٥٠/٢.

(٥) انظر: إنباه الرواة ٥٠/٢، ومعجم الأدباء ١٣٧١/٣، ووفيات الأعيان ٣٨٢/٢.

(٦) نشر دار الثقافة ١٤١١هـ.

العايد^(١).

٢٢- شرح الدروس في النحو.

حققه د. إبراهيم الأدكاوي^(٢).

٢٣- شرح أبنية سيبويه.

حققه د. حسن شاذلي فرهود^(٣)، ثم حققه د. علاء محمد رأفت^(٤).

٢٤- قصيدة في الألغاز النحوية.

شرحها ابن الجباز، وسماه: الفريدة في شرح القصيدة، وقد حققه د. عبد الرحمن العثيمين^(٥).

٢٥- بلوغ الأماني في حروف المعاني.

نصّ عليه في هذا الكتاب (كتاب الغرة)، ولم أجد من ذكره، قال: «... وقد حصرناها وتكلمنا عليها حرفاً حرفاً، في كتاب مفرد ترجمناه ببلوغ الأماني في حروف المعاني»^(٦).

وقد عدّ د. صالح العايد من مؤلفاته كتاباً في الكنى، ذكر أنه ذكره في الغرة^(٧)، وعند الرجوع إلى الموضع الذي أحال إليه، لا تجد نصّاً يقطع بذلك، بل إنه يوحى بخلافه، ففي معرض حديثه عن الكنى قال: «وقد ذكرنا منه شيئاً كثيراً في كتابنا الكبير»، فلو كان كتاباً مستقلاً للكنى لعبر بما يدل على التخصيص، فلا دلالة أنّ كتابه الكبير كان في الكنى، بل يتبادر إلى الذهن شرح الإيضاح، فإنه كبير جداً، أكبر من الغرة.

صفاته وشيء من أخباره:

كان واسع العلم في العربية، نعت بسيبويه عصره^(٨)، وكان يقال: النحويون ببغداد

(١) نشر دار أشبيليا، الرياض، ١٤١٨هـ.

(٢) نشر بمطبعة الأمانة، في القاهرة، ١٤١١هـ.

(٣) نشر في دار العلوم في الرياض ط: ١، ١٤٠٨هـ.

(٤) نشر في دار الطلائع في القاهرة، بلا تاريخ.

(٥) نشر بمكتبة الخانجي عام ١٤١٠هـ.

(٦) الغرة ٢ ب.

(٧) مقدمة الفصول في القوافي ١٦. وقد أحال إلى الغرة ٢١ أ (قليج علي).

(٨) انظر: إنباه الرواة ٥١/٢، ورمّة الجنان ٣٩٠/٣، وشذرات الذهب ٢٣٣/٤.

أربعة: ابن الجواليقي وابن الشجري وابن الخشاب وابن الدهان^(١). كما كان له قدمٌ في الشعر^(٢).

ومع هذه الميزات، قد كان كثير الغلط، سقيم الخط، سيئ الحفظ^(٣)، ويُذكر له في ذلك نادرة طريفة، فقد أُملى حكايةً على ابن عساكر، ثم عرضها عليه ابن السمعاني، فقال: ما أعرفها، ثم استملاها ابن الدهان من ابن السمعاني، قال: أخبرني ابن السمعاني، عن ابن عساكر عني، روى عن شخصين عن نفسه^(٤)!

وقد كُفَّ بصره آخر عُمره، وكان من سبب ذلك أن بغداد لما غرقت سنة ٥٦٨ هـ، أهدمت داره في الغرق على كتبه، وكان جوار داره مديغة، فسرى إلى ما بقي من كتبه رائحة الجلود، فصارت في غاية النتن وسوء الحال، فأمر بحمل كتبه إليه، ثم بخرها بأربعين رطلاً من اللاذن، لتزول منها رائحة العفونة، فلم تزل، وتضررت عيناه من كثرة التبخير حتى ذهب بصره^(٥).

وكان يكتب الشعر، وقد سبق أن أشرتُ في سرد مؤلفاته إلى ديوان شعره، كما بقي من آثاره قصيدته الملعزة، التي شرحها ابن الحبار، قال القفطي: «له معرفة كاملة بالنحو، ويد باسطة في الشعر»^(٦)، إلا أن ما بقي من شعره لا يعدو أن يكون نظماً، كما هي أشعار العلماء.

ومن شعره قوله، وقد بُشِّر بولد على كبر:

قِيلَ لِي جَاءَكَ نَحْلٌ	وَلَدُ شَهْمٌ وَسِيمٌ
قُلْتُ عَزُّوهُ بِفَقْدِي	وَلَدُ الشَّيْخِ يَتِيمٌ ^(٧)

(١) إنباه الرواة ٥١/٢.

(٢) انظر: معجم الأدباء ١٣٧٠/٣.

(٣) انظر: معجم الأدباء ١٣٧١/٣، ونكت الهميان ١٥٩.

(٤) انظر: إنباه الرواة ٤٩/٢، ورفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب للسبكي ٤٣٣/٢، ووفيات الأعيان ٣٨٤/٢،

ونكت الهميان ١٥٩، وفتح المغيث للسخاوي ٣٤٣/١.

(٥) انظر: معجم الأدباء ١٣٧١/٣، وإنباه الرواة ٤٨/٢، ونكت الهميان ١٥٩.

(٦) إنباه الرواة ٤٧/٢.

(٧) انظر: معجم الأدباء ١٣٧١/٣.

وقال:

وأخِ رَحُصْتُ عَلَيْهِ حَتَّى مَلَّنِي والشَّيْءُ مَمْلُولٌ إِذَا مَا يَرُحُصُ
 مَا فِي زَمَانِكَ مَا يَعِزُّ وَجُودُهُ إِنْ رَمَتْهُ إِلَّا صَدِيقٌ مُخْلِصٌ^(١)
 ونسب إليه الفيروز آبادي أبياتاً في مدح تاج الدين زيد بن الحسن الكندي، وهي:
 يَا زَيْدُ زَادَكَ رَبِّي مِنْ مَوَاهِبِهِ نَعْمَى يُقَصِّرُ عَنْ إِدْرَاكِهَا الْأَمَلُ
 لَا بَدَلَ لِلَّهِ حَالاً قَدْ حَبَاكَ بِهَا مَا دَارَ بَيْنَ النُّحَاةِ الْحَالُ وَالْبَدَلُ
 النَّحْوُ أَنْتَ أَحَقُّ الْعَالَمِينَ بِهِ أَلَيْسَ بِاسْمِكَ فِيهِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ^(٢)

والظاهر أنَّ هذه النسبة غير صحيحة، فلم أجد من نسبها إليه، وإنما أجمع المترجمون —
 فيما اطلعت عليه — على نسبتها لأبي شجاع محمد بن علي بن الدهان الفرضي (ت
 ٥٩٠هـ)^(٣).

وفاته:

كانت وفاته — عليه رحمة الله — في الموصل، ليلة عيد الفطر سنة ٥٦٩هـ^(٤).

(١) انظر: الوافي بالوفيات ١٥٧/١٥.

(٢) انظر: البلغة ١٠٤.

(٣) انظر: وفيات الأعيان ٣٤١/٢، وسير أعلام النبلاء ٣٩/٢٢، وتاريخ الإسلام ١٤٦/٤٤، والبداية والنهاية ١٣/١٣، وبغية الوعاة ١٨٠/١-١٨١. وفي الأخير ترجمة ابن الدهان الفرضي.

(٤) انظر: معجم الأدباء ١٣٦٩/٣، وإنباه الرواة ٥١/٢، ومسالك الأبصار ٧٦/٧، والوافي بالوفيات ١٥٧/١٥، وإشارة التعيين ١٣٠، ونكت الهميان ١٥٨، وبغية الوعاة ٥٧٨/١.

الفصل الأول

منهج ابن الدهان

- المبحث الأول: طريقته في شرح اللمع.
- المبحث الثاني: طريقته في شرح شواهد اللمع.
- المبحث الثالث: طريقته في شرح أمثلة اللمع.
- المبحث الرابع: طريقته في الاستدراك على اللمع.
- المبحث الخامس: الاستقصاء والتفريع.

المنهج مشتق من (نَهَج)، وهذه المادة تعود مدلولاتها إلى الوضوح، وسمي الطريق الواضح نَهْجاً ومنهجاً ومنهاجاً^(١).

أمّا المنهج في اصطلاح الباحثين فقد عُرِّفَ بعدد من التعريفات، من ذلك:

١- «أنّه وسيلة محدّدة توصل إلى غاية محدّدة»^(٢).

٢- «هو الطريق المؤدّي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، من خلال طائفة من القواعد العامة، التي تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة»^(٣).

٣- «هو السبيل الفكري، والخطوات العملية، التي يتبعها الباحث في مساره، بقصد تحصيل العلم»^(٤).

٤- «فنّ التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إمّا من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، وإمّا من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين»^(٥).

وهذه التعريفات تجمع ركنين أساسيين، وهما:

أ- خطوات عملية تنظيمية، تتعلق بالشكل، فيدخل في ذلك طرق التصنيف، وتنظيم المسائل والفصول...

ب- قواعد عملية فكرية، تعالج طرق استنباط الأفكار، وطرق توظيفها بما يخدم القضية المدروسة.

ومباحث هذا الفصل أرادت أن توضح الطرق التنظيمية، التي سار عليها ابن الدهان في شرحه للمع، محاولةً أن تبين تأثير مراجعها الفكرية فيها.

المبحث الأول: طريقته في شرح اللمع.

المخطوطة الفريدة التي بين أيدينا لأول الكتاب فقد منها مقدار لوحة أو لوحتين، فأول الكتاب، الذي قد يذكر فيه المؤلف منهجه، مفقود، ولكن من خلال النظر يمكن أن يلخص

(١) انظر: العين ٣/٣٩٣ (نَهَج)، ومقاييس اللغة ٥/٣٦١ (نَهَج)، وتاج العروس ٦/٢٥٢ (نَهَج).

(٢) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ٣٩٣.

(٣) مناهج البحث العلمي لعبد الرحمن بدوي ٥.

(٤) منهج كتابة التاريخ الإسلامي ٨٣.

(٥) منهج البحث الأصولي ١٢.

منهجه في شرح نص اللمع بما يأتي:

أولاً: أنه يذكر نص اللمع المراد شرحه كاملاً، على شكل فقرات، تحتوي الفقرة على أكثر من جملة في الغالب. ولا يكتفي بأول الفصل، أو بجزء منه.

وقد سبقه إلى هذا الثماني والشريف الكوفي في شرحيهما للمع.

ثانياً: أنه يشرح النص المحدد شرحاً إجمالياً، ولا يعيد شيئاً من النص، إلا إذا دعت الحاجة، وذلك إذا أراد التعليق على عبارة ابن جني، كما في قوله: «وقوله: «ودخلت اللام زائدة للتوكيد» هذه عبارة النحويين في كل حرف لا يخلُ بخروجه الكلام، وإذا حُقق لم يحسن أن يكون للتأكيد وهي زائدة»^(١).

وقوله: «وأما قوله: إنَّ (لا) تنصبُ النكرة بغير تنوين، ما دامت تليها، وتُبنى معها على الفتح كخمسة عشر. فقوله: «تنصب» يدلُّ على أنَّه مُعربٌ، وقوله: «تُبنى معها» يدلُّ على أنَّه مبنيٌّ، وقوله: «النكرة بغير تنوين» ينبغي أن يُخصَّصَ، فيقول: المفردة السابقة ذكرها، وقوله: «تُبنى معها على الفتح» ينبغي أن يقول: إذا قصدتَ العموم، ثم قوله: «في الدار» يحتمل أن يكون خبراً وأن يكون صفة...»^(٢).

ثالثاً: أنه قد يشرح بعض الكلمات، التي تحتاج إلى ذلك، كقوله: «والكروان: طائرٌ، وقيل: اسمُ ذكره: كرا، وعليه عند بعضهم:

أَطْرَقَ كرا إنَّ التَّعامَ في القُرَى

والصَّمَيان: التَّقْلُبُ والوَثْبُ، وقيل: رجلٌ صَمَيان، أي: شجاعٌ»^(٣).

رابعاً: أنه كان يشير إلى اختلاف نسخ اللمع، ويعلق على كلٍّ، قال: «قال أبو الفتح: وحرفُ كُلِّ مُعربٍ آخرُهُ، نحو: الدالِ من (زيد)، والميم من (يقوم)» وفي نسخة: «وحرف الإعراب من كُلِّ مُعربٍ آخرُهُ»... وفي كلامه في الرواية الأولى حذفُ مضاف، تقديره: وحرف إعراب كل مُعربٍ»^(٤).

وختمَ باب الخبر في اللمع بقول الشاعر:

(١) ص: ٢٣١.

(٢) ص: ٢٦٦.

(٣) الغرة ٥٠ أ (قليج علي).

(٤) الغرة ٦ ب (كوبريللي).

فَقَالَتْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ أَمْرُكَ طَاعَةٌ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ كَلَّفْتُ مَا لَمْ أُعَوِّدْ^(١)

قال ابن الدهان: هذا البيت آخر الباب في أكثر النسخ، ووجدت زيادة في بعض النسخ أنا أبيّتها إن شاء الله...^(٢) ثم ذكر هذه الزيادة، قال: «قال أبو الفتح: وكذلك قولهم: لولا زيدٌ لجئتُك، فزيدٌ رفعٌ بالابتداء، وخبره محذوفٌ، تقديره: لولا زيدٌ بالحضرة، أو هنالك، وقوله: لجئتُك، جواب لولا، وصار الجواب مع العلم عوضاً عن الخبر.

قال سعيد: قوله: «وكذلك» إن أراد به أنه مثله في حذف الخبر فسهل، وإن أراد أنه مثله في كل وجه ففسد...»^(٣).

وفي باب ظرف المكان، ذكر ابن جني أربعة أمثلة، ثم استدرك ابن الدهان من نسخة أخرى عدداً من الأمثلة^(٤).

وقد يثبت نص النسخة الأخرى دون أن يعلق، قال في تعريف المبتدأ: «هُوَ كُلُّ اسْمٍ ابْتَدَأَتْهُ، وَعَرِيَّتُهُ مِنَ الْعَوَامِلِ اللَّفْظِيَّةِ، وَعَرَضَتْهُ لَهَا، وَجَعَلَتْ مَا بَعْدَهُ حَدِيثًا عَنْهُ، وَمُسْنَدًا إِلَيْهِ، وَفِي نَسْخَةٍ: وَجَعَلَتْهُ أَوَّلًا لِثَانٍ يَكُونُ الثَّانِي خَبَرًا عَنِ الْأَوَّلِ وَمُسْنَدًا إِلَيْهِ»^(٥).

خامساً: أنه قد يبدأ الباب بمقدمة يذكر فيها مسائل متعلقة بالباب، مثاله: ما صدر به باب (حتى)، إذ علّل أفراد ابن جني لها باباً خاصاً مع أنها حرف جر^(٦)، وكذلك ما صدر به باب البدل من التعرض للخلاف في العامل فيه^(٧).

سادساً: أنه قد يذيل الباب بإجمال مسائله، قال في آخر باب (لا) التي للنفي: «والذي جمع أمر (لا) هذه القسمة، وهي أن (لا) تنقسم إلى قسمين: أحدهما: غير عامل، والآخر عامل.

(١) اللمع ٣٠.

(٢) الغرة ٣٦ أ (كوبريللي).

(٣) الغرة ٣٦ ب (كوبريللي).

(٤) انظر: ٤٠٤.

(٥) انظر: الغرة ٢٣ ب (كوبريللي).

(٦) انظر: ٦٢٢.

(٧) انظر: ٧٣٥.

فغير العامل ينقسمُ إلى سبعة أقسامٍ...»^(١).

وفي ختام باب (لا) كان قد أتمَّ ذكر أبواب المرفوعات، فرأى أن يجمل المرفوعات عند أهل الكوفة، فسرد ثمانية عشر مرفوعاً^(٢).

سابعاً: أنه قد يبسط القول في المسألة، ثم يختصر في آخرها، ففي باب المبتدأ، فصل في أقوال رافع المبتدأ، ثم أجمل فقال: «فجُمْلَةُ القولِ في العاملِ في المبتدأ خمسة أقوال...»^(٣)، وإن كان مقدار كلامه بعد الإجمال قريباً من مقداره وقت التفصيل، وهذا من المآخذ القليلة، التي سأتناولها — إن شاء الله تعالى — في فصل قادم.

ثامناً: أنه يُعنى بالمصطلحات والحدود، كما يلحظ في تعريفه للمبتدأ، والفاعل، والاستثناء، والتمييز، والحال، وغيرها... يربط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، وقد يقارن بين المعنى في اصطلاح النحويين وغيرهم، من أمثلة ذلك: لما عرَّفَ ابن جني الفاعل بقوله: «اعلم أنَّ الفاعلَ عند أهل العربية كلُّ اسمٍ ذكرتهُ بعد فعلٍ، وأسندتَ ونسبتَ إليه ذلك الفعل»^(٤)، قال ابن الدهان: «الفاعلُ عند المتكلمين: مَنْ أوجدَ مقدوره...، وعِنْدَ الفلاسفة: كُلُّ مُؤثِّرٍ، وعِنْدَ أهل اللغة: الموجدُ، وعِنْدَ النحويين: اسمٌ صناعيٌّ نَقَلَهُ النحويونَ عَن مَعْنَاهُ فِي اللغةِ إِلَى مَعْنَى آخَرَ وَضَعَ لَهُ، وَحَقِيقَتُهُ فِي الْوَضْعِ النَّحْوِيِّ أَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ الفعلِ وَلَا يَصِحُّ تَقْدُمُهُ عَلَيْهِ...»^(٥).

يلحظ جمعه لحده في أكثر من علم، ثم إشارته إلى الفرق بين معناه في اللغة ومعناه في اصطلاح النحويين.

وقال في تفسير مصطلح (المبتدأ): «إنما سُمِّيَ هذا الاسمُ الذي يكونُ على الشرائطِ التي ذَكَرَهَا مُبْتَدَأً؛ لِأَنَّ الاسمَ أَيْنَ وَقَعَ كَانَ مَعْمُولاً، وَلَا يَكُونُ عَامِلُهُ فِي الرُّبْعَةِ إِلَّا قَبْلَهُ، وَهَذَا الْمُبْتَدَأُ لَا عَامِلَ قَبْلَهُ مَلْفُوظاً بِهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْهُ عَامِلٌ فِي اللَّفْظِ، وَالنَّحْوَةُ يَخْتَصِرُونَ فِي

(١) ص: ٢٩٣.

(٢) انظر: ٢٩٤.

(٣) الغرة ٢٤ أ (كوبريللي).

(٤) اللمع ٣١.

(٥) الغرة ٣٧ ب - ٣٨ أ (كوبريللي).

أوضاعهم...»^(١).

وفي مطلع باب التمييز ربط المعنى الاصطلاحي الذي ذكره ابن جني بالمعنى اللغوي، لما فسره لغوياً، فقال: «إنما سُمِّيَ التمييزُ تمييزاً لَأَنَّهُ يُزِيلُ مِنَ الْكَلَامِ إِهْمَاماً مَا، كَانَ لَوْلَا هُوَ مُحْتَمَلاً، وَيُسَمَّى التَّيْبِينَ، وَالتَّفْسِيرَ»^(٢).

ومثل ذلك لما عرّف المضارع، قال: «قَوْلُهُ: «مُضَارِعٌ» مَعْنَاهُ مُشَابِهٌ، وَالْمُضَارَعَةُ الْمُشَابَهَةُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الضَّرْعُ ضَرْعاً لِمُشَابَهَتِهِ أَخَاهُ»^(٣).

وفي باب الاستثناء وقف عند التعريف وقفة طويلة نسبياً، وذكر عدداً من الأقوال، ووازن بينها، عاضداً كل رأي بمن قال به من الفقهاء^(٤).

المبحث الثاني: طريقته في شرح شواهد اللمع.

عُنِيَ ابن جني في اللمع بالشواهد، كما أشرت إلى ذلك في الحديث عن اللمع، سواء الشواهد القرآنية، أو شواهد الشعر.

فأما شواهد القرآن الكريم فلا يعدو أن يكون ابن الدهان مبيناً لوجه الاستشهاد، أو شارحاً له، وأمثلة هذا كثيرة، منها هذا الموضع من باب البدل:

«قَالَ أَبُو الْفَتْحِ: وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ : < = > ﴿٥﴾،
فَهَذَا بَدَلُ الْكُلِّ مِنَ الْكُلِّ^(٦)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿C B A @ ? >﴾^(٧) فَهَذَا بَدَلُ
الاشْتِمَالِ^(٨). قَالَ سَعِيدٌ: أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ : < = > فَهُوَ بَدَلُ
الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ وَهُوَ هُوَ، أَلَا تَرَى أَنَّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ هُوَ الصِّرَاطُ الَّذِي أَنْعَمَ بِهِ عَلَى
الْقَوْمِ الْمُهْتَدِينَ، فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿G F E I C B A @ ? >﴾ فَهَذَا بَدَلُ

(١) الغرة ٢٣ ب (كوبريللي).

(٢) ص: ٤٧٤.

(٣) الغرة ٤ ب (كوبريللي).

(٤) انظر: ٤٩٣ وما بعدها.

(٥) الفاتحة: ٦، ٧.

(٦) تقدمت في اللمع على الآية السابقة. وفيه: فهذا بدل الكل.

(٧) البقرة: ٢١٧.

(٨) اللمع ٨٩.

اشتِمال؛ لأنَّ الشَّهْرَ الحَرَامَ لَيْسَ بِالْقِتَالِ، وَلَا الْقِتَالُ بِبَعْضِهِ، وَالْقِتَالُ مَصْدَرٌ، وَالشَّهْرُ لَيْسَ كَذَلِكَ...»^(١).

أما شواهد الشعر، فكان يبحث فيها أكثر من ذلك، فهو يبين وجه الاستشهاد بها من خلال شرحه، وفي آخر الفصل يذكر قائل البيت، ويصحح نسبته إن كان ثمت خطأ، وقد يورد المناسبة، وأبياتاً من القصيدة، ويمكن أن تُجمل وقفاته مع الشاهد في نقاط:

أ- بيان وجه الاستشهاد.

يكاد هذا لا يتخلف، ومن أمثلة ذلك قوله: «... فَأَمَّا الْبَيْتُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَنْشَدَهُ وَهُوَ:
أَلْقَى الصَّحِيفَةَ كَي يُخَفِّفَ رَحْلَهُ وَالزَّادَ حَتَّى نَعْلَهُ أَلْقَاهَا
فَالثَّلَاثَةُ الْأَوْجُهُ جَائِزَةٌ فِيهِ: الرَّفْعُ وَالنَّصْبُ وَالْجَرُّ، أَمَّا الرَّفْعُ فَمِنْ وَجْهَيْنِ:
أَحَدُهُمَا: أَنْ يَرْفَعَهُ بِالْإِبْتِدَاءِ، وَ(أَلْقَاهَا) خَبْرُهُ، كَمَا ذَكَرَ، وَيَكُونُ حَرْفًا مِنْ حُرُوفِ
الْإِبْتِدَاءِ.

وَالْآخَرُ أَنْ يَكُونَ حَرْفًا عَاطِفًا، وَيَكُونُ قَدْ عَطَفَ جُمْلَةً اسْمِيَّةً عَلَى جُمْلَةٍ فِعْلِيَّةٍ ...
وَأَمَّا النَّصْبُ فَمِنْ وَجْهَيْنِ:
أَحَدُهُمَا: أَنْ تَكُونَ (النَّعْلُ) مَعْطُوفَةً عَلَى (الزَّادِ)، وَيَكُونُ (أَلْقَاهَا) تَوْكِيدًا ... وَتَكُونُ
فِيهِ (حَتَّى) حَرْفَ عَاطِفٍ.
وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنْ يُنْصَبَ (النَّعْلُ) بِفِعْلِ مُضْمَرٍ بَعْدَ (حَتَّى)، وَيَكُونُ (أَلْقَاهَا) تَفْسِيرًا لَهُ
... وَيَكُونُ حَرْفًا مِنْ حُرُوفِ الْإِبْتِدَاءِ ...
وَأَمَّا الْجَرُّ فَبِحَتَّى وَيَكُونُ (أَلْقَاهَا) تَوْكِيدًا...»^(٢).
ب- نسبة البيت إلى قائله.

وأمثلة هذا كثيرة جداً^(٣)، ويذكر الروايات في القائل، قال في نسبة قول الشاعر:
فلا أبَ وابنًا مثلَ مروانَ وابنِهِ إذا ما ارتدى بالمجدِ ثمَّ تَأَزَّرَا
«...» وأما البيت فللفرزدي، وقد قيل: هو للناطقة الجعدي فيما حكاه يونس^(٤).

(١) ص: ٧٥٣.

(٢) ص: ٦٣١.

(٣) انظر على سبيل المثال: ٢٧٤، ٢٧٨، ٣٨٣، ٤١٨، ٦٣٢ ...

(٤) ص: ٢٨١.

وقد يغفل النسبة، ومن ذلك إغفاله الحديث عن قول الراجز:

يَعْجُبُهُ السُّخُونُ وَالْبُرُودُ وَالتَّمَرُ حُبًّا مَالَهُ مَزِيدُ^(١)

كما لم ينسب قول الشاعر:

فَكُونُوا أَنْتُمْ وَبَنِي أَبِيكُمْ مَكَانَ الْكُلَيْتَيْنِ مِنَ الطُّحَالِ^(٢)

كما أغفل الحديث عن بيتي عبد الله بن قيس الرقيات:

بَكَرَ الْعَوَازِلُ فِي الصَّبْوِ حَ يَلْمَنَنِي وَأَلُومُهُنَّهْ

وَيَقْلَنَ شَيْبٌ قَدْ عَلَا لَكَ وَقَدْ كُبُرْتَ فَقُلْتُ إِنَّهُ^(٣)

ولم يتبين لي ضابط في ترك النسبة، فالبيتان الأولان غير معروف في القائل على وجه التحديد، وإغفاله للنسبة له العذر فيه، إلا أن البيتَين الآخرين معروف قائلهما، نص عليه سيويوه وغيره.

ج- تصحيح نسبة البيت.

ومن أمثلة ذلك قوله: «والبيتُ الذي أوردَهُ وذكر أَنَّهُ لِأُمِيَّةَ، وهو للفرزدق، وقبله:

إِنِّي حَلَفْتُ وَلَمْ أَحْلِفْ عَلَى فَنَدٍ فِنَاءَ بَيْتٍ مِنَ السَّاعِينَ مَعْمُورِ^(٤)

وتصحيحه موافق للصواب، فهو في ديوان الفرزدق^(٥)، ولم أقف على من ذكر أنه لأمية.

د- ذكر روايات البيت.

ومن ذلك قوله: «والبيتُ الذي أنشده يُنشدُ وحرفُ رُوِيهِ القافُ، ويُنشدُ وحرفُ رُوِيهِ العينُ، فإذا أنشد بالقاف فالبيت لأنس بن العباس...»^(٦). وقوله: «والبيتُ الذي أنشده مُعَيَّرٌ عَمَّا فِي دِيوَانِ شَاعِرِهِ، وَهُوَ الْجُمَيْحُ الْأَسَدِيُّ...»^(٧).

هـ- ذكر أبيات من القصيدة.

(١) انظر: ٣١١.

(٢) انظر: ٤٢١.

(٣) انظر: ٢٤٠.

(٤) الغرة ١٩ أ (قليج علي).

(٥) انظر: ديوان الفرزدق ٢٦٤/١.

(٦) ص: ٢٧٤.

(٧) ص: ٥٤٨.

يعمد إلى ذلك أحياناً، فيذكر بيتاً أو أكثر قبل الشاهد أو بعده^(١).

المبحث الثالث: طريقته في شرح أمثلة اللمع.

اعتمد ابن جني على الأمثلة اعتماداً كبيراً في هذا الكتاب، وذلك لأن في الأمثلة توضيحاً وتيسيراً للقاعدة، وهو من مقاصد التأليف في هذه المختصرات، وكان ابن جني يستعمل المثال في شرح بعض القواعد^(٢)، فهو على سبيل المثال لم يشرح الضمير إلا بالمثال^(٣)، وتعريفه للمفعول معه لا يمكن أن يكتفى به لولا المثال^(٤).

ولهذا أخذت الأمثلة حيزاً كبيراً من الكتاب، وهي في غالبها واضحة ظاهرة، ولذا كان حديثه عن أمثلته داخلاً في شرحه، لا يقف عندها ولا يبحث فيها، إلا إن اعترض على شيء منها، كما قال في باب البدل: «ليس في جميع ما مثل به حجة...»^(٥)، بل إنه قد يصرح باكتفائه في الكلام عن الأمثلة في موضع سابق، كقوله: «أما المثال على بدل الكل من الكل فقد تقدم بما يغني عن إعادته»^(٦).

ومما يذكر في تعرضه للأمثلة، ما وقع في باب ظرف المكان، فقد مثل ابن جني بأربعة ظروف، فاستدرك ابن الدهان من نسخة أخرى من اللمع غير تلك الظروف، كما سبق الإشارة إلى ذلك في المبحث السابق.

وكان حريصاً على تتبع نص ابن جني كاملاً، لا يريد أن يترك شيئاً دون أن يشرحه أو يعلق عليه، ومن ذلك الأمثلة، إلا أن يواجه عارضاً في الترتيب، يضطره إلى تكرار أو إغفال، كما حصل له في باب التوكيد، إلا أنه تخلص من التكرار، وذكر شيئاً مفيداً.

ففي مطلع الباب قدم الكلام على أمثلة التوكيد لما سردها ابن جني في أول الباب^(٧)، ثم لما مثل ابن جني لكل لفظ، أحال إلى ما قدمه أول الباب، ولم يجب أن يترك الفصل دون

(١) انظر على سبيل المثال: ٢٧٨-٢٧٩، ٣٨٣، ٧٥٨-٧٥٩.

(٢) انظر: خصائص التأليف النحوي ١٣٣.

(٣) انظر: اللمع ٩٩.

(٤) قال: «وهو كل ما فعلت معه فعلاً، وذلك قولك: قمت وزيداً...» (اللمع ٦٠).

(٥) ص: ٧٥٤.

(٦) ص: ٧٤٧.

(٧) ص: ٥١٤-٧١٥.

تعليق، فتكلم عن أحكام عطف بعض هذه الألفاظ على بعض، قال: «قَدْ قَدَّمْنَا الْكَلَامَ عَلَى هَذِهِ الْأَمْثِلَةِ، وَلَا بُدَّ أَنْ يُقَالَ فِي هَذَا الْفَصْلِ شَيْءٌ، فَاعْلَمْ أَنَّ الصِّفَاتِ يَجُوزُ أَنْ يُعْطَفَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ بِالْوَاوِ...»^(١).

المبحث الرابع: طريقته في الاستدراك على اللمع.

اللمع - كما هو معلوم - كتاب مختصر، لكنَّ ابنَ الدهان جعل من شرحه كتاباً موسَّعاً، من منهجه فيه الاستقصاء والشمول - كما سيتبين إن شاء الله - لذا كان مُستدرِكاً على ابن جني في أحيان كثيرة، ويمكن أن أجمل استدراكاته بثلاث صور:

الأولى: أن يستدرك باباً بأكمله، ويدخله في الشرح، كما فعل في باب الضرورة، حين جر الحديث إليها في باب (كان)^(٢)، وقد نص على طريقته هذه في مقدمة حديثه عن الأبواب التي ألحقها على الشرح، فقال: «... فهذه جملة الكلام على أبواب الكتاب المنبوز باللمع، وقد ضمناها نُكْتاً من أبواب... ولم نُفرد لها أبواباً، لكن نظمناها في سلك التماثيل، التي أشار إليها، ألا ترى أنه قال في باب (كان): «وقد يجعلُ الشاعرُ اسمَ كانَ نكرةً وخبرها معرفةً للضرورة»، وأنشد البيت، فذكرتُ ضرورة الشعر في هذا الفصل، وكذلك ما أشبههُ حسب الطاقة»^(٣).

الصورة الثانية: أنه يستدرك أبواباً على الكتاب، لم يجر لذكرها مناسبة، فلم يتكلف تطلب مناسبة لذكرها، فألحقها في آخر الكتاب، قال بعد النص السابق مباشرة: «وبقيتُ أبوابٌ لا مَسَاغَ لدخولها في ضمنِ أبوابِهِ إلاَّ على طريقِ التكلُّفِ الذي نبا عنِ المقصودِ، فأفردنا لها أبواباً، وهي ستة أبواب: بابُ الإخبار بالذي والألف واللام، باب الهجاء، باب المقصور والممدود، باب التقاء الساكنين، باب الهمز، باب أسماء المصادر»^(٤).

الصورة الثالثة: أنه يضمن شرحه مسائل لم يتعرض لها في المتن، وهذا كثير جداً، ومن أمثلة ذلك: أنه عند شرحه لقول ابن جني: «والمعرفة توصف بالمعرفة...» الفصل^(٥) تكلم عن

(١) ص: ٧٢١.

(٢) الغرة ٥٠ أ (كوبريللي).

(٣) الغرة ٣١٥ أ (قليج علي).

(٤) الغرة ٣١٥ أ (قليج علي).

(٥) اللمع ٨٢.

جريان الصفة على الموصوف من حيث التذكير والتأنيث، قال: «واعلم أنَّ الصفة تجري في التأنيث والتذكير على ثمانية أضرب...»^(١).

ومن ذلك استدراكه لأحكام (لا سيَّما) في باب الاستثناء، حيث لم يذكرها ابن جني في أدواته، فتحدّث عنها^(٢).

ومن ذلك أيضاً حديثه عن إعراب الضمير المتصل بعد (لولا)، والأقوال فيه^(٣). وتحدّث عن تعدد الخبر، قال: «واعلم أنَّك إذا قلت: هذا حُلُوٌّ حامضٌ فهما خبران، وهذا مشكلٌ...»^(٤).

الصورة الرابعة: أنه يستدرك على عبارته ما يراه من نقص فيها، كقوله في باب المصدر: «وقوله: «وهو وفعله من لفظ واحد» إنَّ كانَ له فعلٌ، ألا ترى أنَّ في المصادرِ ما لا أفعالَ لها، نحو: وَيَلِّ وَيُوجِّ، وَيُوسِّ...»^(٥).

المبحث الخامس: الاستقصاء والتفريع.

الاستقصاء: أن يذكر كل ما يتعلق بالقضية من أحكام، أو أنواع، أو نظائر... وقد يرجع المسألة إلى أصل واحد، ثم يذكر فروعها، وما يندرج تحت كل فرع، حتى يصل إلى المسألة المرادة.

ويمكن أن أجمل مظاهر استقصائه في نقاط:

أ- استقصاء النظائر.

والنظائر قسمان، نظائر لفظية، ونظائر معنوية.

فمن استقصائه النظائر اللفظية، ذكره في باب (إنَّ) كل ما كان على هذه اللفظة، من فعل أو اسم أو حرف، فذكر أنَّ (إنَّ) تأتي على عشرة أنحاء، وذكر منها: أنها تأتي بمعنى (نعم)، وتأتي فعلٌ أمر للنساء، وفعلًا ماضيًا، وفعلٌ أمرٍ من الأنين، وفعلٌ أمرٌ للأنثى من

(١) ص: ٦٧٩.

(٢) انظر: ٤٩٦.

(٣) انظر: الغرة ٣٧ أ (كوبريللي).

(٤) الغرة ٣٧ أ (كوبريللي).

(٥) ص: ٢٩٩.

(وأي) إذا وعد، ثم تلحق به نون التوكيد الثقيلة...^(١).

ومن ذلك تقسيمه لأن وأن المخففتين، وأن كل واحدةٍ منهما تأتي على أربعة أضرب، وذكر (إن) الشرطية، والنافية...^(٢).

أما النظائر المعنوية، فهو يُعنى بذكرها متى ما أدّاه المقام إلى ذلك، ففي مختتم باب (لا) النافية للجنس أبعاد أدوات النفي، ورتبها حسب مراتبها في إفادة النفي^(٣). كما استقصى ما يفيد معنى الاستثناء، من حروف، أو أسماء، أو تراكيب، مما لم يذكره ابن جني، فذكر (بله) و(بيد) و(لا سيما)^(٤).

ب - استقصاء الأقسام.

وذلك أن يذكر جميع الأقسام التي تتفرع من المسألة المدروسة، أو الأنواع التي تفرعت منها تلك المسألة، فمثال الأول: ذكره لأقسام الإضافة، لما شرح الضرب الأول من تقسيم ابن جني للإضافة، وهو الإضافة بمعنى اللام، فقال: «الإضافة التي بمعنى اللام على ضربين: إضافة محضة وإضافة غير محضة، ولم يذكر منها إلا قسمًا واحدًا، والإضافة المحضة على ضربين: إضافة ملك، وإضافة تخصيص، وإضافة الملك: دار زيد، وثوب عمرو، وإضافة التخصيص: سرج الدابة... والإضافة غير المحضة أربعة أشياء: اسم الفاعل...»^(٥).

ومثال الثاني، أنه في باب العطف لما أراد الحديث عن الواو العاطفة، قسم الواو إلى قسمين، وفي كل قسم أقسام، الواو العاطفة واحدة من أحد هذه الأقسام، قال: «الواو لا تخلو أن تكون متصلة بالكلمة اتصالاً واو (جوهر) أو منفصلة، فإذا كانت متصلة فلا يخلو أن تكون أصلاً أو زائدة، فالأصل نحو: وعد، وثوب، وعدو، والزائدة تكون للإلحاق وغير الإلحاق، ولا تكون أولاً زائدة البتة، فالتي للإلحاق نحو: حوّل وجوهر وجهور وسنور، أو للمدّ نحو: عجز، أو للتكثير نحو: قمحذوة.

وأما المنفصلة فسبع واوات: الأولى: جامعة عاطفة. والثانية: جامعة غير عاطفة. والثالثة:

(١) ص: ١٩٣.

(٢) ص: ٢٥٥.

(٣) انظر: ٢٦٧.

(٤) انظر: ٤٩٦.

(٥) ص: ٦٤٢-٦٤١.

وَأَوْ قَسَمَ. الرابعة: وَأَوْ الْحَالِ. الخامسة: وَأَوْ رُبَّ...»^(١).

ومثل هذا تماماً عند حديثه عن الفاء قال: «الفاء تَكُونُ أَصْلًا وَبَدَلًا وَمُتَبِعَةً وَزَائِدَةً، فَالْأَصْلُ تَكُونُ فَاءً وَعَيْنًا وَلَا مَاءً... وَمُتَبِعَةٌ عَلَى ضَرْبَيْنِ: مُتَبِعَةٌ عَاطِفَةٌ، وَمُتَبِعَةٌ غَيْرُ عَاطِفَةٍ، فَالْمُتَبِعَةُ الْعَاطِفَةُ...»^(٢).

ج- جمع مسائل متفرقة في موضع واحد.

قد يعتمد إلى جمع مسائل متفرقة قد تحدث عنها، في موضع واحد إذا دعا إلى ذلك داعٍ، ففي باب (لا) النافية لما جرّه الحديث إلى أقسام النفي قال: «... وَذَلِكَ أَنَّ مَرَاتِبَ النَّفْيِ تَنْقَسِمُ إِلَى أَقْسَامٍ قَدْ سَبَقَ ذِكْرُهَا، لَكِنَّا نُعِيدُهُ لِأَنَّ الْمَوْضِعَ يَقْتَضِيهِ...»^(٣). ولما بحث أحكام الاستثناء بإلّا، جمع الحالات التي ينتصب فيها ما بعد إلّا، وحصرها في ست^(٤).

د- استقصاء التقسيمات.

من عنايته بالاستقصاء، أن يعدد التقسيمات، ففي باب المفعول به، لما كان الحديث عن التعدي، قسم الفعل المتعدي إلى ثلاثة أضرب: «ضربٌ يتعدّى بنفسه، وضربٌ يتعدّى بقرينة، وضربٌ يتعدّى تارةً بنفسه وتارةً بقرينة...»^(٥). ثم ذكر القرائن، وأخذ يفصلها ويمثل لها. ثم عاد إلى التقسيم الأول، فتحدث عن الضرب الثالث الذي يتعدّى تارةً بنفسه وتارةً بقرينة^(٦).

ثم ذكر بعد ذلك قسمة ثانية، تتصل بأثر الفعل في الخارج، قال: «وله قسمة ثانية، وهو أن الأفعال على ضربين: ضربٌ حقيقيٌّ، وضربٌ غير حقيقيٍّ، فالحقيقيُّ على ضربين: قاصرٌ وغير قاصرٍ، فالقاصرُ قد ذكرنا حكمه، وغير القاصرِ على ضربين: مؤثّرٌ وغير مؤثّرٍ، فالمؤثّرُ

(١) ص: ٧٧٢.

(٢) ص: ٧٨٤.

(٣) ص: ٢٦٧.

(٤) انظر: ٥٠٥.

(٥) ص: ٣١٩.

(٦) انظر: ٣٢١.

نحو: ضربتُ، وغيرُ المؤثرِ نحو: مدحتُ وهجوتُ، ألا ترى إلى تعدّيهما على الغائبِ؟ وأفعالُ النفسِ من هذا القبيلِ في عدمِ التأثيرِ، لا في عدمِ التعديةِ.

وغيرُ الحقيقةِ على ثلاثةِ أضربٍ: فعلٌ مستعارٌ، نحو قولك: ماتَ زيدٌ، ووقعَ الحائطُ، وفعلٌ يدلُّ على زمانٍ وليس يُرادُّ أنَّ الأسماءَ المسندةَ إليها فاعلةٌ في الحقيقةِ لذلكِ الفعلِ، وذلكَ نحو قولك: كانَ زيدٌ قائماً، وفعلٌ منقولٌ عن جهتهِ، وهو قولك: لأريَنَّك هُنا، وقد تقدّمَ ذكرُهُ^(١).

هـ - العناية بالفروق والمناسبات.

من مظاهر استقصائه، عنايته بالفروق والمناسبات بين الأبواب النحوية، فقد سرد الفروق والمناسبات بين الحال والتمييز^(٢)، وبين البدل من جهة، والتوكيد والوصف من جهة أخرى، قال: «والمُناسبةُ بينَ التَّوكِيدِ وَالبَدَلِ أَهْمَا تَكْثِيرَانِ يَلْحَقَانِ الْأَوَّلَ فِي أَحَدِ أَقْسَامِ البَدَلِ، وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لَا يَتَقَدَّمُ عَلَى صَاحِبِهِ، وَأَنَّ إِعْرَابَهُمَا كإِعْرَابِ مَا يَجْرِيانِ عَلَيْهِ، وَأَنَّكَ فِي التَّوكِيدِ مُشَدَّدٌ مَعْنَى الْمُؤَكَّدِ، وَكَذَلِكَ فِي البَدَلِ تُعْنَى بِالْأَوَّلِ فَتَبْدُلُ مِنْهُ... وَمِنْ المُقَارَبَةِ الَّتِي بَيْنَ الوَصْفِ وَالبَدَلِ أَنَّ الصِّفَةَ مُوضَّحَةٌ كَمَا أَنَّ البَدَلَ مُوضَّحٌ...»

والمُبَايَنَةُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الصِّفَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِمَا يُشْتَقُّ أَوْ بِتَقْدِيرِ ذَلِكَ، وَالبَدَلُ لَا يَلْزَمُ ذَلِكَ فِيهِ...»^(٣).

ومثل ذلك أيضاً ما ذكره من أوجه الشبه بين المستثنى والمستثنى منه والمضاف والمضاف إليه، قال: «وَلِلْمُسْتَثْنَى وَالْمُسْتَثْنَى مِنْهُ شَبَهٌ بِالمُضَافِ وَالمُضَافِ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: جَاعَنِي قَوْمُكَ إِلَّا نَاساً مِنْهُمْ، فَتَقْدِيرُهُ: جَاعَنِي أَكْثَرُ قَوْمِكَ، أَوْ أَقَلُّ قَوْمِكَ، أَوْ بَعْضُ قَوْمِكَ، وَلِهَذَا الْمَعْنَى جَازَ: مَا قَامَ إِلَّا زَيْدٌ، فَحَذَفَتِ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ فِي اللَّفْظِ، كَمَا جَازَ حَذْفُ الْمُضَافِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَ ز﴾^(٤)، وَلَمْ يُجْزَ حَذْفُ الْمُسْتَثْنَى وَإِرَادَتُهُ كَمَا لَمْ يُجْزَ حَذْفُ الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَإِرَادَتُهُ بغيرِ دَلِيلٍ، وَمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ فَيَسِيرٌ...»^(٥).

(١) ص: ٣٢٤.

(٢) انظر: ٤٧٤.

(٣) ص: ٧٣٨-٧٣٩.

(٤) يوسف: ٨٢.

(٥) ص: ٥٠٦.

كما كان يذكر الفروق والمناسبات بين بعض الأدوات، أو المسائل الجزئية، فمن ذلك ما ذكره من الشبه والمباينة بين (إلا) الاستثنائية و(لا) العاطفة، قال: «وَلَا (إِلَّا) شَبَهُ بِلَا العاطفة من وجه، ومُبايَنة من وجه، فوجه شَبَهِهَا بِهَا أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: جَاءَ الْقَوْمُ إِلَّا زَيْدًا، فَهُوَ بِمِثْلَةِ قَوْلِكَ: جَاءَ الْقَوْمُ لَا زَيْدًا، وَأَمَّا وَجْهُ مُبَايِنَتِهَا فَإِنَّ (لَا) قَدْ يَكُونُ مَا قَبْلَهَا مُفْرَدًا فَيُعْطَفُ عَلَيْهِ بِهَا مُفْرَدًا، وَلَيْسَتْ (إِلَّا) كَذَلِكَ، وَإِنَّكَ قَدْ تَحْذِفُ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ فِي اللَّفْظِ وَلَا تَحْذِفُ الْمُعْطُوفَ عَلَيْهِ فِي اللَّفْظِ، وَإِنَّ مَا بَعْدَ (إِلَّا) قَدْ يُحْذَفُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ، نَحْوُ: لَيْسَ إِلَّا، وَلَيْسَ كَذَلِكَ (لَا)، وَإِنَّ (إِلَّا) تَكُونُ فِي النَّفْيِ وَالْإِيجَابِ، وَ(لَا) لَا تَكُونُ إِلَّا فِي الْإِيجَابِ...»^(١).

ومثل ذلك أيضاً ما ذكر من الفرق والمناسبة بين الضمير المجرور والضمير المنصوب^(٢)، والفرق بين (إمّا) و(أو)^(٣)، والفرق بين (ليت) و(لعل)^(٤)، والفرق بين (أن) المفسرة والمصدرية^(٥). إلى غير ذلك.

ومع هذا التوسع الظاهر، والاستقصاء للمسائل، والاستدراك على المؤلف، إلا أنه نص على أن كتابه هذا كتاب اختصار، قال: «وَلِلَّكُوفِيِّ فِي هَذَا كَلَامٌ صَدَفْنَا عَنْهُ لِأَنَّهُ كِتَابُ اخْتِصَارٍ»^(٦)، وأيضاً حينما أضاف بعض الأبواب على شرحه، اعتذر عن إضافة بابي التصريف والإدغام، بحجة أن الحديث عنهما لا يمكن أن يحيط به الاختصار! قال: «فَأَمَّا التصريفُ والإدغامُ، فَعَدَلْنَا عَنْهُمَا لِكَوْنِهِمَا بَابَيْنِ يُرْبِي ذِكْرُهُمَا عَلَى الْاِخْتِصَارِ...»^(٧).

وهذا الاختصار الذي يعنيه، إنما هو بالنظر إلى ما هو أوسع منه، ولعله كان مقارناً شرحه للغرة بشرحه للإيضاح، الذي ذكر المترجمون أنه يقع في ثلاثة وأربعين مجلداً، في حين أنهم ذكروا أن الغرة في ثلاثة مجلدات. وإلا فالتوسع في هذا الكتاب ظاهر.

(١) ص: ٥٠٦.

(٢) انظر: ٨٣٢.

(٣) انظر: ٨٢٣.

(٤) انظر: ٢٠٤.

(٥) انظر: ٢٥٦.

(٦) ص: ٤٩٢.

(٧) الغرة ٣١٥ أ (قليج علي).

الفصل الثاني

مصادر ابن الدهان

المبحث الأول: العلماء.

المبحث الثاني: الكتب.

المَصْدَرُ في اللغة، من صدرَ يَصْدُرُ صَدْرًا وَصُدُورًا، أي رجع، ومنه: صدر عن الورد، أي انصرف عنه. قال تعالى: ﴿F E DC BA﴾^(١)، أي: يصدروا إبلهم، أو ينصرفوا^(٢).

والمصدر: ما يصدرُ عنه الشيء^(٣).

وهو في اصطلاح الباحثين: «ما يحوي مادّةً عن موضوع ما»^(٤). والمقصود بها في هذا الفصل، الكتب التي استمدّ منها ابن الدهان مادته العلمية، والرجال الذين أخذ عنهم.

وابن الدهان قد عاش في القرن السادس الهجري، فهو مسبق بقرون ازدهر فيها هذا العلم، وكثر البحث والتصنيف فيه، وعمد ابن الدهان في (الغرة) إلى التوسع، والعناية بالخلاف، فاحتاج إلى مراجعة مصادر كثيرة لاستدراك المسائل وتوضيحها، والاستشهاد لها، وذكر الخلاف فيها.

وأودُّ في مستهل هذا الفصل أن أعرض لشيءٍ من ملامح تعامل ابن الدهان مع مصادر مادته العلمية.

أ- النص على المصدر.

ينص على بعض مصادره، ككتاب سيويه^(٥)، والمسائل للأخفش^(٦)، والمقتضب^(٧)، وغيرها، ولم أجد له منهجاً في ذلك، فهو لا يقارن بين أقوال العالم في كتبه، ولا أجد للنص على المصدر من سبب غير التوثيق.

ب- الاكتفاء بذكر العالم الذي ينقل عنه.

(١) القصص: ٢٣.

(٢) انظر: اللسان (صدر) ٤/٤٤٨، وتاج العروس (صدر) ١٢/٢٩٤.

(٣) انظر: المعجم الوسيط (صدر) ٥١٠.

(٤) انظر: البحث العلمي حقيقته ومصادره ١/٩١.

(٥) انظر: الغرة ٣٤٩، ٣٦٢.

(٦) انظر: ٢١٩، ٢٤٥.

(٧) انظر: ٤٩٩.

وكان يغفل كثيراً النصّ على المصدر، مكثفياً في أغلب الأحيان بذكر العالم الذي ينقل عنه، وهذا العالم يُقطع بأنه لم يأخذ منه مباشرة.

وأحياناً يسلك سبيل الإيهام في العالم الذي ينقل رأيه، فيقول: قال بعضهم^(١)، أو قيل^(٢)، بالبناء للمجهول، ولم أجد له منهجاً في هذا الإيهام، فمعظم الذين أهتم أسماءهم قد ذكرهم في مواضع أخرى، كالأخفش والفراء وغيرهما. غير أنه أهتم من لم يذكره مطلقاً، وقد وقفت على اثنين منهم، وهما:

١- الصيمري. قال: «وسمعتُ أن بعضهم جَوَزَ النصبَ في قولهم: كُلُّ رَجُلٍ وَضِيعَتُهُ، عَلَى إِعْمَالِ الْخَبْرِ الْمُضْمَرِ»^(٣). وهذا الرأي للصيمريّ، ذكره في التبصرة^(٤)، وهو مما تفرد به، ونقله عنه غير واحد^(٥).

٢- عبد القاهر الجرجاني. قال: «وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا قُلْتَ: أَفْضَلُ الْقَوْمِ، فَهُوَ مُنْفَصِلٌ مِنْ وَجْهِهِ وَغَيْرُ مُنْفَصِلٍ مِنْ وَجْهِهِ، أَمَّا وَجْهُ انْفِصَالِهِ فَتَصَوُّرُ مَعْنَى (مِنْ) فِيهِ، وَأَمَّا وَجْهُ اتِّصَالِهِ...»، وذكر مسائل أخرى بعد هذه، كلها قد ذكرها عبد القاهر في المقتصد^(٦).

ج- إغفال المصدر.

رأيت في أحيان كثيرة لا يذكر عالماً، ولا مصدراً، ولا ينسب القول إلى بعضهم، وذلك عند التعرض لبعض المسائل الشائعة، التي يكثر تداولها وتناقلها بين العلماء^(٧).

وكان يغفل شراح اللمع الذين سبقوه، كالثمانيني وابن برهان، فلم يشر إلى أحد منهم، ووقفت على موضع نقله من ابن برهان نصاً، وهو قوله: «قال المبرد: (رُبَّ) يُنبئُ عَنْ مَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ كَانَ وَلَيْسَ بِالكَثِيرِ، فَلِذَلِكَ لَا يَقَعُ إِلَّا عَلَى نَكْرَةٍ؛ لِأَنَّ مَا بَعْدَهَا يَخْرُجُ مَخْرَجَ التَّمْيِيزِ، فَـ(رُبَّ) مَعْنَاهَا الشَّيْءُ يَقَعُ قَلِيلاً، وَلَا يَقَعُ ذَلِكَ الشَّيْءُ إِلَّا مَنْكُوراً؛ لِأَنَّهُ

(١) انظر على سبيل المثال: ٢٩٦، ٣١٥، ٣٥٦...

(٢) انظر: ٤٣٩.

(٣) ص: ٤٩٢.

(٤) ٢٥٧/١.

(٥) كالرضي في شرح الكافية ٦٣٠/٢/١، وأبي حيان في الارتشاف ١٤٨٣/٣. وانظر تعليق محقق التبصرة ٢٥٧/١

هامش رقم (١).

(٦) ٨٨٨-٨٨٥/٢.

(٧) انظر على سبيل المثال: ٥٦ أ (كوبريللي).

مُفْرَدٌ يَدُلُّ عَلَى أَكْثَرِ مِنْهُ»^(١). فقولُه: فـ(رب) معناها... هذا نص المبرد^(٢)، والنص كله عند ابن برهان إلا أنه قال: (قال محمد بن يزيد) بدل: (قال المبرد)^(٣).

وفي باب النعت نقل عن بعضهم نقلاً وجدته في شرح ابن برهان بتغيير يسير جداً، والنقل عن الربيعي، فيحتمل أن يكون النقل عنه، أو أنهما نقلاً من مصدر واحد^(٤).
وحينما بحث قضية كون الواو للترتيب أو لمطلق الجمع اتفقت أدلته مع أدلة شراح اللمع قبله اتفاقاً كبيراً^(٥).

د - دقة النقل.

كان غالب نقل ابن الدهان بالمعنى، والنصوص التي نقلها نصاً وجدت فيها تغييرات يسيرة عن أصولها، كتغيير المثال، أو تقديم كلمة على أخرى، ولعل هذه التغييرات راجعة إلى اختلاف النسخ.

فمن ذلك ما نقله عن سيبويه: «تَقُولُ: مَا أَدْرِي أَقَامَ أَوْ قَعَدَ، إِذَا أَرَدْتَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا شَيْءٌ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: لَا أَدَّعِي أَنَّهُ كَانَ مِنْهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ قِيَامٌ وَلَا قُعُودٌ، أَي: لَمْ أَعُدَّ قِيَامَهُ قِيَاماً وَلَمْ يَسْتَبِنْ لِي قُعُودٌ بَعْدَ قِيَامِهِ»^(٦)، والنص في الكتاب: «... كَأَنَّهُ قَالَ: لَا أَدَّعِي أَنَّهُ كَانَ مِنْهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ قِيَامٌ وَلَا قُعُودٌ، بَعْدَ قِيَامِهِ، أَي: لَمْ أَعُدَّ قِيَامَهُ...» فأضاف «بعد قيامه» وهي كما أشار الأستاذ عبد السلام هارون أنها زيادة من النسخة المطبوعة^(٧).

وكان كتاب الأصول لابن السراج مما أكثر ابن الدهان من الرجوع إليه، وقد نقل عنه نصاً في بعض المواضع، غير تلك الاختلافات اليسيرة^(٨).

وقد تطال هذه الاختلافات الأمثلة المسموعة، فمن ذلك أنه نقل عن الأخفش أنه

(١) انظر: ٥٧٩..

(٢) انظر: المقتضب ١٣٩/٤.

(٣) شرح اللمع ١٧١/١.

(٤) انظر: ٦٧٨.

(٥) ص: ٧٧٧ وما بعدها، وانظر: شرح اللمع لابن برهان ٢٣٨/١ وما بعدها، وشرح اللمع للواسطي ١١٦ وما بعدها، والبيان في شرح اللمع ٢٦٩.

(٦) ص: ٨١٠-٨١١.

(٧) انظر: الكتاب ١٧٢/٣. هامش رقم (١).

(٨) انظر: ٥٥٤-٥٥٥، ٦٠٣.

روى: «زَيْدٌ فَوْجِدٌ»^(١)، ولفظه عند الأخفش: «أخوك فوجد»^(٢).

وقد وقفت على وهمين في أسماء الرجال، وهما:

١ - أنه قد استشهد بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قوله للضحاك بن سفيان: «إِذَا أُتِيَتْهُمْ فَارْبِضْ فِي دَارِهِمْ ظَبِيًّا» وقد رواه عن الضحاك بن قيس، والراوي هو الضحاك بن سفيان^(٣).

٢ - أنه نقل عن ابن سيرين أنه سأل (عبدَ السلمي) عَنْ قَوْلِهِ: ﴿...﴾^(٤)، والمثبت من شيوخ ابن سيرين: عبيدة السلماني^(٥)، ونص على هذا الأثر الخطابي نسباً إياه إلى عبيدة السلماني^(٦).

المبحث الأول: العلماء:

لم أجد ابن الدهان يحكي عن شيخ له، فلم يصرح بالتحديث ولا بالسماع، ولم يذكر له المترجمون شيوفاً في النحو، كما سبق أن أشرت في ترجمته. وبالنظر إلى تراث ابن الدهان، وخاصة الغرة، نجد أنه قد نقل عن جمع كبير جداً من العلماء، يصعب الإحاطة بهم وبمواضع ذكره إياهم، فأحببت أن أقتصر على الإشارة إلى من أكثر من النقل عنهم، وسأذكر في آخر المبحث جمعاً من غيرهم على وجه الإجمال. وقد نقل عن كثير من العلماء دون أن يصرح بكتبهم، ونقل عن آخرين مصرحاً بكتبهم، فأثرت أن أقسم الفصل إلى مبحثين، أحدهما لمن نقل عنهم دون أن يصرح بكتبهم، والثاني لمن صرح بكتبهم أو نقل عنها بالنص.

فمن نقل عنهم من العلماء:

١ - علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩ هـ).

(١) انظر: ٧٨٧.

(٢) انظر: معاني القرآن ٣٠٦/١.

(٣) انظر: ٣١٦.

(٤) انظر: ٣٣٦.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء ٦٠٦/٤.

(٦) انظر: غريب الحديث للخطابي ٢٦/٣.

نقل ابن الدهان عن الكسائي كثيراً^(١)، وقد وقفت على بعض أقواله في كتب الفراء^(٢)، وابن السراج^(٣)، والسيرافي^(٤)، وهي مما أكثر ابن الدهان من النقل عنها.

٢- أحمد بن يحيى، المعروف بثعلب (ت ٢٠٥هـ).

روى عنه بالواسطة في موضع واحد، قال: «وَقِيلَ: إِنَّ ثَعْلَبًا قَطَعَ فِي مَجْلِسٍ بِقَوْلِهِمْ: شَتَّى تَوْوَبُ الْحَلْبَةُ»^(٥)، ولم أقف عليه في المجالس المطبوع، ونقل عنه إنشاد بيتين، وقفت على أحدهما في المجالس^(٦)، وأورد بعض آرائه^(٧).

٣- يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ).

نقل ابن الدهان عن الفراء كثيراً، فكان كتابه: معاني القرآن، من مصادره الأساسية، يظهر ذلك في نقله لتقريرات الفراء على الآيات، كما في قوله: «وَقَوْلُ الْفَرَاءِ إِنَّهُ مَفْعُولٌ مُغْنٍ عَنِ الْمَفْعُولِينَ لَا يَتَّجِهْ؛ لَأَنَّهُ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَوَانُ يَتَرَكُ ذَلِكَ﴾»^(٨) فَقَدْ وَقَعَ مَوْقِعَ الْجُرَازِينَ؛ لِأَنَّ (بَيْنَ) لَا تُضَافُ إِلَى مُفْرَدٍ^(٩)، وهذا فاسد؛ لِأَنَّ مُفْرَدَ (ذَلِكَ) عَائِدٌ إِلَى مَعْنَى الْكَلَامِ، وَ(بَيْنَ) إِنَّمَا يَفْتَقَرُ إِلَى اثْنَيْنِ فِي تَقْدِيرِ مُفْرَدٍ إِعْرَاباً أَوْ إِلَى وَاحِدٍ مَعْطُوفٍ عَلَيْهِ، فَأَمَّا إِلَى الْجُمْلَةِ فَلَا»^(١٠).

٤- هشام بن معاوية الضير (ت ٢٠٩هـ).

نقل عنه غير مرة، ولم يشر إلى مصدر له، ونعته بالكوفي^(١١).

٥- سعيد بن مسعدة الأخفش (ت ٢١٥هـ).

(١) انظر مثلاً: ١٩٣، ٢٠٣، ٢٤٤، ٢٦٥...

(٢) انظر: ٢٤٤، ٦٨١.

(٣) انظر: ٢٦٥.

(٤) انظر: ٥٠٠.

(٥) ص: ٤٥٦.

(٦) انظر: ٦٣٦.

(٧) ٣٧١، ٦٧١، ٧٧٨.

(٨) البقرة: ٦٨.

(٩) انظر: معاني القرآن ١/٤٥.

(١٠) ص: ٣٣٩.

(١١) انظر: ٤٦٨.

نقل عن الأخفش كثيراً، وصرّح ببعض كتبه، كما سيذكر في المبحث القادم إن شاء الله، وقد وقفت على بعض ما نسب له في معاني القرآن، كما في قوله: «وَأَجَازَ الْأَخْفَشُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَخْرَجَ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ﴾»^(١) أَنْ يَكُونَ (الْأُولَيَانِ) صِفَةً (آخَرَيْنِ)؛ لِأَنَّهُ لَمَّا وَصَفَهُ اخْتَصَّ^(٢)، وَهَذَا لَا يَقُولُ بِهِ بَصْرِيُّ غَيْرُهُ^(٣). وأيضاً نقل استدلال الأخفش بقوله تعالى: ﴿[Y X W V U T S] \ []^(٤) على بدل المظهر من المضمّر إذا كان الأول مخاطباً^(٥).

ومما يشعر بنقله من المعاني قوله في الكلام على (أَنْ) المخففة من الثقيلة: «ووجدتُ كلامَ الأخفش يدلُّ على أَنَّهُ لَيْسَ مَعَ الْخَفِيفَةِ شَيْءٌ مَحذُوفٌ»^(٦)، فقد جاء في المعاني: «وتكون خفيفة في معنى الثقيلة، في مثل قوله: ﴿U T S﴾»^(٧)... على قولك: وأَنَّهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ... ولكن هذه إذا خففت وهي إلى جنب الفعل لم يحسن إلا أَنْ معها (لا) حتى تكون عوضاً من ذهاب التثقيل والإضمار، ولا تعوّض (لا) في قوله: ﴿U T S﴾؛ لأنها لا تكون - وهي خفيفة - عاملة في الاسم، وعوّضتها (لا) إذا كانت مع الفعل لأنهم أرادوا أن يبينوا أنه لا تعمل في هذا المكان، وأنها ثقيلة في المعنى...»^(٨).

كما نسب إلى الأخفش إنشاد بيت وقفت عليه في المعاني^(٩). وقد نسب له قولاً وفي المعاني ما يخالفه، وذلك أنه نقل عنه أن (لات) ليس لها عمل^(١٠)، وفي المعاني حَكَمَ أَنَّهَا مَشْبَهَةٌ بِلَيْسَ فِي الْمَعْنَى وَالْعَمَلِ^(١١).

(١) المائة: ١٠٧.

(٢) انظر: معاني القرآن ٤٧٩/٢.

(٣) ص: ٦٧٩.

(٤) الأنعام ١٢. واستدلال الأخفش في المعاني ٤٨٢/٢.

(٥) ص: ٧٤١.

(٦) ص: ٢٣٧.

(٧) يونس: ١٠.

(٨) ٢٩٣/١ - ٢٩٤.

(٩) انظر: ٧٧٤.

(١٠) انظر: ٢٩٢.

(١١) انظر: معاني القرآن ٦٧٠/٢.

٦- أبو عمر الجرمي (ت ٢٢٥ هـ).

نقل عنه عدة مرات^(١)، وقفت على موضعين صرّح بالنقل بالواسطة، فأحدهما عن المبرد^(٢)، والثاني عن الفارسي^(٣).

٧- المازني (٢٤٩ هـ).

وقفت على بعض مواضع نقله عنه في المقتضب^(٤)، والأصول^(٥)، وبعض كتب الفارسي كالإيضاح^(٦) والبغداديات^(٧)، وشرح السيرافي^(٨) وغيرها.

٨- أبو إسحاق الزجاج (٣١١ هـ).

نقل عن معاني القرآن له، كما سيأتي إن شاء الله.

ووقفت على أحد نقوله عنه في ما ينصرف وما لا ينصرف^(٩).

ونقل عنه نقولاً يُقطع بأنها غير مباشرة، وذلك كما إذا قال: «ما ذكر عن الزجاج»^(١٠).

وقد وقفت على بعض نقوله عنه في مصادر أخرى نقل عنها ابن الدهان، كالأصول^(١١) وشرح السيرافي للكتاب^(١٢).

٩- مبرمان (ت ٣٢٦ هـ).

أكثر تلميذه السيرافي من النقل عنه في شرح الكتاب، وقد نقل عنه ابن الدهان، وقفت على أحد نقوله عنه^(١٣) في شرح الكتاب للسيرافي.

(١) انظر: ٢٩٢، ٣٣٥، ٣٦٨، ٤٢٤...

(٢) انظر: ٥٤٢.

(٣) انظر: ٥٤٩.

(٤) انظر: ٤٨٢.

(٥) انظر: ٢٩٢، ٤٨٢.

(٦) انظر: ٣٦٥.

(٧) انظر: ٥١٥.

(٨) انظر: ٥١٣، ٨٣٣.

(٩) انظر: ٧١٩.

(١٠) انظر: ٣٥٤.

(١١) انظر مثلاً: ٣٣٤.

(١٢) انظر مثلاً: ٣٠٦، ٤٤٥، ٥٠٠.

(١٣) انظر: ٥٢٠.

وفي موضع آخر، تبين عبارة ابن الدهان أنه لم ينقل من كتبه، فإنه قال: «هذا القول رأيته محكيًا عن مبرمان»^(١).

١٠ - الرماني (ت ٣٨٤هـ).

نقل ابن الدهان عنه عددًا من النقول^(٢)، وليس فيها ما يقطع بالأخذ عن كتبه أو ينفيه، إلا أن بعض المواضع وقفت عليها في شرح الرماني لكتاب سيبويه^(٣).

١١ - أبو طالب العبدى (ت ٤٠٦هـ).

نقل عنه عدة مرات^(٤)، عبارته في أحدها تشير إلى أنه نقل من أحد كتبه، قال: «وَرَأَيْتُ الْعَبْدِيَّ قَدْ مَنَعَ مِنْ عَمَلِ (أَحْمَر) وَ(أَسْوَد) فِي الظَّاهِرِ»^(٥).

أمَّا العلماء الذين لم يكثر من النقل عنهم، فأذكر منهم على سبيل الإجمال: ابن دريد^(٦)، وأبا طاهر عبد الواحد بن عمر بن أبي هاشم^(٧)، وعلي بن سليمان (الأخفش الأصغر)^(٨)، والأثرم^(٩)، وابن درستويه^(١٠)، وابن خالويه^(١١) وغيرهم.

المبحث الثاني: الكتب:

أردت في هذا المبحث الحديث عن الكتب التي ذكرها ابن الدهان، واعتمد عليها مصادر لمادته العلمية، وقد قسمتها حسب مادتها على النحو التالي:

أ) كتب إعراب القرآن ومعانيه.

١ - معاني القرآن وإعرابه للزجاج:

(١) انظر: ٢١٢.

(٢) انظر: ٢٦٩، ٣٧٠، ٤١٩، ٥٥٣، ٨٠٤.

(٣) انظر: ٣٧٠، ٥٥٣.

(٤) انظر: ٢٢٢، ٦٩٧.

(٥) ص: ٦٩٧.

(٦) الغرة ٣ أ (كويريلي).

(٧) الغرة ٨ أ (قليج علي).

(٨) الغرة ٥ أ (قليج علي).

(٩) الغرة ٣ ب (كويريلي).

(١٠) انظر: ٧٦٢، ٧٨٩.

(١١) انظر: ٥٣٤.

نقل عن الزجاج كثيراً، ونصَّ على معاني القرآن في بعضها^(١)، ومن نقله عن المعاني قوله: «قال الزجاج: الجرُّ في «والأرحام» خطأ في العربيَّة وخطأ في الأصول، أمرُ الدينِ عَظِيمٌ؛ لأنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «لا تحلفوا بآبائكم» فكيف يكون يتساءلون به وبألرحم على ذا؟ ورأيتُ إسماعيلَ بنَ إسحاقَ يذهبُ إلى أنَّ الحلفَ بغيرِ الله أمرٌ عَظِيمٌ، وأنَّه خاصٌّ بالله تعالى»^(٢)، وهذا النص في معاني القرآن وإعرايه بتغيير يسير^(٣).

كما وقفت على كثير من نقوله عنه في المعاني^(٤).

كما نقل عنه مردفاً ردَّ الفارسي عليه^(٥)، وهذا محتمل أن يكون النقل عن الإغفال.

٢ - تفسير القرآن للمفضل بن سلمة:

ذكر المترجمون من كتب المفضل: ضياء القلوب في تفسير القرآن^(٦)، وسماه الخطيب البغدادي: ضياء القلوب في الأدب^(٧)، وعدَّ أبو الطيب اللغوي من كتبه: معاني القرآن^(٨). ونقل عنه إنشاد بيت. قال: «وأنشد المفضل في تفسير القرآن»^(٩).

ونقل عن المفضل دون تصريح بكتاب في بحث قولهم: (لهنَّك لرجل صدق)^(١٠).

ب) كتب النحو.

١ - كتاب سيبويه.

أكثر ابن الدهان من النقل عن سيبويه، ولا غرابة في هذا، فعن كتابه يصدر النحويون، وقد نقل عنه نصًّا في بعض المواضع^(١١)، كما صرَّح باسمه في مواضع أخرى، كقوله:

(١) انظر: ٧٧٧.

(٢) ص: ٨٣٤.

(٣) ٦/٢.

(٤) انظر على سبيل المثال: ٣٩٠، ٤٧٣، ٥٢٥، ٧٤٦.

(٥) انظر: ٢٣٧-٢٣٨.

(٦) انظر: إنباه الرواة ٣/٣٠٥، ومعجم الأدباء ٦/٢٧٠٩.

(٧) انظر: تاريخ بغداد ١٥/١٥٦.

(٨) انظر: مراتب النحويين ١٥٤.

(٩) ص: ٧١٣.

(١٠) انظر: ٢٢٣.

(١١) انظر مثلاً: ٣٤٩، ٨١٠-٨١١.

«ووجدتُ في كتاب سيبويه ما يدل على هذا...»^(١)، «وأنشدوا البيت وهو في كتاب سيبويه...»^(٢)، «... وفي الكتاب: بُتُّ زيدا يقول ذاك...»^(٣).

٢- الحدود للفراء.

مما ذكر المترجمون من كتب الفراء: «الحدود»^(٤)، وقد صرح به ابن الدهان، قال: «... ورواه الفراء في الحدود عن الكسائي...»^(٥).

٣- المسائل للأخفش.

ذكر المترجمون من مصنفات الأخفش المسائل الكبير، والمسائل الصغير^(٦)، وقد نقل عنهما ابن الدهان، فصرح بالنقل عن المسائل الكبير^(٧)، وصرح بالنقل عن المسائل الصغير^(٨)، وأهم فاكتمى بـ (المسائل) في مواضع أخر^(٩). وكان معنيًا بذكر أقوال الأخفش، فقد تردد اسمه كثيراً، ونص على ذكر بعض عباراته نصًّا، وعلى تفرده بالرأي بين نظرائه البصريين^(١٠).

٤- المقتضب.

كان المبرد من الذين أكثر ابن الدهان من النقل عنهم، وذكر آرائهم، إلا أن النقل لم يكن من المقتضب في جميعها، فقد نقل عن مسائل الغلط، وعن كتب وسيطة كالأصول لابن السراج^(١١).

(١) ص: ٣٤٩.

(٢) ص: ٣٦٢.

(٣) ص: ٣٧٠.

(٤) انظر: معجم الأدباء ٦/٢٨١٥، وفيه: ألفه بأمر المأمون، وإنباه الرواة ٤/٢٢.

(٥) ص: ٥٩٦.

(٦) انظر: إنباه الرواة ٢/٤٢.

(٧) انظر: ٢١٩، ٢٤٥، ٣٠٥، ٦٦٣.

(٨) انظر: ٥٠٢.

(٩) انظر: ٢٥٤، ٤٩٥.

(١٠) في ص: (٢٣٣) قال: «هذه عبارة الأخفش وحده». وفي ص: (٦٧٩): «وَهَذَا لَا يَقُولُ بِهِ بَصْرِيٌّ غَيْرُهُ».

(١١) انظر: ٣٧٠.

إلا أنه نص على المقتضب^(١).

وقد أشرت في أول الفصل إلى نقله من ابن برهان نصاً للمبرد في المقتضب.

وقد وقفت على أكثر نقوله عنه في المقتضب^(٢).

٥ - ما أغفل سيبويه.

هكذا ورد اسم الكتاب عند ابن الدهان، قال: «وحكى المبرّد في ما أغفل سيبويه عن البغداديين...»^(٣).

وقد ذكر من مصنفاته: الرد على سيبويه^(٤)، ومسائل الغلط^(٥)، وكأن الدكتور محمد عبد الخالق عزيمة لم يقطع بأتهما كتاب واحد، قال: «ولست أدري أهما كتابان أم كتاب واحد»^(٦)، إلا أنه فيما بعد قرن بين التسميتين، فعنون حديثه عنه في مقدمة تحقيقه للمقتضب بـ«رد المبرد على سيبويه أو مسائل الغلط»^(٧)، وإلى أهما كتاب واحد مالت د. خديجة الحديشي^(٨).

وقد وقفت على بعض أقواله التي في (مسائل الغلط)، وذلك في الانتصار لابن ولاد^(٩).

٦ - كتاب الخلاف لثعلب.

ذكر المترجمون من كتب ثعلب كتاباً في الخلاف، اسمه: اختلاف النحويين^(١٠). وهو ذو أهمية كبيرة، فهو أول ما صنّف في الخلاف^(١١).

وقد نقل عنه ابن الدهان، قال: «وحكى ثعلب في كتاب الخلاف عن الكسائي أن

(١) انظر: ٤٩٩.

(٢) انظر مثلاً: ٣٩٠، ٣٩٩، ٤٥٥.

(٣) ص: ٢٥٧.

(٤) انظر: الفهرست ٨٨، ومعجم الأدباء ٦/٢٦٨٤.

(٥) انظر: الخصائص ١/٢٠٦، ٣/٢٨٧.

(٦) أبو العباس المبرد وأثره في علوم العربية ١٢٣.

(٧) ص: ٨٩.

(٨) انظر: المبرد سيرته ومؤلفاته ١٥٩.

(٩) انظر مثلاً: ٤٣٠، ٣٩٩، ٥٣٥...

(١٠) انظر: الفهرست ١١٠، ومعجم الأدباء ٢/٥٥٢، ووفيات الأعيان ١/١٠٢، وسير أعلام النبلاء ١٤/٧.

(١١) انظر: من تاريخ النحو ٩١، والخلاف بين النحويين ٦٨، ٦٠٧.

العرب قالت: إن أحد خير من أحدٍ إلا بالعافية»^(١).

٧- كتاب الابتداء لابن كيسان.

ذكر المترجمون من كتب ابن كيسان كتاب الوقف والابتداء^(٢)، وقد نقل ابن الدهان عن كتاب الابتداء له، فهل هذه التسمية من باب الاختصار، وهو المقصود؟ قال: «وذكر ابن كيسان في كتاب الابتداء: عبد الله نفسه الظريف أخوك، وقدم كلاماً يقتضي أن يكون (الظريف) صفة»^(٣).

ونقل عنه نقولاً أخرى مغفلاً ذكر المصدر^(٤).

٨- الأصول لابن السراج.

نقل ابن الدهان عن ابن السراج كثيراً، ووجدت أكثرها في الأصول^(٥)، وفي بعض المواضع كان نقله عنه بالنص^(٦).

وكما أشرت قبل، فإنه نقل عن بعض العلماء عن الأصول^(٧).

٩- أمالي الزجاجي.

ذكر البغدادي أن للزجاجي أمالي كبرى، وأمالي صغرى^(٨). وذهب الأستاذ عبد السلام هارون إلى أن الزجاجي لم يقسم تلك الأمالي هذا التقسيم، وأن ذلك من صنع التلاميذ^(٩). وعلى كل حال، فلم يطبع إلا جزء من الأمالي.

وقد نقل ابن الدهان عن الزجاجي عدة مرات، صرح في أحدها بالنقل عن أماليه^(١٠)، ولم أجده في المطبوع منها.

(١) الغرة ٥٦ أ (كوبريلي).

(٢) انظر: إنباه الرواة ٥٩/٣، ومعجم الأدباء ٢٣٠٧/٥.

(٣) ص: ٧٢٤.

(٤) انظر: ٤٣٨، ٥٤١، ٧٩٦.

(٥) انظر مثلاً: ٤٩٩، ٥٥٣، ٥٥٥، ٦٤٤...

(٦) انظر: ٥٥٥، ٥٦٤، ٦٠٣.

(٧) انظر: ٣٧٠، ٤٩٨.

(٨) انظر: الخزانة ٢٣/١.

(٩) انظر: مقدمة تحقيقه لأمالي الزجاجي ١٦-١٧.

(١٠) انظر: ٣٥١.

ووجدت بعض نقوله عنه في حروف المعاني له^(١).

وروى عنه إنشاد بيت، وقفت على نقله عن الزجاجي في الخصائص^(٢).

١٠ - مصنفات أبي علي الفارسي:

تردد الفارسي في هذا الجزء من الغرة كثيراً، فكان أحد مصادره الأساسية، وصرّح بالرجوع إلى جملة من كتبه، كالتذكرة^(٣)، والقصریات^(٤)، والإيضاح^(٥)، والشيرازيات^(٦)، كما وقفت على كثير مما نسب له في بقية كتبه^(٧).

وكان يقارن بين آرائه في كتبه، ومن أمثلة ذلك قوله: «... ورأيتُ الباء في شعر التميمين، وفي كلام الفارسي ما يشهد بصحة ذلك، ورأيتُ في كتاب الإيضاح يمنع منه ... ورأيتُ في البغداديات قد منع أن تدخل في خبر التميمية ونص عليه»^(٨).

١١ - شرح السيرافي لكتاب سيويه.

ورد ذكر السيرافي مرات متعددة، وقد وقفت على كثير منها في شرح الكتاب^(٩)، وفي أحدها إشارة ظاهرة إلى شرح الكتاب، وذلك في قوله: «كذا ذكر السيرافي في تأويل ما قاله سيويه»^(١٠).

١٢ - مصنفات ابن جني.

ذكر ابن الدهان بعض كتب ابن جني، كالتمام^(١١)، والخاطر (لعله يريد الخاطريات)^(١٢)،

(١) انظر: ١٩٥.

(٢) انظر: ٤٨٣.

(٣) انظر: ٧٣٣.

(٤) انظر: ٢٣٥.

(٥) انظر: ٥٨٤.

(٦) انظر: ٣٥٤.

(٧) انظر مثلاً: ٦٠٩، ٧٦٣.

(٨) الغرة ٥٥ ب (كوبريللي).

(٩) انظر: ٢٣٥، ٢٦٤، ٣٣٤، ٥٠٢...

(١٠) ص: ٢٦٧.

(١١) انظر: ٤٣٨.

الخاطريات^(١)، و«التذكرة المهدبة عن الفارسي»^(٢)، وأحال مرةً إلى بعض كتبه بالإجمال: «كذا حكاة عثمان في بعض كتبه»^(٣)، ووقفت على بعض ما نقل عنه في التنبيه على شرح مشكلات الحماسة^(٤)، والخاطريات^(٥).

ج) كتب اللغة:

١ - الغريب المصنف.

نقل عن أبي عبيد ناصباً على الغريب المصنف، ويسميه: (الغريب)^(٦)، وقد وقفت على نقله فيه.

٢ - الزاهر لابن الأنباري.

نقل عن ابن الأنباري عدة نقول^(٧)، صرح في أحدها بالزاهر^(٨)، وقد وقفت عليه فيه. كما يشعر برجوعه لكتب اللغة بعض شواهد، التي لم أقف عليها إلا في واحد من كتب اللغة، كالمخصص^(٩)، وتهذيب اللغة^(١٠)، وأساس البلاغة^(١١).

وقد استشهد بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكره علماء اللغة، وهو قوله للضحاك بن سفيان: «إِذَا أَتَيْتَهُمْ فَارْبِضْ فِي دَارِهِمْ ظَبْيًا» وقد رواه ابن الدهان عن الضحاك ابن قيس^(١٢)، والراوي في جميع المصادر هو الضحاك بن سفيان، إلا الأزهري في تهذيب اللغة، فقد ذكره في موضعين، موضع نسبه النسبة الصحيحة للضحاك بن سفيان^(١٣)،

(١) انظر: ٧٢٤.

(٢) انظر: ٨٣٣. وانظر الحديث عنها في مؤلفات ابن جني.

(٣) ص: ٧٨٤.

(٤) انظر: ٤٣٩.

(٥) انظر: ٤٥١.

(٦) انظر: ٥٥١، ١٨٢ أ (قليج علي).

(٧) انظر: ٥٥١، ٧٩٩، ٨٢٢.

(٨) انظر: ٥٥١.

(٩) انظر: ٤٥٤، ٦٩٣.

(١٠) انظر: ٥٤١.

(١١) انظر: ٧٠٢.

(١٢) انظر: ٣١٦.

(١٣) (ربض) ٢٦/١٢.

والموضع الآخر نسبة للضحاك بن قيس^(١)، فالذي يظهر أنَّ ابن الدهان تابعه في هذه النسبة، خاصةً وقد صرَّح بالنقل عنه في أوائل الكتاب^(٢).

وقد نقل عن الفراء أنَّ (ظننت) تأتي بمعنى القسم، وأنشد:

أظنُّ لا تَنقُضي عَنَّا زيارتُكم حتَّى تَكُونَ بِواديِنا البَسَاتينُ^(٣)

وهذا النقل والإنشاد لم أجده إلا في غريب الحديث للخطابي، وقد رواه عن الفراء بالسند^(٤)، فلعل ابن الدهان نقل عنه.

(١) (ظلي) ٣٩٩/١٤.

(٢) الغرة ١ ب (كوبريللي).

(٣) انظر: ٣٣٥.

(٤) قال الخطابي: «أخبرني أبو عمر، قال: أنبأنا أبو العباس ثعلب، أنا سلمة، عن الفراء قال: من العرب من يقول:

أظن. بمعنى أقسم، وأنشد...» (غريب الحديث ٢٦/٣-٢٧).

الفصل الثالث

الخلاف النحوي عند ابن الدهان وموقفه منه

المبحث الأول: عناية ابن الدهان بالخلاف.

المبحث الثاني: موقفه من البصريين.

المبحث الثالث: موقفه من الكوفيين.

المبحث الرابع: موقفه من ابن جني.

يقع الخلاف بين العلماء، نتيجة لاختلافات منهجية، أو ثقافية، أو عصبية، أو لتفاوت في مستويات التحليل، أو كل هذه الأسباب مجتمعة.

وقد نشأ الخلاف عند النحويين مبكراً، وأوّل المصنفات النحوية التي وصلت إلينا، وهو كتاب سيبويه، يحتوي على مسائل خلافية، كالتّي بينه وبين شيخيه: الخليل، ويونس، كما كان ينقل أقوالاً لأبي جعفر الرؤاسي، وينعته بالكوفي^(١).

وقد بلغ الخلاف مبلغاً كبيراً بين سيبويه والكسائي، حتى وصل إلى المناظرة والحاجة، والمسألة الزنبورية شاهد على هذا.

أما التصنيف في الخلاف، فقد تأخر حتى أواخر القرن الثالث الهجري، حين ألف ثعلب كتاباً في اختلاف النحويين، وكان ضمنه الانتصار للمذهب الكوفي، مما جعل البصريين يردون عليه، كابن كيسان، وأبي جعفر النحاس، وابن درستويه وغيرهم^(٢).

المبحث الأول: عناية ابن الدهان بالخلاف.

كانت عناية ابن الدهان بالخلاف في الغرة عناية ظاهرة، فلا تكاد تجد مسألة جزئية أو كلية، إلا أشار إلى ما فيها من خلاف، وكان يُعقب ذلك بذكر الأدلة، والحجج والتعليلات، وقد يختار ما يراه صواباً.

ويمكن أن تقسم المسائل الخلافية التي بحثها أقساماً:

١ - مسائل خلافية بين الفريقين، البصريين والكوفيين.

فقد بحث في هذا الجزء المحقق على سبيل المثال أكثر من ثلاثين مسألة خلافية بين البصريين والكوفيين.

وهذه المسائل منها مسائل مشهورة، أثبتها الأنباري والعكبري في كتابيهما في الخلاف، كأصل المشتقات^(٣)، وشرط كون التمييز نكرة^(٤)، ورافع خبر (إن) وأخواتها^(٥)، وغير ذلك.

(١) انظر: الخلاف بين النحويين ٢٥.

(٢) انظر: من تاريخ النحو ٩١.

(٣) انظر: ٣٠٠.

(٤) انظر: ٤٧٤.

(٥) انظر: ١٩١.

ومنها مسائل خلافية قليلة الورود، وإنما ذكرها بعض العلماء، كتمام (مررت)، قال ابن الدهان: «و(مَرَرْتُ) عِنْدَ الْكُوفِيِّ عَلَى ضَرَبَيْنِ: تَامَّةٌ، وَنَاقِصَةٌ، فَالتَّامَةُ: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ، فَمَا وَرَدَ مِنَ النِّكَرَاتِ بَعْدَ زَيْدٍ نُصِبَ عَلَى الْحَالِ، وَالنَّاقِصَةُ: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ الظَّرِيفِ، فَيَنْصَبُونَ بِهَا كَمَا يَنْصَبُونَ بِكَانَ، وَهَذِهِ لَا يَعْرِفُهَا الْبَصْرِيُّ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ»^(١). وكمنع وقوع (بل) في الإيجاب^(٢)، وغير ذلك.

ومن عنايته بالخلاف أنه لما انتهى من باب المرفوعات، وقد ذكر في أثنائها كثيراً من المسائل الخلافية بين الفريقين، إلا أنه أحب أن يستقصيها جميعاً، فقال: «وحيث انتهيت من المرفوعات وذكر حدودها عند أهل البصرة، فلنذكرها على المذهبين...»^(٣)، وقد أشرت إلى هذا في الفصل السابق.

ومما يدل على إلزامه نفسه بذكر الخلاف، اعتذاره لما صدف عن كلام الكوفي في إحدى المسائل^(٤)، ونقل نصه في الفصل الأول، فهذا يعطي دلالة ظاهرة على عنايته بالخلاف والتزام إيراده.

٢- مسائل خلافية بين علماء المدرسة الواحدة.

فقد بحث مسائل خلافية بين سيبويه والأخفش، كالخلاف في رافع الخبر^(٥)، وفي المفعول الثاني لظننت وأخواتها إذا كان الأول (أن) ومعموليه^(٦). كما ذكر مسائل خلافية بين سيبويه والمبرد، كتعدي (دخل) ولزومه^(٧)، واختلاف الناصب في نحو: ما أنت وزيداً، وكيف أنت وقصعة من ثريد^(٨). وذكر اختلاف الكوفيين الفراء وهشام في ناصب المفعول به^(٩).

(١) ص: ٤٦٥.

(٢) انظر: ٨٠٢.

(٣) انظر: ٢٩٤.

(٤) انظر: ٤٩٢.

(٥) انظر: ٢٦٧.

(٦) انظر: ٣٥٥.

(٧) انظر: ٣٩٩.

(٨) انظر: ٤٣٠.

(٩) انظر: ٣١٨.

وذكر مسائل خلافية بين المتأخرين، كالرمانى وابن السراج، فقد ذكر اختلافهما في نحو: ما جاءني إلا زيدٌ إلا عمرو، فلا يجوز رفع (عمرو) من حيث كان للفعل فاعلان مفردان بغير عطف، فمنع منه ابن السراج، وأجازه الرمانى^(١).
وذكر الخلاف في أيّ قسمي الأفعال أسبق، الحال، أو المستقبل، بين الزجاج وابن السراج والفارسي^(٢).

٣- مسائل خلافية أخرى.

لم تقتصر عنايته بالخلاف على المسائل النحوية المتداولة، وإنما مدّ ذلك إلى ما جرّه إليه البحث من مسائل أخرى، قد تكون صلتها بالنحو غير مباشرة، ففي حديثه عن المعرب والمبني، تعرض للخلاف في المعرب؛ هل وقع إلى العرب معرباً، أم وصل إليهم مبنياً فأعربوه بحكمته، وهي مسألة جدلية، تعرض فيها لطرف من بحث نشأة اللغة، قال: «بَيْنَ النَحَاةِ خِلَافٌ فِي الْمُعَرَّبِ؛ هَلْ وَقَعَ مُعَرَّباً إِلَى الْعَرَبِ، أَوْ وَصَلَ إِلَى الْعَرَبِ مَبْنِياً فَلَمَّا رَأَوْا اخْتِلَالَهُ أَعْرَبُوهُ؟ وَالْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ يَطُولُ، وَلَا بُدَّ مِنْ ذِكْرِ شَيْءٍ مَا، فَذَلِيلُ الْأَوَّلِ: جَرَيَانُهُ عَلَى نَهْجِ الْإِسْتِقَامَةِ مَعَ تَشَعُّبِ الْقِبَائِلِ ... وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿C B A @﴾^(٣)، فإذا كانت الذوات مُعَلِّمَةً تَبَعَتْهَا الْأَحْوَالُ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَلْطَفُ، وَذَلِيلُ الثَّانِي: أَنَّ الْعَرَبَ لَمْ يُخْبَرَ عَنْهَا بِالْفَصَاحَةِ إِلَّا لِحِكْمَتِهَا، وَلَمَّا لَهَا فِيهِ كَسْبٌ، فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ تَعَلُّمٍ قَلَّتِ الْفَائِدَةُ...»^(٤).

كما تحدّث عن الخلاف في أمور فقهية، وعقدية، كما سيتبيّن في الفصل القادم إن شاء الله تعالى.

البحث الثاني: موقفه من البصريين.

كان ابن الدهان بصري المذهب، يتضح ذلك في أمور:

١- أن مصطلحاته وتقسيماته بصرية، ولم يستعمل المصطلحات الكوفية إلا في أحيانٍ

(١) انظر: ٥٥٣.

(٢) انظر: الغرة ٢٣ أ (كوبريللي).

(٣) البقرة: ٣١.

(٤) الغرة ٣ ب (كوبريللي).

قليلة جداً^(١).

٢- أنه نعت البصريين بأصحابنا^(٢).

٣- أنه رجَّح رأي البصريين في أكثر المسائل التي بحث الخلاف فيها.

ومن ذلك:

أ- أن أصل المشتقات هو المصدر لا الفعل الماضي^(٣).

ب- أن ناصب المفعول به، هو الفعل وحده^(٤).

ج- أن فعل الأمر مبني وضعاً. قال: «الأفعالُ في إعرابها وبنائها مخالفةٌ للأسماء في الأصلية والفرعية ... وبنائها على الأصل، ومبنيها على ثلاثة أضربٍ عندنا: أحدها: مبنيٌّ على وضعه الأول، وهو فعلُ الأمر عندنا...»^(٥).

وفي هذا النصُّ على انتمائه لأصحاب هذا الرأي، وهم البصريون.

د- لم يرتضِ قول الكوفيين بزيادة الواو، وأوّل الشواهد التي استشهدوا بها^(٦).

هـ- لم يُجَزَّ تناوب حروف الجر، فحرف الجر لا يجوز أن يأتي بمعنى حرف آخر، فروى عن الكوفيين هذا الرأي، وساق شواهد، وعقّب على كل شاهد بقوله: «وكل هذا متأوّلٌ عند أصحابنا تأويلاً لا يخرجُه عن حده الذي وضع له»^(٧). والتأويل الذي يعنيه، هو تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف^(٨).

مخالفته لبعض البصريين:

وكان مع أفراد المدرسة البصرية قد اختلف موقفه بين المتابعة والاعتراض، ففي إحدى مسائل (حتى) لم يرتضِ قول سيبويه^(٩). وخالف الأخفش في كثير من المسائل^(١)، كما

(١) انظر: ٢٨٥.

(٢) انظر: ٢٨٧، ٥٧١.

(٣) انظر: ٣٠٠.

(٤) انظر: ٣٢٨.

(٥) الغرة ٥٨ أ (قليج علي).

(٦) انظر: ٧٧٥.

(٧) انظر: ٥٧١.

(٨) انظر: الخصائص ٣٠٦/٢.

(٩) انظر: ٦٣٩.

خالف المازني^(٢)، وناقش أحد علماء البصرة، ولم يُسمَّه، ووصف كلامه بالاختلال^(٣). أما المبرد فقد خالفه في مسائل كثيرة، إذا ما قُورنت بما أورد من أقواله، فلقد بلغت في هذا الجزء المحقق فقط أكثر من ست عشرة مسألة^(٤).

ولما بحث ابن الدهان قولهم: كلمته فاهُ إلى في، قال: «والأخفش ينصبه على حذف حرف الجر، كائنا قلت: كلمته من فيه إلى في^(٥)، وقد ردَّ عليه» وقد ذكر النحويون أن الذي ردَّ عليه هو المبرد، وقال: إن تقدير الأخفش لا يعقل؛ لأنَّ الإنسان لا يتكلم من فم غيره، إنما يتكلم كل إنسان من في نفسه^(٦). فأغفل ذكر المبرد.

وأعتقد أن موقفه هذا من المبرد، يستدعي الوقوف لمحاولة معرفة سببه، وقد ظهر لي سبب ظني، هو نتيجة لمقدمتين:

أولاهما: أن ابن الدهان أكثر النقل عن الفارسي، فكتب الفارسي من مصادره الأساسية، كما بينت ذلك في الفصل السابق.

الثانية: أن الفارسي كان غاضباً من شأن المبرد، أفصح عن ذلك تلميذه ابن جني في أكثر من موضع، كقوله: «وكان أبو علي رحمه الله في هذا الباب ونحوه جباراً، يرى نفسه وأهل هذا الشأن بحيث هي وهم... وكان يعظمُ أبا عثمان، ويكادُ يعبدُ أبا الحسن، ولم يكن أبو العباس عنده إلا رُجِيلاً، ولم تكن جنائته عنده على نفسه في تعقبه كلام سيوييه بكتابه الموسوم بالغلط إلى غاية^(٧)». وقال: «... وكان قد ثبت في نفس أبي عليٍّ على أبي العباس في تعاطيه الرد على سيوييه ما كان لا يكاد يملك معه نفسه، ومعدوراً كان عندي في ذلك، لأنه أمرٌ وضع من أبي العباس وقدح فيه، وغضَّ كلَّ الغضِّ منه^(٨)»، وقال: «قال أبو علي -

(١) انظر مثلاً: ٤٥٩، ٤٦٣، ٥٠٢، ٦٣٠، ٦٦٤.

(٢) انظر: ٤٣٨.

(٣) انظر: ٦٣٨.

(٤) انظر على سبيل المثال: ٢١٤، ٢٦٩، ٢٩٨، ٣٢٠، ٣٧٠، ٣٩٩ ...

(٥) انظر: شرح التسهيل ٣٢٤/٢، وارتشاف الضرب ١٥٥٩/٣.

(٦) انظر: ارتشاف الضرب ١٥٦٠/٣.

(٧) بقية الخاطريات ٤٤-٤٥.

(٨) الخصائص ٢٨٨/٣-٢٨٩.

رحمه الله-: إني لم أودع كتابي في الحجة شيئاً من انتزاع أبي العباس غير هذا الموضع...»^(١). وجاء في شرح اللمع لابن برهان: «قال أبو علي الفارسي: ما ضمنت كُتبي من خاطر أبي العباس المبرد غير هذا...»^(٢).

فلعل ابن الدهان كان متابعاً للفارسي في موقفه ذاك.

المبحث الثالث: موقفه من الكوفيين.

ذكرت في المبحث الأول عنايته الظاهرة بالخلاف، وأن ما بحثه من خلاف بين المدرستين قد جاوز الثلاثين مسألة، كما أثبت بصريته، من خلال مصطلحاته وتقسيماته، ويمكن أن يلخص موقفه من الكوفيين في مسائل:

الأولى: أن بصريته لم تقحمه بالتزام رد أقوال الكوفيين، ولكنه كان في أغلب المواضع ملتزماً بذكر القول دون حكم عليه، وربما اكتفى بإنكار البصريين له، كأن يقول: «وهذا لا يعرفه بصري»^(٣)، أو «وهذا عند البصري لا يصح»^(٤). وقد يحكم على فسادته بالدليل، فيقول: وهذا يفسده كذا...^(٥)، وقد ينعت رأي الكوفيين بالإشكال^(٦)، وربما أورد دليل الكوفيين ثم أنكر حججه^(٧)، أو حكم عليه بأنه متأول^(٨)، وقد ينص على اختيار رأي البصريين^(٩) أو وصفه بالأولوية^(١٠).

(١) الخصائص ٣/٣٢٥. والموضع المشار إليه هو جمعه بين قوله تعالى: ﴿قُلْ ۖ إِنَّهُ فَاتَهُ﴾

﴿مُلْقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨]، مع قوله:

ومن هاب أسباب المنايا ينلته

(٢) ٢٤٢/١.

(٣) ص: ٤٧٤، ٦٧٨، ٨٢٣.

(٤) ص: ٤٣٢.

(٥) انظر: ٣٣٣، ٥٠٠.

(٦) انظر: ٥٥٢، ٨٢٥.

(٧) انظر: ٧٠٥، ٧٦٣.

(٨) انظر: ٢٢٥٩.

(٩) كما في أصل المشتقات ص: ٣٠٠.

(١٠) انظر: ٥١٧.

الثانية: أنه أشار إلى خلاف للكوفيين، وحَذَفَهُ، معْتَذِراً بأن كتابه كتاب اختصار^(١)! وقد أشرت إلى ذلك في الفصل الأول، وهذا عذر يخالفه الواقع، وإنما يدل هذا الإغفال على قلة أهميته عنده.

الثالثة: أنه وصف رأي الكوفيين بالوهن، وقلل من أهميته، قال عند حديثه عن إعراب الفعل المضارع: «وذكر الكوفي في إعرابه أشياء لا تثبت عند النظر، فصدفنا عن ذكرها»^(٢)، وقال: «الخلاف في إعراب الأفعال قد سبق ذكره، وللكوفيين في إعرابه قولان لا ننشغل بهما لو هنيئاً...» وذكرهما^(٣).

الرابعة: أنني لم أجده ينص على اختيار رأي الكوفيين، إلا أنه جَوَّزَ وجهاً في بيتٍ على قول الكوفيين، قال: «فأما قولُ مسافعِ العَبْسِيِّ:

أُولَاكَ بَنُو خَيْرٍ وَشَرٍّ كِلَيْهِمَا جميعاً ومَعْرُوفٍ هُنَاكَ وَمُنْكَرٍ
وَ(كِلَاهُمَا) بَدَلٌ مِنْ (خَيْرٍ) وَ(شَرٍّ)، لَا تَأْكِيدُ عِنْدَ بَصَرِيٍّ وَلَا كُوفِيٍّ، أَمَّا الْبَصَرِيُّ فظَاهِرُ
الْأَمْرِ أَنَّهُ نَكِرَةٌ، وَأَمَّا الْكُوفِيُّ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَحْسُنُ تَأْكِيدُ النَّكِرَةِ عِنْدَهُ إِذَا كَانَتْ مُؤَقَّتَةً، نَحْوُ: أَكَلْتُ
رَغِيْفًا كُلَّهُ، وَصُمْتُ يَوْمًا كُلَّهُ، وَهَذَا عِنْدِي يُجَوِّزُ عَلَى قَوْلِ الْكُوفِيِّ؛ لِأَنَّ الْعُمُومَ فِيهِ بِمِثْلَةِ
التَّوْقِيتِ...»^(٤).

وفي باب التصغير علَّلَ اختيار الياء لتزاد في التصغير، فقرَّرَ أنَّ أولى الزيادات حروف المد، والجمع قد استبدَّ بالألف، فجعلوا للتصغير الياء، قال: «والدليل على ذلك أنَّ العربَ صَغَّرَتْ كَلِمَتَيْنِ بِالْأَلْفِ، قَالُوا فِي تَصْغِيرِ (دَابَّةٍ): دَوَابَّةٌ، وَفِي (هَدْهَدْ): هُدَاهِد...»^(٥)، وجعل الألف علامةً للتصغير في هاتين الكلمتين رأي الكوفيين، قال السيوطي: «وزعم بعض الكوفيين وصاحبُ الغرة أنَّ الألف قد تجعل علامةً للتصغير، كقولهم: هُدْهَدْ، وتَصْغِيرُهُ: هُدَاهِد، ودَابَّةٌ وشَابَّةٌ، والتصغير: دَوَابَّةٌ، وشَوَابَّةٌ»^(٦).

(١) انظر: ٤٩٢.

(٢) الغرة ٥٨ أ.

(٣) انظر: الغرة ٥٨ أ-٥٨ ب (قليج علي).

(٤) انظر: ٧٣٠.

(٥) الغرة ٢٣٩ ب (قليج علي).

(٦) همع الهوامع ١٨٥/٢.

الخامسة: أنه قد استعمل مصطلحاً كوفيّاً، وذلك في موضع واحد قال: «وفي نصبه وجهان: أحدهما: أن يكون على التفسير...»^(١)، يريد: التمييز.

أما ذكره للمصطلحات الكوفية بإزاء البصرية فكثير، قال: «وهذا الباب يسميه الكوفي باب التبرئة»^(٢)، وقال: «والنحاة يختلفون في هذه التسمية، فالْبَصْرِيُّ يُسَمِّيها الحال، والكسائي يُسَمِّيها القطع والحال، وهشام يُسَمِّي الحال ما جرت بعد المعرفة العلم والمضمر، والقطع بعد الظاهر غير العلم، وبعضهم يُسَمِّيها الحال في كل شيء إلا بعد الألف واللام، فإنه يُسَمِّيها القطع، والفراء يقول في قولك: زيدٌ خَلَفَكَ قائماً، هي حال؛ لأنها تحتل أشياء كثيرة، ويقول في قولك: زيدٌ على الحائط راكباً: هو قطع؛ لأنها بمعنى الملفوظ بها»^(٣)، وقال: «هذا الباب يُسَمِّيهِ الْبَصْرِيُّ الْبَدَل، وَيُسَمِّيهِ الْكُوفِيُّ التَّرْجِمَةَ»^(٤).

السادسة: اختلف موقفه مع أفراد المدرسة الكوفية، فقد التزم ذكر آراء الكسائي دون أن يعلق عليها، إلا في مواضع قليلة، ففي موضع وصف قوله بالقبح: «وإنما فُجِحَ هذا القولُ وقولُ الكسائي...»^(٥)، وفي مواضع أخرى ذكر قوله ثم أورد ما يُفسده^(٦)، كقوله: «وقال الكسائي: (زيد) منصوبٌ في الاستثناء بأن مُضْمَرَةً، وتقديره: قام القومُ إلا أن زيدا لم يَقُمْ، وهذا يُفسدُه أن الحروفَ لا تُضْمَرُ، ولا تعملُ إلا فيما لا اعتدادَ به...»^(٧).

وقد ردَّ على الفراء في إغناء (ذاك) في قولك: ظننت ذاك، عن المفعولين^(٨)، وردَّ حجج من خالفه في جواز تقدم الحال على صاحبها، فقال «وليسَ في هذا جميعه حجة على الفراء»^(٩)، ثم أورد بيتاً فيه حجة عليه، ثم وجهه على مذهبه: «فأما قول الشاعر:

تَبَيَّنَ أَعْجَازُ الْأُمُورِ إِذَا انْقَضَتْ وَتُقْبَلُ أَشْبَاهُا عَلَيْكَ صُدُورُهَا

(١) انظر: ٢٨٥.

(٢) ص: ٢٦٢.

(٣) ص: ٤٤٠.

(٤) ص: ٧٣٥.

(٥) ص: ٢٤٦.

(٦) انظر: ٦٢٣-٦٣٤.

(٧) انظر: ٥٠٠.

(٨) انظر: ٣٩٩.

(٩) انظر: ٤٥٦.

فَهُوَ حُجَّةٌ عَلَى الْفَرَاءِ، إِلَّا أَنْ يَقُولَ: أُجِيزُ تَقْدِيمَهُ عَلَى صَاحِبِهَا وَلَا أُجِيزُ تَقَدُّمَهَا عَلَى عَامِلِهَا»^(١).

المبحث الرابع: موقفه من ابن جني.

يمكن النظر إلى موقفه من ابن جني من خلال مسألتين:

الأولى: موقفه من المتن الذي يشرحه، وهذا سبق شيء منه في الفصل الأول، وسيأتي مزيد بحث فيه في الفصل الخامس إن شاء الله.

والثانية: من خلال أقواله، فقد ذكر ابن الدهان بعض آراء ابن جني في كتبه الأخرى، فمن ذلك على سبيل المثال قوله: «وقال الفارسي: إذا كانت (إذا) حيناً عملَ فيها ما قبلها وما بعدها، كقولك: القتالُ إذا جاءَ زيدٌ، وإذا كانت بمعنى الشرط لم يعمل فيها إلا ما بعدها، وبعضهم يجعل الحكم في الموضعين واحداً، ولا يُعمل فيها إلا ما بعدها، وهو مذهب عثمان في التنبيه»^(٢).

وفي مطلع باب المعرب والمبني، ذكر سؤال أبي عمرو بن العلاء للفرزدق عن قول ذي الرمة:

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالألّباب ما تفعلُ الخمرُ

فقال: «وَرَأَيْتُ عُثْمَانَ قَدْ طَعَنَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ بِكَلَامٍ يَطُولُ ذِكْرُهُ»^(٣).

وقد يوازن بين أقواله في كتبه: «وعُثْمَانُ يجعله في كتاب التمام في قول الشاعر:

إذا نظرَ المختالُ بالبُغضِ نحونا يُردُّ حسيراً طرفُهُ وهو أقبِلُ

فجعل (حسيراً) والجملة التي هي (هو أقبِل) حالين، للطرف، وقد ذكر منع ذلك في عدة كتب»^(٤).

وقد يقارن بين أقواله وأقوال غيره، قال: «عبارة النحاة تَخْتَلَفُ في هذا الباب، فبعضهم يقولُ كما قال عُثْمَانُ، وبعضهم يقولُ: الاستثناءُ أنْ تُخْرَجَ بعضاً مما تدخلُ فيه كلاً له، أو

(١) ص: ٤٥٦-٤٥٧.

(٢) ص: ٣٩٢.

(٣) الغرة ٣ ب (كوبريللي).

(٤) انظر: ٤٣٨.

تَدْخُلُ بَعْضًا فِيمَا أُخْرِجَتْ مِنْهُ كُلًّا لَهُ»^(١).

وقد خالفه في بعض المسائل، فمن ذلك تقسيمه لأضرب (حتى)، فقد قسمها ابن جني إلى أربعة أضرب، فاعترض ذلك، قال: «وَذَكَرَ عُثْمَانُ انْقِسَامَهَا إِلَى أَرْبَعَةِ أَضْرِبٍ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ قِسْمَةٌ؛ لِأَنَّ فِيهَا تَدَاخُلًا، وَذَلِكَ أَنَّ: الَّتِي يَنْتَصِبُ الْفِعْلُ بَعْدَهَا عِنْدَهُ هِيَ الَّتِي يَنْجَرُّ الْأِسْمُ بَعْدَهَا...»

فإن قيل عُذْرًا لِعُثْمَانَ: إِنَّ الَّتِي يَنْتَصِبُ بَعْدَهَا الْفِعْلُ قَدْ يَكُونُ أَحَدُ قِسْمَيْهَا. بمعنى (كَي)، وَ(كَي) يَنْتَصِبُ الْفِعْلُ بَعْدَهَا فِي أَحَدِ قِسْمَيْهَا بِهَا نَفْسِهَا، فَكَذَلِكَ تُجْعَلُ هِيَ. فالجواب: أَنَّ مَذْهَبَ الْبَصْرِيِّ يَقْضِي بِأَنَّ انْتِصَابَ الْفِعْلِ بَعْدَ (حَتَّى) بِأَنَّ مُضْمَرَةً، وَلَيْسَ يَرْتَكِبُ عُثْمَانُ غَيْرَ مَذْهَبِهِ؛ لِأَنَّا لَمْ نَرْ لَهُ نَصًّا سِوَى الْمَذْهَبِ الْبَصْرِيِّ»^(٢).

وعلى هذا، فلم يتميز له من ابن جني موقف خاص، فهو عنده كسائر النحويين، فلم ينهج منهج الذين ينصبون أنفسهم مدافعين عن صاحب المتن الذي يشرحونه، ولا منهج الذين يُعَنُونَ بتتبع هفوات صاحب المتن، فيخطئون ويعترضون.

(١) ص: ٤٩٣.

(٢) ص: ٦٢٣.

الفصل الرابع

أثر المعنى الشرعي في الخلاف النحوي عند ابن الدهان

المبحث الأول: الدلالة التركيبية.

المبحث الثاني: الدلالة الشرعية.

المبحث الثالث: أقوال الفقهاء.

كان المعنى أساساً في بناء قواعد النحو، وفي الاستدلال لها، والاعتراض عليها، فإذا استُدلَّ على حكم ما بشاهد كان وجه الدلالة فيه يناقض المعنى أو يضعفه، كان ذلك الشاهد عرضة للاعتراض عليه، وإسقاط الاستشهاد به من ذلك الوجه^(١).

ومعنى الجملة حصيلة لدلالات متعددة؛ دلالة النحو (التركيب)، ودلالة الصرف (البنية)، ودلالة اللغة، ودلالة السياق ... إلى غير ذلك، كما سيتبين إن شاء الله. أمَّا المعنى الشرعي، فهو ما كان مأخوذاً مما دلت عليه نصوص الشريعة، وما استنبطه العلماء منها.

فمراعاة المعنى الشرعي عند الاستشهاد، والاعتراض، إنما هو مراعاة لقرينة من القرائن الحالية، التي يُعتدُّ بها عند دراسة النص، والاستنباط منه. وقد اعتدَّ النحويون بالمعنى الشرعي في بحثهم لمسائل النحو، وأدلتها، كما كان حاضراً في تحليلهم للنصوص، وأمثلة ذلك كثيرة لا تحصر، فمنها:

١- أن سيبويه نفى أن يكون قوله تعالى: ﴿مُذْكَرٌ﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَيَلِّ﴾^(٣) للمُطَفِّينَ^(٤) دُعَاءً، لأنَّ المتكلم بذلك الله عزَّ وجل، قال: «وَأَمَّا قوله تعالى جُدُّه: ﴿مُذْكَرٌ﴾^(٥) و﴿وَيَلِّ﴾^(٦) للمُطَفِّينَ^(٧)، فإنه لا ينبغي أن تقول: إنه دُعَاءٌ ههنا؛ لأنَّ الكلام بذلك قبيحٌ، واللفظُ به قبيحٌ، ولكنَّ العبادَ إنما كلَّموا بكلامهم، وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون، وكأنَّه والله أعلم قيل لهم: ويلٌ للمُطَفِّينَ، وويلٌ للمكذِّبين، أي هؤلاء مما وجب هذا القول لهم»^(٨).

٢- ما خرَّجه سيبويه وتابعه المبرد من تأويل الترجي الذي تفيده (لعل) في قوله تعالى: ﴿يَخْشَى﴾^(٩)، فقد خرَّجَاهُ على: اذهبا في رجائكما وطمعكما^(١٠)،

(١) انظر: مسائل الخلاف النحوية في ضوء الاعتراض على الدليل النقلي ٤٥٦-٤٥٧.

(٢) الطور: ١١.

(٣) المطففين: ١.

(٤) الكتاب ٣٣١/١.

(٥) طه: ٤٤.

(٦) انظر: الكتاب ٣٣١/١، والمقتضب ١٨٣/٤.

والذي منعه من إبقائها على أصلها، تزيه الله تعالى عن الرجاء؛ لأن الله يعلم ما سيكون، وعبر سيبويه عن هذا بقوله: «فالعلم قد أتى من وراء ما يكون»^(١).

٣- أن الفارسي حكم بزيادة الكاف في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٢) والذي دعاه إلى ذلك تزيه الله تعالى عن الشبيه، قال: «ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، الكاف زائدة لا محالة، لأنه لم يثبت لله عز وجل مثل ولا شبيه، تعالى الله عن ذلك»^(٣).

٤- أن ابن جني جعل الهمزة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾ : ﴿؟ @﴾، دالة على الوجدان، لا على التعدية، بناءً على مذهبه الاعتزالي، الذي ينفي أن يكون الله قد خلق أفعال العباد، والمعنى: من وجدناه غافلاً، قال: «... وذلك قوله عز اسمه: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾ : ﴿؟ @﴾، ولكن يخلو (أغفلنا) هنا من أن يكون من باب أفعلت الشيء أي: صادفته ووافقته كذلك... أو يكون ما قاله الخصم: أن معنى (أغفلنا قلبه): منعنا وصددنا، نعوذ بالله من ذلك...»^(٤).

فالذي دعاه إلى هذا التأويل مذهبه العقدي، وهو تأويل مردود عند أهل السنة، وإنما ذكرته هنا تمثيلاً للاعتداد بالمعنى الشرعي حسب ما يعتقده قائله.

٥- ما قرره الزمخشري من أن (لن) تُفيد تأييد النفي^(٥)، وتوكيده^(٦)، فقد دعاه إلى ذلك مذهبه العقدي، فهو لا يرى أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، فاستدل على ذلك بقوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾^(٧). وقد ردّ عليه ابن مالك^(٨)، وابن

(١) الكتاب ٣٣١/١.

(٢) الشورى: ١١.

(٣) المسائل البغداديات ٤٠٠.

(٤) الكهف: ٢٨.

(٥) الخصائص ٢٥٣/٣-٢٥٤.

(٦) انظر: شرح الأتموزج في النحو ١٩٠.

(٧) انظر: الكشف ١١٣/٢.

(٨) الأعراف: ١٤٣.

(٩) انظر: شرح الكافية الشافية ١٥٣١/٣.

هشام^(١)، وغيرهما^(٢).

وقد قسمت هذا الفصل ثلاثة مباحث، وآثرت أن أجعل للدلالة التركيبية مبحثاً خاصاً؛ لأنها الجزء الأساس في تكوين المعنى، فتكون توطئة لدراسة أثر المعنى الشرعي في الخلاف النحوي، الذي كان نصيبه من هذا الفصل المبحثين الآخرين.

المبحث الأول: الدلالة التركيبية:

الدلالة مصدر دلَّ يدلُّ، إذا هدى^(٣)، وتُعرَّف عند الأصوليين، وعند المنطقيين^(٤) بتعريفات متعددة منها: أنها ما يلزم من فهمه فهم شيء آخر. ودلالة الكلام: فائدته ومعناه، ولذا كانت الإفادة شرطاً من شروط الكلام عند النحويين.

والدلالة التي تنشأ عن الجملة تنسب للتركيب، فيقال: الدلالة التركيبية، ويُعنى بها فرعان من فروع اللغة، النحو، والبلاغة، فما كان أثراً لأحكام النحو، من الإعراب ومقتضياته من الدلالة سُمِّي الدلالة النحوية، وما كان أثراً لأحوال المقام، ومدى المطابقة لمقتضى الحال نسب ذلك للبلاغة.

ومما يُمثل به من صور الدلالات النحوية: الإسناد، والترتيب (التقديم والتأخير)، والتطابق العددي (الإفراد والتثنية والجمع)، والتطابق الجنسي (التذكير والتأنيث)، والتطابق النوعي (العاقل وغير العاقل). أمَّا الإعراب فهو قرينة في تحديد الإسناد، كما أن التطابق في علامة الإعراب صورة من صور الدلالة.

فإذا قلت مثلاً: قامَ الرجلُ، فقد أسندت القيام إلى الرجل، فهو المحكوم عليه بالقيام، ومثل ذلك إذا قلت: زيدٌ أخوك، فزيدٌ محكوم عليه بالأخوة؛ لأنه مسند إليه، والأخوة مسندٌ، أي حُكم.

وعلامه الإعراب تحدد الإسناد، ولذا فالجملتان: أكرمَ زيدٌ محمداً، وأكرمَ محمداً زيدٌ،

(١) انظر: معني اللبيب ٣٧٤.

(٢) انظر: أضواء البيان ٢١٥/٥.

(٣) اللسان ٢٤٨/١١ (دل).

(٤) انظر: التعريفات للجرجاني ٧٥، والتحبير شرح التحرير ٣١٦/١، وشرح الكوكب المنير ١٢٥/١، والكيليات

٤٣٩، وشرح السلم في المنطق للأخضري ٨.

سواءً في إفادة المعنى من الناحية النحوية.

ودلالة الترتيب^(١) ليست مطردة في كل جملة، من الناحية النحوية، كما تقدّم في المثالين السابقين: أكرم زيدٌ محمّداً، وأكرم محمّداً زيداً. لكن بالنظر إلى مطابقة مقتضى الحال (البلاغة) فالأمر يختلف، ولكن الترتيب قد يلزم في أساليب أخرى، كأن يكون قرينة لمعرفة الإسناد، مثل إذا استوى المبتدأ والخبر في التعريف أو التنكير، فيجب أن يقدم المبتدأ، فالتقديم هو الذي حدد الإسناد، وهو أيضاً قد يكون لازماً لإفادة معانٍ أخرى، كالفاعلية والمفعولية في نحو: أكرم موسى عيسى، وأعطيتُ زيداً عمراً ونحو ذلك^(٢).

أمّا دلالة التطابق فهي نتيجة لما تقتضيه الأحكام النحوية من المطابقة بين أجزاء الجملة، سواء الركنان الأساسيان، أو غيرهما، على مختلف صور التطابق، تقول: الرجل قائمٌ، والرجال قائمون، وسُعاد مُجتهدَةٌ، وسلمتُ على ثلاثة رجالٍ، وتفوّق ثلاثُ نساءٍ، وقامتُ هندٌ، والحربُ اشتعلتُ، وأكرمتُ الرجالَ الذين أقبلوا، وقبلتُ الكُتُبَ التي أهديتُ...

وقد يُنازعُ في هذه الدلالة، من حيث إنها استُفيدت من البنية، حيث أُضيف إلى الجملة (بعض اللواحق)، ولم تستفد من التركيب وقواعد النحو. والإجابة عن هذا بأن هذه (اللواحق) إنما أوجبتها قواعد النحو، فوجودها مسبّبٌ عن تلك القواعد، ونسبة الشيء لسببه نسبة صحيحة غير معترضة.

وبعض الجمل تحمل بذاتها دلالات معيّنة، كجمل أسلوب التعجب، والاختصاص، والتحذير والإغراء، كما أن حروف المعاني تكتسب دلالات خاصّة من خلال التركيب...^(٣).

والدلالة النحوية واحدة من دلالات متعددة، فبالإضافة إليها، تُضيف دلالة البنية، وهي التي تسمى الدلالة التصريفية معنىً آخر، ولا يستفاد هذا المعنى أو ذاك إلا بمعنى كل كلمة مفردة في الجملة، ودلالة الكلمة المفردة، هي ما يسمّى الدلالة المعجمية، وهي المستمدّة من متن اللغة^(٤).

(١) انظر الحديث عن هذه الدلالة في: علاقة الظواهر النحوية بالمعنى في القرآن الكريم ٩-٥١.

(٢) انظر: دور الرتبة في الظاهرة النحوية ١٧٠ وما بعدها.

(٣) انظر: اللغة معناها ومبناها ١٧٨.

(٤) انظر: علم الدلالة ١٣.

وهناك أيضاً دلالات أخرى، قد يُحتاج إليها في بيان المراد، كدلالة السياق، فقد تفيد جملة واحدة معنيين مختلفين، بسبب أنها وُجدت في سياقين مختلفين^(١).

وأيضاً دلالة الأداء، وهو ما يلتبس بالحديث من تصرف المتحدث، عن طريق تغيير الصوت إمّا ضغطاً على كلمة، أو رفعاً للصوت أو خفضاً له، أو الوقف، وله مصطلحات متعددة، كالنبر، والتنغيم، والوقف، والوصل، فمثلاً لو قيل: جاء زيد. هذه الجملة يمكن أن تكون خبراً، أو استفهاماً حقيقياً، أو استفهاماً تقريرياً، أو تهكمياً أو غير ذلك، وذلك من خلال الأداء^(٢).

والمثأمل في هذه الدلالات يجد أنها جميعاً متضافرة في إفادة المعنى الكلي، وأن دلالة الجملة، لا يمكن أن تؤخذ من دلالة واحدة، وكذلك كل دلالة —من الدلالات الأساسية— هي محتاجة إلى الدلالة الأخرى في بيان المعنى^(٣)، فإذا قلت: زيدٌ مجتهد، عرفت أن زيدا متّصفٌ بالاجتهاد، لكن هذه الفائدة ليست من تركيب الجملة فحسب، فلا يمكن أن تفيد هذه الفائدة لو لم نعرف معنى الاجتهاد، أو أن زيدا اسمٌ ذات، كما لا تحصل هذه الفائدة لو لم نعلم أن هذه الصيغة (مُفتعل) تدل على حدث وذات، وأن الافتعال يدل على تطلّب للفعل وبذل الوسع في تحصيله، وهكذا^(٤).

أما المعاني الجزئية فيمكن أن تستقل كل دلالة بإيجادها، ففي قوله تعالى: ﴿كَلِمَةً الَّتِي كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾^(٥) نجد أن (كلمة الله) جاءت مرفوعة، فالرفع دلّ على أن الواو استئنافية، وأن الجملة غير معطوفة على مفعول

(١) انظر: علم الدلالة العربي ٢٠-٢٢.

(٢) انظر: دلالة الألفاظ ٤٦-٤٧، والدلالة اللغوية عند العرب ١٦٨.

(٣) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١٨٥، والقاعدة النحوية تحليل ونقد ١٠٤-١٠٥.

(٤) انظر: المعنى والقاعدة النحوية. مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية ج ١٧ عدد ٣٢. ص: ٥٢٦. وقد مثّل لهذا المعنى د. تمام حسان ببيت افتراضي هو:

قاصّ التّجنيُّ شِحالُهُ بتريسِهِ الـ فاحي فلم يَسْتَفْ بطاسيةِ البرن

انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١٨٣. وانظر تحليل هذا المثال، واستنتاج عدم جدوى دلالة دون أخرى في:

القاعدة النحوية تحليل ونقد ١٠٤-١٠٥.

(٥) التوبة: ٤٠.

الجعل السابق، مما يفيد أن كلمة الله هي العليا منذ الأزل. فهذه الدلالة الجزئية إنما استفيدت من الإعراب فقط.

ولقد تعرض ابن الدهان في مواضع متعددة إلى الدلالة النحوية (التركيبية) بشيءٍ من التنظير، وذلك في بحث غرض الإعراب، فبيّن أن شدة الحاجة إليه تكون مع اللبس، وكلّما زال اللبس قلت حاجة الإعراب، ففي معرض بحثه في أصل المرفوعات، وهل هو المبتدأ أو الفاعل، رجّح أنّه الفاعل، قال: «ومّا يدلُّ على أن الفاعلَ الأصلُ أن الإعرابَ جيءَ به للفرق، ونحن نرى أن الفاعلَ أحوجُ إلى الفرقِ بينه وبين المفعول، وليس كذلك المبتدأ؛ لأنَّ خبره مثله في الإعراب، وكلّما بُعد اللبسُ كان بعيداً من استحقاق الإعراب»^(١).

وأيضاً حكم بفرعية إعراب الفعل المضارع، وذلك «لأنَّه لا ضرورةَ إلى إعرابه؛ لأنَّه بصيغته يدلُّ على معناه»^(٢).

وردَّ على شبهة إغناء التركيب (التقديم والتأخير) عن الإعراب في تحديد الدلالة، فقال: «... والاسم ذو معانٍ مختلفة، فلولا الإعرابُ لوقع اللبسُ، ولا يكفينا مؤونة ذلك التقديم والتأخير، لضروراتٍ منها: ضيقة الوزن في الشعر والسجع، وتقدّم المفعول إذا اتّصل ضميره بالفاعل»^(٣).

الدلالة النحوية في التقعيد والخلاف:

وهذه الدلالة النحوية (التركيبية)، لها أثر ظاهر في القواعد النحوية، سواء قواعد الأبواب، أو قواعد التوجيه^(٤)، وذلك أن الاستدلال بالدليل النقلي قائمٌ على دلالاته الكلية، المستنتجة من دلالاته الجزئية، ومنها الدلالة النحوية، فدلالة إسناد (أسد) إلى (حُرّاس) في

(١) الغرة ٢٣ ب (كوبريللي).

(٢) الغرة ٤ ب (كوبريللي).

(٣) الغرة ٣ ب (كوبريللي).

(٤) المقصود بقواعد الأبواب هي القواعد المندرجة تحت باب بعينه، كقواعد الفاعل، والمبتدأ والخبر، والحال، والاستثناء وغيرها، وأما قواعد التوجيه فهي القواعد التي لا تتعلق بباب معين، وإنما تستدعى عند التحليل النحوي (الإعراب)، كالقوة والضعف، والرجحان، والأصالة، والفرعية ونحو ذلك، وقد عُني بها ابن هشام في مغني اللبيب في الباين الرابع والخامس، وعقد د. تمام حسان فصلاً لقواعد التوجيه في الأصول ٢٢٠. إلا أن الذي حرر هذا التقسيم، وعنه نقلتُ هو د. محمود الجاسم، في القاعدة النحوية تحليل ونقد ٣٥.

قول الشاعر:

إِذَا اسْوَدَّ جَنَحُ اللَّيْلِ فَلْتَأْتِ وَلْتَكُنْ خُطَاكَ خَفَافًا إِنَّ حُرَّاسَنَا أَسَدًا
هو الذي دعا إلى القول بأنَّ (إنَّ) نصبتِ الجزأين^(١).

ونحو من ذلك الخلاف في اسمية نعم وبئس، فقد وردا في تراكيب واقعين موقع الأسماء، قالوا: نعم السير على بئس العير، وما هي بنعم الولد، وفي أخرى وقعا موقع الأفعال، قالوا: نعمت المرأة، وبئست الجارية^(٢).

وقد شارك ابن الدهان النحويين في استصحاب هذه الفكرة في التقعيد والخلاف، وأمثلة ذلك كثيرة، منها:

١- أنه حكم على الضمير المنفصل بحكم الاسم الظاهر، وذلك من خلال استدلاله بقول الشاعر:

أَنَا الْبَطْلُ الْحَامِي الذَّمَّارَ وَإِنَّمَا يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي
ففي قوله: يدافع عن أحسابهم أنا، أسند الفعل المضارع (يدافع) إلى الضمير (أنا)، وحرف المضارعة الياء، وهو الذي يصلح للمذكر الغائب، «فَاتِيَانُهُ بِـ» (أنا) مَعَ الْيَاءِ الَّتِي تَصْلُحُ لِلْمَذْكَرِ الْغَائِبِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَرْتَلَتَهُ بِمَرْتَلَةِ الْمُظْهَرِ مِنَ الْأَسْمَاءِ»^(٣).

٢- أنه أجاز كون اسم الفعل الناسخ نكرة، وخبره معرفة، مع وجود المسوِّغ المعنوي، قال: «ووجدت في كتاب الله تعالى الاسم نكرة والخبر معرفة للفائدة المطلوبة في الخبر، وهو قوله تعالى: ﴿m l k j i h g f﴾»^(٤)^(٥).

٣- أنه لما بحث توجيه قولهم: أخطب ما يكون الأمير قائماً، ذكر وجهين، وساق أدلة نقلية، الإسناد فيها هو الشاهد في المسألة، قال: «و(أخطب ما يكون الأمير قائماً)، تقديره: أخطب أوقات كون الأمير إذا كان قائماً، فلا يحتاج إلى عامل في (إذا)؛ لأنَّ (أخطب) وقت؛ لإضافته إلى الوقت، و(إذا) وقت، فهو هو، فإن لم تُقدَّر الوقت محذوفاً وجعلت

(١) انظر: شرح الكافية الشافية لابن مالك ٥١٨/١، والبحر المحيط ٤٤٤/٤.

(٢) انظر: الإنصاف ٩٧/١.

(٣) ص: ٨٢٨.

(٤) آل عمران: ٩٦.

(٥) ص: ٢٠١.

(أخطب) مُضافاً إلى (ما)، وَجَعَلْتَ (ما) عامّة؛ لأنّ (أفعل) لا يُضافُ إلى واحدٍ لفظاً وَمَعْنَى، وكأنّ تقديرَ (ما يكون) أَكْوَاناً، فكأَنَّكَ جَعَلْتَ الأَكْوَانَ خَطِيبَةً عَلَى الاتِّسَاعِ، كان (إذا) مُتَعَلِّقاً بِمُسْتَقَرٍّ أَوْ اسْتَقَرَّ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ الْمَصْدَرِ... والوجهُ الأولُ أَكْثَرُ؛ لأنَّ العَرَبَ كَثِيراً ما تَتَسَعُّ في الزمانِ فتَجْعَلُ الفِعْلَ لها، وَعَلَى هذا قالوا: فهاؤُك صائِمٌ، قال الشاعرُ:

أَمَّا النَّهَارُ فَفِي قَيْدٍ وَسِلْسِلَةٍ

والليلُ في جَوْفٍ مَنحُوتٍ مِنَ السَّاجِ^(١)

٤- وإذا خالفت دلالة التركيب المتقرر عند النحويين ذهبوا إلى التأويل، وهذا من الأثر العكسي لهذه الدلالة، فلمّا تقرر عند ابن الدهان -تبعاً للنحويين- أنّ ما بعد حرفِ العطف لا يتقدّم على ما قبله، وجّه قول الشاعر:

أَلَا يَا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامُ

عَلَى تَقْدِيرِ عَطْفِ (رَحْمَةُ اللَّهِ) عَلَى الْمُضْمَرِ فِي (عَلَيْكَ)، وَ(السَّلَامُ) مُبْتَدَأٌ^(٢)؛ لأنّ دلالة التركيب تنقض الذي قرّره.

٥- وأيضاً لما وجدوا دلالة الإسناد واضحةً بين الجزأين المنصوبين في مدخولات بعض الحروف الناسخة، جَوّز بعضهم أن يكون الثاني خبراً، وخرّجها بعضهم على الحال أو على إضمار (كان)، ولم يكتفِ ابن الدهان بإيراد شاهد واحد، بل ساق لهذه المسألة ستة شواهد، ثم ساق حجج كُلاً، ولم يرجح شيئاً^(٣).

المبحث الثاني: الدلالة الشرعية:

الدلالة الشرعية هي المستمدة من نصوص الشرع، وذلك من خلال مستويات متعددة، فإما أن يكون الاستمداد من النص مباشرة من خلال دلالة منطوق النص أو مفهومه، أو غير مباشرة من خلال الإجماع أو القياس، فإنهما داخِلان في مضمون النص الشرعي، ومقاصد الشرع العامة.

والذي نبهته هنا هو المعنى الشرعي المستصحب عند بحث الخلاف النحوي، إمّا

(١) ص: ٤٦٦-٤٦٧.

(٢) انظر: ٧٦٨.

(٣) انظر: ٢٠١ وما بعدها.

ترجيحاً أو اعتراضاً، مثل استدلالهم على أن الاثنين جمع بقوله تعالى: ﴿إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ
السُّدُسُ﴾^(١)؛ لأنَّ الثابت أنَّ الاثنين من الإخوة يحجبان الأم من الثلث إلى السدس، وقد عبّر
عنهم بالإخوة.

ولا يُقصد بالمعنى الشرعي المعنى اللغوي لنصٍّ شرعي، سواءً أكان معجمياً أم نحوياً أم
تصنيفياً، وذلك لأنَّ الشرعية فيه من ذات النص لا من المعنى، وذات النص متَّفِق على
الاستدلال به في النحو إذا كان من القرآن، وفيه الخلاف المعروف إذا كان من السنة، فليس
هو موضوع هذا البحث.

والمعنى على جميع مستوياته - الشرعي، واللغوي، والعرفي... - له مكانٌ ظاهرٌ في
البحث النحوي، سواءً أكان تقعيداً أم توجيهاً أم خلافاً؛ لأنَّه ركنُ الكلام، ولذا لما عرف
ابن جني اللغة قال: «أما حدها فإنها أصواتٌ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»^(٢). فلا كلام إلا
بلفظ ومعنى، فإن تخلف أحدهما في شيء لم يكن ذلك الشيء كلاماً^(٣).

لقد اعتدُّوا بالمعنى في المصطلحات والأحكام، والتعليل والترجيح، فكثير من
المصطلحات تدل على المعنى اللغوي الذي تؤدِّيه، كالفاعل والمفاعيل، والفعل الماضي
والأمر... كما أنَّ كثيراً من الأحكام كانت نتيجةً لمقتضيات المعنى^(٤)، كامتناع الابتداء
بالنكرة ما لم تفد، وكمنع ما يحدث اللبس، وجواز ما أمن فيه اللبس.. إلى غير ذلك.

كما كان المعنى ركناً في الترجيح والاعتراض، وكان الحمل على المعنى واحداً من
أهم مجالات التأويل عند النحويين^(٥)، ومن ذلك تأويلهم الرفع على البدل بعد الاستثناء

(١) النساء: ١١.

(٢) الخصائص ٣٣/١.

(٣) هناك بحوث طويلة في هذا المعنى، وذلك لارتباطها بمباحث عقديّة، ومن الفرقِ مَنْ يُثبِتُ الكلام النفسي ليصل إلى
تزييه الله عن صفات المخلوقين، بناءً على الإلزامات الخاطئة التي يلزمهم بها العقل المادي، ومن أدلتهم على ذلك
قول الأخطل:

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا

انظر: لمع الألة للجويني ١٠٤، وإحياء علوم الدين ١٠٩/١.

(٤) انظر: الحجج النحوية ١٥٩، والمعنى والقاعدة النحوية. مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية ج ١٧
عدد ٣٢. ص: ٥٢٠ وما بعدها.

(٥) انظر: ظاهرة قياس الحمل في اللغة العربية ٢٤١.

الموجب في قوله تعالى: - في قراءة^(١) - ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْكُمْ﴾^(٢) على معنى: لم تفوا بالميثاق إلا قليل^(٣)، وقول الشاعر:

وبالصريمة منهم مزل خلق عافٍ تغير إلا النوي والوتد
على أن معنى (تغير): لم يبق على حاله^(٤).

ولأجل هذا كله كان المعنى أساساً في البحث النحوي، والمعنى الشرعي جزءاً من المعنى، فأهميته بأهميته.

ولقد كان المعنى الشرعي حاضراً في مناقشات ابن الدهان واستدلالاته، من خلال تعامله مع النصوص، وكان ذلك من ناحيتين: الأولى: إثبات الحكم، والثانية: توجيه الخارج عن القواعد.

١ - مراعاة المعنى الشرعي في إثبات الحكم أو نفيه:

أ- في باب جمع التذكير (المذكر السالم)، لما تعرض لقول ابن جني في حده: (لَمَنْ يَعْقِلُ) قال: «صَدَفَ بَعْضُهُمْ عَنِ الْعَقْلِ - وَهُوَ الصَّحِيحُ؛ لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُوصَفُ بِالْعَقْلِ، وَقَدْ قَالَ: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾»^(٥)، فَجَمَعَ بِالْوَاوِ وَالتَّنُونِ - فقال: لمن يعلم، فهو أعم^(٦). فتراه اختار ذلك القول احترازاً من ذلك اللازم الذي لم يرتضه^(٧)، وهو قول لغلاة الفلاسفة، فإنهم يصفون الله تعالى بالعقل، وصفات الله تعالى توقيفية، فلا يوصف إلا بما وصف به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم^(٨)، ولم يرد وصفه بالعقل، وإنما وصف عز وجل نفسه بالعلم.

ب- اختلف في زيادة (من) في الموجب، وكانت الحجة شرعية محضة، قال ابن

(١) نُسِبَتْ لِأَبِي عَمْرٍو. انظر: تفسير ابن عطية ١/١٧٣، والبحر المحيط ١/٢٨٧، والدر المصون ١/٤٦٩.

(٢) البقرة: ٨٣.

(٣) انظر: تفسير ابن عطية ١/١٧٣. وخرجت تخريجات أخرى في الدر المصون ١/٤٦٩.

(٤) انظر: أوضح المسالك ٢/٢٥٥، ومغني اللبيب ٣٦٣.

(٥) الذاريات: ٤٧.

(٦) الغرة ١٨ أ (كويريللي).

(٧) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية ١/١٦١.

(٨) انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة ١/١٣٧، والشرعية للآجري ٢/١٠٥١، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن

بطة ٣/٩١.

الدهان- في معرض حديثه عن أقسامها-: «تَقَعُ زائدةٌ، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ فِي النَّفْيِ أَوْ مُضَارَعِهِ عِنْدَ سِيَوِيهِ، وَأَمَّا الْأَخْفَشُ فَيَجِيزُ زِيَادَتَهَا فِي الْوَاجِبِ، وَاحْتَجَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿C BA﴾^(١)، وَقَالَ: التَّقْدِيرُ: يُكْفَرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ؛ لِأَنَّ كَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى يَنْقُضِي ذَلِكَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿H G F﴾^(٢)، وَسِيَوِيهِ يَجْعَلُهَا لِلتَّبْعِيضِ، وَيُقَدِّرُ الْكَلَامَ: يُكْفَرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتٍ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ؛ لِأَنَّ فِي السَّيِّئَةِ مَا لَا يُكْفَرُ كَالشَّرْكَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿S R﴾ { zy xw vu t } | { ~ }^(٣)، وَاحْتَجَّ الْأَخْفَشُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿@ ?﴾ H GF ED C BA^(٤) فَقَالَ: التَّقْدِيرُ: نَقُصُّ عَلَيْكَ أَنْبَاءَ الرُّسُلِ، وَلِسِيَوِيهِ أَنْ يَقُولَ هِيَ لِلتَّبْعِيضِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿F ED CBA @ ? >﴾ G^(٥)...^(٦).

فحجج كلا القولين شرعيةً، ولم يصرح ابن الدهان بترجيح أحد القولين، ويبدو أنه كان متوقفاً في هذا، وذلك أنه احتج لسِيَوِيهِ، ولم ينقل ردّاً للأخفش على حجة سِيَوِيهِ من أن من الذنوب ما لا يكفر، وهو الشرك، ولكنه بعد ذلك استدللَّ لصحة قول الأخفش بدليل آخر، وهو قول الأسود بن يعفر:

هَوَى بِهِمْ مِنْ حُبِّهِمْ وَسَفَاهِهِمْ مِنْ الرِّيحِ لَا تَمْرِي سَحَاباً وَلَا قَطَرًا^(٧)

فلو لم يحكم بزيادة (من) في قوله: (من حُبِّهِمْ) لبقى الفعل (هوى) بلا فاعل.

ولم أقف على من استشهد بهذا البيت غيره، ويمكن أن يحمل على الضرورة.

ج- استدلل عامة النحويين على أن الواو لمطلق الجمع، ولا تفيد ترتيباً بأدلة كثيرة، استقصاها ابن الدهان جميعاً، فلم أجد دليلاً غير ما ذكر، ووجه الاستدلال في معظم هذه

(١) البقرة: ٢٧١.

(٢) آل عمران: ٣١.

(٣) النساء: ٤٨.

(٤) هود: ١٢٠.

(٥) النساء: ١٦٤.

(٦) ص: ٥٦٢.

(٧) انظر: ٥٦٣.

الأدلة معني شرعي، فمن ذلك أنه استدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَمْرِيْمُ أَفْتِي لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِيْنَ﴾^(١)، قال: «وَالسُّجُودُ بَعْدَ الرُّكُوعِ»^(٢).

واستدل أيضاً بقوله تعالى: ﴿B A @ ? > = < ;﴾^(٣)، قال: «وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَمْ يَكُونُوا يُؤْمِنُونَ بِالرَّجْعَةِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿٩١ μ﴾»^(٤)، يُريدُ: نحيا ونموت»^(٥).

واستدل أيضاً بأن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قُلْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتُ»^(٦)، قال: «فَلَوْ كَانَتْ الْوَاوُ لِلتَّرْتِيبِ لَمْ يَنْقُلْهُ مِنْ الْوَاوِ إِلَى (ثُمَّ)»^(٧).

د- نقل ابن الدهان عن بعض الفقهاء أن الباء قد تأتي للتبويض، مستدلين بقوله تعالى: ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾^(٨)، ثم ناقش هذا القول، فردَّ عليه أولاً، بأنَّ هذا غير معروف عند أهل اللغة، ثم نقل أن هذا القول قد ردَّ بقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾^(٩)، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾^(١٠)، ولم يبيِّن وجه الاستدلال، لوضوحه، فالتبويض لا يمكن أن يتصور فيهما؛ لأنَّ مدخولهما لفظ الجلالة، ثم بيَّن أنَّ هاتين الآيتين ليس فيهما دليل على ذلك من غير طريق المعنى، وذلك «أنَّ الْمُدَّعِيَّ لِهَذَا لَا يَدَّعِي أَنَّهَا تَكُونُ لِلتَّبْعِيضِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ، وَمَنْ رَدَّ هَذَا الْقَوْلَ يَقُولُ: إِنَّا اسْتَفَدْنَا التَّبْعِيضَ فِي الْآيَةِ مِنْ

(١) آل عمران: ٤٣.

(٢) ص: ٧٧٩. وقد سبقه إلى هذا بهذا اللفظ أيضاً المبرد في المقتضب ١/١٠، وانظر: البيان في شرح اللمع ٢٩٦، وشرح اللمع للواسطي ١١٧.

(٣) الجاثية: ٢٤.

(٤) الأنعام: ٢٩.

(٥) ص: ٧٧٩.

(٦) أخرجه أحمد في المسند ٦/٣٧١، والنسائي في السنن ٦/٦، وابن ماجه ١/٦٨٤.

(٧) ص: ٧٨١.

(٨) المائدة: ٦.

(٩) الأنعام: ١٠٩.

(١٠) الواقعة: ٧٤.

وَجِهٍ آخَرَ، وَالْبَاءُ فِي الْآيَةِ ظَرْفٌ، وَالظَّرْفُ قَدْ يَكُونُ الْعَمَلُ فِي بَعْضِهِ^(١).

هـ - قَدَّرَ النَحْوِيُّونَ (مَا) فِي أَسْلُوبِ التَّعَجُّبِ (مَا أَفْعَلُهُ) بِـ(شَيْءٍ)، فَإِذَا قُلْتَ: مَا أَحْسَنَ زَيْدًا، فَالتَّقْدِيرُ: شَيْءٌ أَحْسَنَ زَيْدًا.

وقد أشكل هذا التقدير في قولهم: مَا أَعْظَمَ اللَّهُ. فتقديره على هذا: شَيْءٌ أَعْظَمَ اللَّهُ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَظِيمٌ لَا يَجْعَلُ جَاعِلٌ^(٢)، فَخَرَّجَ ابْنُ الدَّهَّانِ هَذَا بَعْدَ مِنَ التَّخْرِيجَاتِ لِتَسْلِمِ الْقَاعِدَةِ وَتَثْبِتِ، قَالَ: «فَإِنْ قِيلَ: فَإِذَا قَدَّرْتَ (مَا) تَقْدِيرَ (شَيْءٍ)، وَإِذَا قُلْتَ: مَا أَحْسَنَ زَيْدًا قَدَّرْتَهُ تَقْدِيرَ: شَيْءٌ أَحْسَنَ زَيْدًا، فَمَا تَصْنَعُ بِقَوْلِهِمْ: مَا أَعْظَمَ اللَّهُ؟ فَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهِهِ: أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الشَّيْءُ نَفْسَهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ.

وَالثَّالِثُ: مَنْ يُعَظِّمُهُ مِنْ عِبَادِهِ.

الرَّابِعُ: أَنْ تَكُونَ الْأَفْعَالُ الْجَارِيَةُ عَلَيْهِ لِحَمْلِهَا عَلَى مَا يَجُوزُ مِنْ صِفَاتِهِ، وَيَلِيقُ بِهِ، فَيَحْمَلُ عَلَى أَنَّهُ عَظِيمٌ فِي نَفْسِهِ، لَا عَلَى شَيْءٍ عَظَّمَ اللَّهُ، وَإِنْ كَانَ يَصِحُّ عَلَى مَا بَيَّنَّا^(٣).

٢ - مراعاة المعنى الشرعي في تخريج المخالف للقواعد:

أ - في قوله تعالى: ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾^(٤) نُصِبَتْ الْأَرْجُلُ عَطْفًا عَلَى الْوَجْهِ، + ، - . / إِلَى الْكَعْبَيْنِ

فهي داخلة في الغسل، قرئ بالجر، فصار في الظاهر عطفًا على الرؤوس، وخرج بعدة تخريجات، ذكر ابن الدهان منها نقلًا عن الحسن ومجاهد والشعبي: أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِالْمَسْحِ، وَالسَّنَةُ جَاءَتْ بِالْغَسْلِ. ثُمَّ أورد احتمالين في قراءة النصب، أولهما: أَنْ تَكُونَ الْأَرْجُلُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى مَوْضِعِ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ، وَالْآخَرُ: أَنْ تَكُونَ مَعْطُوفَةٌ عَلَى الْيَدَيْنِ، ثُمَّ أورد من الآثار ما يستدل به على هذين الاحتمالين، ولم يرجح شيئاً^(٥).

والعطف على موضع الجار والمجرور، مع تقدُّم ما يمكن أن يعطف عليه، مخالف للظاهر؛

(١) ص: ٥٩١.

(٢) انظر: الإنصاف ١٢٨/١ - ١٤٧.

(٣) نقله السبكي عن شرح الإيضاح لابن الدهان. انظر: فتاوي السبكي ٣٢٣/٢.

(٤) المائدة: ٦.

(٥) انظر: ٥٩٢.

لأن مرتبة العطف على الموضع أدنى من مرتبة العطف على الظاهر، ولا سيّما أن الأدلة الشرعية الأخرى تضافرت في إفادة المعنى الآخر، وإنما قاده إلى ذلك - فيما يظهر لي - ديلان نقليان، أولهما: المرويُّ عن عليٍّ رضي الله عنه أنه توضّأ ومسح على ظهر القدمين، وقال: «لولا أنّي رأيتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد فعله لكان باطنُ القدمين أحقَّ من ظاهرهما». والثاني: ما رواه عن رفاعَةَ بنِ رافعٍ رضي الله عنه أنّه كان جالساً عند النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له: «لا تتمُّ صلاةُ أحدِكم حتى يُسبِّغَ الوُضوءَ، كما أمرَ اللهُ تعالى، فيَغسلُ وجهَهُ وَيَدَيْهِ إلى المِرْفَقيْنِ، وَيَمْسَحُ بِرَأْسِهِ وَرِجْلَيْهِ إلى الكَعْبَيْنِ».

فأمّا الأول، فلم أجده بهذا اللفظ قط، وإنما روي بلفظ: «لو كان دينُ الله بالرّأي لكان باطنُ الحفّين أحق بالمسح من أعلاه، ولكن رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يمسحُ عليهما»^(١)، فالحديث في الخف لا في القدم.

وأما الثاني، ففيه الاحتمال الوارد في الآية، فيمكن العطف على اليدين والوجه. فأعتقد أن هذا التأويل، بالعطف على الموضع، إنما كان نتيجةً لهذا المعنى الشرعي الذي تراءى له.

ب- من المقرر أن الفاء العاطفة تفيد الترتيب بلا مهلة، وقد أورد ابن الدهان من النصوص ما ظاهره مخالفٌ لهذا الحكم، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿F E D C B A﴾^(٢)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿٣﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿٤﴾، فأمّا الآيتان الأوليان فقد خرجهما على أن الفعل مرادٌ به الإرادة، أو أنه على القلب.

وأما الآية الثالثة فقد خرجها على أن الإهلاك واقعٌ على بعضها، ثم جاء البأس على الجميع^(٥).

وأثر التفسير في هذه التخريجات واضحٌ، ففي كتاب التفسير من صحيح البخاري:

(١) رواه الدارقطني عن علي رضي الله عنه في سننه (١٩٩/١) والبيهقي في معرفة السنن والآثار (١٦٩/١).

(٢) النحل: ٩٨.

(٣) المائدة: ٦.

(٤) الأعراف: ٤.

(٥) انظر: ٧٨٥-٧٨٦.

﴿t s r q p o n m﴾ هذا مقدّم ومؤخّر، وذلك أن الاستعاذة قبل القراءة^(١)، وقد فسّره على معنى الإرادة عامة المفسرين^(٢).

إلا أن تخريجه للآية الثالثة فيه شيء من الضعف؛ لأنه حمّل الآية وجهاً لا يحتمله لفظها، وكان توجيه المفسرين أقرب إلى لفظها، فالطبري ذكر وجهين كلاهما صحيح عنده:
الأول: أن إهلاك الله إياها بخذلانها عن طاعته.

والثاني: أن يكون الإهلاك هو البأس بعينه، قال: «فيكون في ذكر الإهلاك الدلالة على ذكر مجيء البأس، وفي ذكر مجيء البأس الدلالة على ذكر الإهلاك، وإذا كان ذلك كذلك كان سواءً عند العرب بُدئ بالإهلاك ثم عطف عليه بالبأس، أو بُدئ بالبأس ثم عطف عليه بالإهلاك...»^(٣).

ج- تعرض ابن الدهان لمحرور (إلى)، وهل يدخل في حكم ما قبلها أم لا يدخل، وقرر أنه لا يدخل، فإن احتمل دخوله رُجع إلى القرائن، قال: «وَلَيْسَ يَقْتَضِي الظَّاهِرُ دُخُولَ مَا انْجَرَّ بِهَا فِي حُكْمِ مَا تَقَدَّمَ، إِذَا ذُكِرَ قَبْلَهَا مَا يَحْتَمِلُ ذَلِكَ... وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَدْخُلَ فِي الْحُكْمِ لِغَيْرِ الْوَضْعِ، لَكِنْ لَاحْتِمَالِهِ الْأَمْرَيْنِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ * + ﴾»^(٤)، فأكثر الفقهاء يرون غسل المرافق، وبعضهم لا يراه، وهذا يُعرف بالقرائن^(٥).

د- ذهب ابن الدهان إلى أنه لا يجوز حذف الصفة، واعترض من قدّر صفة محذوفة في قوله صلى الله عليه وسلم: «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد»^(٦)، فقد قدّر قوم: لا صلاة كاملة، قال: «وهذا نقض لما أصْلَنَاهُ، وَالتَّقْدِيرُ عِنْدِي: لا كمال صلاة، فَحَذَفَ

(١) صحيح البخاري ١٧٣٩/٤.

(٢) انظر على سبيل المثال: معاني القرآن للنحاس ٢/٢٦٩، وأحكام القرآن للجصاص ٢/٩٨، وللكنيا الهراسي ١/١٨١، وتفسير القرطبي ٧/٣٢٧.

(٣) تفسير الطبري ٨/١١٨.

وقد خُرِّجَت الآية تخريجاتٍ أخرى، انظر: تفسير الماوردي ٢/٢٠٠، وزاد المسير ٣/١٦٨.

(٤) المائدة: ٦.

(٥) ص: ٥٦٧.

(٦) رواه الشافعي في الأم، وعبد الرزاق وابن أبي شيبة في مصنفيهما عن علي رضي الله عنه. ورواه مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم الدارقطني في سننه. انظر: الأم ٧/١٦٥، ومصنف عبد الرزاق ١/٤٩٧، ومصنف ابن أبي شيبة ١/٣٠٣، وسنن الدارقطني ١/٤١٩.

المُضَافَ وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ»^(١). وقد نقله عنه بعض الأصوليين^(٢). والداعي إلى تقدير محذوف معنى شرعي، وذلك أن الجماعة ليست شرطاً لصحة الصلاة، لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»^(٣)، فالتفاضل يفيد صحة المفضول، فلا يمكن أن يتوجه النفي للصحة، كما هو ظاهر لفظ الحديث، فافتضى ذلك تقدير محذوف.

المبحث الثالث: أقوال الفقهاء:

في المبحث السابق تعرضت لتعامل ابن الدهان مع المعنى الشرعي من خلال النصوص، إمّا استشهداً بها وترجيحاً للحكم من خلالها، أو اعتراضاً على دلالتها وتوجيهها لها. ولقد وجدته في بعض المواضع يكتفي بالإسناد إلى أقوال الفقهاء، دون تعرض للنصوص، لذا رأيتُ أن أفرد لهذا مبحثاً.

لقد عوّل ابن الدهان على أقوال الفقهاء في عدد من المواضع، منها:

أ- حجب الفقهاء الأم من الثلث إلى السدس بالاثنتين من الإخوة^(٤)، فجعل ابن الدهان ذلك دليلاً على أن الاثنتين جمع، فكان حكم الفقهاء عنده تفسيراً لآية النساء، قال: «... وَمَنْ نَصَبَ أَرَادَ بِالْآيَاتِ اثْنَيْنِ، وَإِنْ كَانَ جَمَاعَةً فِي الْفِظِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِخْوَةُ فَلَأُمِّهِ السُّدُسُ﴾»^(٥)، والفقهاء ما عدا ابن عباس يحجبون بالاثنتين من الإخوة الأم، فدلّ أن الجمع واقع على اثنين^(٦).

ب- أشار إلى مذاهب الفقهاء في بعض مسائل الاستثناء عموماً، ثم تعرض لبعضها بشيء من التفصيل، قال في أوائل باب الاستثناء: «وللفقهاء في هذا الباب مذاهب يوافقون النحاة في بعضها ويخالفونها في بعضها، فمن ذلك: أن الاستثناء من غير الجنس عند بعضهم

(١) ص: ٦٤٨.

(٢) كالزركشي في البحر المحيط في أصول الفقه ٣/٤٧٠.

(٣) رواه البخاري ٢٣١/١، ومسلم ٤٥٠/١.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٤/٢٧٨، وتفسير ابن عطية ١٧/٢، والمغني ٦/١٢١.

(٥) النساء: ١١.

(٦) ص: ٧٥٨.

مجازاً، وعند بعضهم حقيقة... والقول الثاني يوافق أكثر النحاة...^(١).

ج- اختلف النحويون في الاستثناء بأكثر من النصف، فمنعه بعضهم، وأجازه بعضهم، وأيد ابن الدهان قول المجيزين بإجازة بعض الفقهاء له، قال: «... وبعض النحاة منهم السيرافي، وجماعة من الفقهاء يجيزون ذلك، ويعتلون بأن معنى الكلام: العشرة عندي أربعة منها، وهذا يؤدي إلى إجازة: لي عنده عشرة إلا تسعة ونصفاً، وهو مذهب بعض أصحاب الشافعي رحمه الله عليه، واستدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿جَازٍ لِي عَشْرَةٌ إِلَّا سِتَّةٌ لَأَنَّهُ قَال: إِذَا قَالَ لَامْرَأَتِهِ: أَنْتِ طَالِقٌ ثَلَاثًا إِلَّا اثْنَتَيْنِ، طَلَقْتَ بِوَاحِدَةٍ...﴾»^(٢).

د- ذكر رأي بعض الفقهاء في الاستثناء من الاستثناء، وطريقة حسابه، وما يثبت للمدعي إذا استثنى من المستثنى^(٣).

هـ- ذهب ابن الدهان إلى أن (لا) النافية للجنس قد اجتمع فيها علتان، كل منهما تقتضي شيئاً غير الذي تقتضيه الأخرى، فإحدهما تقتضي أن تنصب قياساً على (إن)، والأخرى تقتضي البناء مع ما بعدها قياساً على (من) في قولك: هل من رجل... وقد قدم لهذا بمقدمة ذكر فيها نظائر فقهية لفرع اجتمع فيه علتان لأصلين مختلفين، فأوجب لهذا الفرع حكم ثالث. قال: «... وإذا كان الفرع كما يصح أن يكون فيه علة واحدة فقد يصح أن يوجد فيه علتان، فيقتضي لذلك أن يختص بحكم ثالث ينفرد به من الأصل والفرع الذي انفرد كل واحد منهما بإحدى علتين، وذلك نحو اجتماع علتي السبع والشاة عند أبي

(١) ص: ٤٩٣.

(٢) الحجر: ٤٢.

(٣) سورة ص: ٨٢-٨٣. وهاتان الآيتان ليستا بعد الآية التي ذكرها في السورة، وإنما بعدها في القصة، والآية التي

ذكرها أولاً مسبوقه بقوله سبحانه: ﴿آَؤْتِىَ الْكِتَابَ مِنْ قِبَلِكُ لَمْ يَكُنْ لَكَ رِجَالٌ خَلْقَ مَا كَانَ لَكَ أَنْ يَتَذَكَّرَ أَلَمْ يَخْلَقْكَ اللَّهُ فِي السَّابِقِ أَلَمْ يَكُنْ لَكَ آيَاتٌ فِي السَّابِقِ أَلَمْ يَكُنْ لَكَ آيَاتٌ فِي السَّابِقِ أَلَمْ يَكُنْ لَكَ آيَاتٌ فِي السَّابِقِ﴾

٤٩٤.

(٤) ص: ٤٩٤-٤٩٥.

(٥) انظر: ٥٥٤.

حنيفة في الحمار، فصار لسؤره حُكْمٌ ثالثٌ يخالف حُكْمَ سُورِي السَّبْعِ والشاة، وعلى هذا العمل في وَضْعِ جنازة الخُنْثَى المُشَكَّلِ، بين الرجال والنساء، ودفنهم في قبرٍ واحدٍ^(١).

ومن خلال مباحث هذا الفصل، يتبين مدى أثر المعنى الشرعي في التقعيد النحوي، والترجيح والاعتراض، فلقد كانت الثقافة الشرعية عنصراً أساسياً في تكوين العقلية النحوية، وكان أكثر النحويين ذوي عناية بالعلوم الشرعية الأخرى، ولذا لما كان أحد أعلام النحويين لا يحسن غير النحو، نصَّ على ذلك المترجمون.

هذا الامتزاج بين هذه العلوم، التي ترجع إلى أصل واحد، أدى إلى تشابه في طرق التحليل والاستنتاج، وتربط بين مواد الدراسة، وتقارب في أهدافها، فإذا كان أبرز غايات النحو خدمة الوحيين، فإن العلوم الشرعية منبثقة منهما. وقد أبرز ابن الدهان هذا الترابط في أثناء شرحه، وكان ذلك نتيجة لثقافته الشرعية، التي كان من مظاهرها تصنيفه في التفسير.

(١) ص: ٢٦١.

الفصل الخامس

شخصية ابن الدهان النحوية

المبحث الأول: مناقشاته.

المبحث الثاني: نقده واعتراضاته.

المبحث الثالث: آراؤه واختياراته.

المبحث الأول: مناقشاته.

لقد أشرتُ في بعض ما سبق من الفصول أن ابن الدهان قد اتخذ التوسع والتفصيل منهجاً له في هذا الكتاب، حتى إنَّه كان يعمد إلى الاستقصاء بذكر ما يتعلق بالباب، وما لا يتعلق به إلا من باب المشاكلة اللفظية فقط، ومثلت باستقصائه لمعاني (إن)، ولما تأتي له الواو والفاء، وهما حرفا مبني، عند ذكر حروف العطف. وفي أوَّل الكتاب، لما ذكر الحرف -أحد أقسام الكلمة- سرَّد حروف المعاني كلها، الأحادية والثنائية والثلاثية والرابعة، و(لكن) الخماسي^(١).

ويحسن في هذا الفصل أن تُتناوَل مناقشاته من جانبين:

الأول: مناقشاته للنحويين، وعرض آرائهم ونقدها.

والثاني: مناقشاته للقضايا النحوية، بغض النظر عن التعرض للخلاف من عدمه.

فأما مناقشاته للنحويين، فقد كانت مظهراً من مظاهر هذا التوسع والاسترسال الذي انتهجه؛ لأنه كان معنياً بذكر الخلاف، ومن عنايته به ذكر ما يرد عليه موافقةً أو مخالفةً. ومن صور عنايته بالخلاف والإيرادات عليه؛ أن يذكر الرأي والرد عليه، ثم يقترح على الرد جواباً، ثم على الجواب ردّاً، وهكذا، مثال ذلك، ما ساقه من خلاف بين سيبويه والأخفش في نحو: علمتُ أنَّ زيدا منطلق، فسيبويه يقول: استغني عن المفعول الثاني، والأخفش يقدره (موجوداً)، وحجته: أنه لو أظهر المصدر المُقدَّر به (أنَّ) لم يكن بُدُّ من المفعول الثاني، ثم اختار ما ذهب إليه سيبويه؛ لأنه لم يظهر هذا المُقدَّر، ولأنَّ الكلام مُستقلٌّ بالفائدة، ثم قال: «وللأخفش أن يقول: لو أغنت عن المفعولين لم تقع بعد (لولا) إذ لا يقع بعدها مُبتدأ وخبر، ولسيبويه أن يقول: إنما يكون هذا الغناء في موضع لا في كل موضع، كما يغني بعد (لو) عند جماعة عن ظهور الفعل في قولك: لو أنَّك جئتني لأكرمُك...»^(٢).

وأيضاً ما ذكره من خلاف في العامل في المعطوف، فذهب بعضهم إلى أن الواو هي العاملة، فاحتجَّ له بأنَّ العامل الأوَّل قد اشتغل بمعموله، ولا شيء في الكلام غير هذا الحرف،

(١) الغرة ٢ ب (كويريلي).

(٢) ص: ٣٥٥.

قال: وأفسد قوله بعدم الحكاية، «وعليه أن يقال: لو سُمِّيَتْ رَجُلًا (زَيْدًا وَعَمْرًا) مِنْ قَوْلِكَ: ضَرَبْتُ زَيْدًا وَعَمْرًا، لم تحك، وله أن يقول: إنَّ العاملَ الذي تَدَّعِيهِ غَيْرُ مَوْجُودٍ مَعَ المَعْمُولِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّكَ تَقُولُ: أَقَامَ زَيْدٌ أَمَ عَمْرُو؟ فَيَكُونُ اسْتِفْهَامًا مُتَّصِلًا، وَلَوْ كَانَ الفِعْلُ مُرَادًّا كَانَ عَلَى تَقْدِيرٍ: أَقَامَ زَيْدٌ أَمَ قَامَ عَمْرُو، فَيَكُونُ مُنْقَطِعًا، وَفِي كَوْنِهِ مُتَّصِلًا عِنْدَ التَّحْوِيلِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا فِعْلَ مَعَهُ مُقَدَّرٌ، فَثَبَّتَ أَنَّهُ مُرْتَفِعٌ بِالْعَاطِفِ، أعني الحرفَ دُونَ الفِعْلِ...»^(١).

ومما وجدته أيضاً من هذا الباب أنه اعترض ثم انتصر للمعترض، ففي باب المعرب والمبني^(٢)، لما وصف ابن جني الفعل المضارع بقوله: «ما كان في أوله إحدى الزوائد الأربع، وهي الهمزة والنون والتاء والياء... والتاء للمذكر الحاضر...»^(٣)، قال ابن الدهان: «وفي كلامه تسامح؛ لأنه قال: إنَّ التاء قد تكون للمذكر الحاضر، فكان المعنى أن لو كان مؤنثاً حاضراً لم تكن التاء لها، وكان يجب أن يقول: والتاء للمخاطب الحاضر، ليشمل الذكر والأنثى... والانتصار له أن التاء مع المذكر الحاضر يفتقر إلى الياء، وإنما كلامه فيما تصلح التاء وحدها له...»^(٤).

ولما تحدث عن إضافة الظرف إلى الجمل، ذكر التفصيل في ذلك، وأنه يضاف إلى الجملتين الاسمية والفعلية ما كان بمعنى (إذ)، ويضاف إلى الفعلية فقط ما كان بمعنى (إذا)، قال: «تقول: أحيوك إذا قام زيد، وكذلك أحيوك يوم يقوم زيد، ولا يحسن أن تقول: أحيوك يوم زيد قائم، ولا يوم قائم زيد»، ثم بين أن هذا رأي الأخفش والمبرد، قال: «هذا مذهب الأخفش والمبرد... والزجاج قد اطرَحَ هذا النظر، وقال: يُعْجِبُنِي يَوْمٌ أَنْتَ قائمٌ...»^(٥) ثم قال: «ووجدت للزجاج دليلاً وهو قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ﴾ : < = > ؟ @ A ﴿٦﴾ فـ(يوم) هنا بتقدير المستقبل... وهو مضاف إلى جملة اسمية. وقال تعالى:

(١) ص: ٧٦٥.

(٢) في الجزء الأول.

(٣) اللع ٩.

(٤) الغرة ٦ أ - ٦ ب (كوبريللي).

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٥٢/٥.

(٦) الذاريات: ١٢، ١٣.

﴿لِنُذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ (١٥) يَوْمَ هُمْ بَرْزُورُونَ ﴿١﴾ فهذا بمعنى المُسْتَقْبَلِ، وهو مُضَافٌ إلى جملة اسمية، ثم التمس انتصاراً للرأي الأول فقال: «وللمُنْتَصِرِ لِلأَوَّلِ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿= > ؟ @ A﴾ (٢) فـ(هُمْ) فِيهِ مَرْفُوعٌ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ، كَمَا تُرْفَعُ (السَّمَاءُ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿﴾ ، - ﴿٣﴾ فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورُونَ﴾ فـ(يَوْمَ) فِيهِ لَيْسَ بِظَرْفٍ، وَإِنَّمَا هُوَ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ وَ(يَوْمَ) مَفْعُولٌ بِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ الْإِنْذَارُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَإِنَّمَا يُنْذَرُ بِهِ، فَإِذَا كَانَ اسْمًا تَوَسَّعَ فِيهِ فَأُضِيفَ إِلَى كِلَا الْجُمْلَتَيْنِ، فَالْإِضَافَةُ إِلَى الْجُمْلَةِ بِحُكْمِ الْمَعْنَى الَّتِي لِلظَّرْفِ، وَالِاتِّسَاعُ بِحُكْمِ مَعْنَى الْاسْمِ، فَتَدْبِيرُهُ (٤).

فانتصر للزجاج بالدليل الذي وحده، ثم انتصر للأخفش والمبرد بتأويل ذلك الدليل. ومما ظهر لي في مناقشاته للنحويين التزام الحياد في كثير من المسائل، فعنايته بذكر الأقوال واستقصائها أكبر من عنايته بالترجيح، فكان كثيراً ما يذكر القولين، أو الأقوال، وحججها، وما ردَّ به كلٌّ على الآخر، ثم يتركها دون ترجيح.

ويمكن أن يُستدلَّ بهذه الظاهرة على مظهرين في شخصية ابن الدهان: الأول: مظهر قوة، وهو الدقة، فهو لا يتكلف الترجيح، وإنما لا يرجح إلا ما ظهر له رُجحانه، فعلى هذا تكون أحكامه في الترجيح دقيقة متقنة.

الثاني: مظهر ضعف، فتخلف الترجيح إشارة إلى عجز عن الحكم. ويمكن أن يُعدَّ اكتفاؤه بإيراد الخلاف وتركه دون ترجيح، إشارة إلى تساوي الرأيين في نظره، وقوة الدليلين، بحيث لا يمكن الترجيح بينهما.

وأما مناقشته للقضايا النحوية، فقد اتسمت بمعالم ظاهرة، منها:

١ - كثرة الاستدلال والتعليل، فمثلاً في باب المفعول المطلق الذي أخذ أقل من ثلاث لوحات في نسخة (كوبريللي)، استدل بواحد وثلاثين شاهداً؛ ثمان آيات، وحديث، وقول، وواحد وعشرين بيتاً من الشعر.

(١) غافر. من الآيتين ١٥، ١٦.

(٢) الذاريات: ١٣.

(٣) الانشقاق: ١.

(٤) ص: ٣٩٠-٣٩١.

٢- عنايته بذكر الأوجه الجائزة، فمن ذلك: بيانه لأوجه إعراب (حسبك به)، يقول: فإذا قلتَ: حَسْبُكَ بِهِ، فـ(به) يجوزُ أن يتعلّق بـ(حسبك)، والخبرُ محذوفٌ، أو مُستغنى عنه بالمعنى الذي تَضَمَّنَتْهُ، وفيه معنى التعجُّب، فإن قَدَّرْتَ البَاءَ عَلَى بابِها، فَالتقديرُ: اكتفِ بِهِ، فَالكَافُ فَاعِلَةٌ فِي الْمَعْنَى، وَإِنْ قَدَّرْتَ الْبَاءَ زَائِدَةً فَالكَافُ مَفْعُولَةٌ، وَالْهَاءُ فَاعِلَةٌ فِي الْمَعْنَى كَمَا تَقُولُ: أَكْرَمَ بِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْبَاءُ زَائِدَةً، وَتَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ، أَوْ فِي مَوْضِعِ الْمُبْتَدَأِ...»^(١).

٣- عنايته بالافتراضات، فمن ذلك قوله: «... فَأَمَّا قَوْلُ الشَّاعِرِ: وَوَطِئْتَنَا وَطِئًا عَلَى حَقِّ وَطْءِ الْمُقَيَّدِ نَابَتْ الْهَرَمُ فَإِنْ جَعَلْتَ الثَّانِي [وَطْءَ الْمُقَيَّدِ] بَدَلًا مِنَ الْأَوَّلِ [وَطِئًا] لَمْ يَحْسُنْ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُهُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَجْعَلَهُ وَصْفًا لَهُ؛ لِأَنَّهُ مَعْرُفَةٌ، وَالْأَوَّلُ نَكْرَةٌ، فَإِنْ جَعَلْتَهُ عَلَى إِرَادَةِ: (مِثْل) فَفِيهِ قُبْحٌ؛ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى أَنْ تَقُولَ: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ زَيْدٍ، أَيْ: مِثْلِ زَيْدٍ، وَتَجْعَلَهُ وَصْفًا، وَإِنَّمَا نَصَبُهُ إِمَّا عَلَى أَنْ يَكُونَ الْأَوَّلُ مَفْعُولًا بِهِ عَلَى الْإِتْسَاعِ، وَإِمَّا عَلَى إِضْمَارِ فِعْلٍ»^(٢).
ومن ذلك أيضاً أنه يعتمد إلى فرض الأسئلة والإجابة عنها، فيكرر كثيراً: فَإِنْ قُلْتَ... قُلْتُ...، فَإِنْ قِيلَ... فَالْجَوَابُ... وقد يفرض على الجواب سؤالاً ثانياً، وعلى جوابه سؤالاً آخر وهكذا، ومن ذلك على سبيل المثال قوله: «إِنْ قُلْتَ: فَأَنْتَ تَقُولُ: إِنَّ فِي الدَّارِ لَزَيْدًا، وَإِنَّ زَيْدًا لِقَائِمٌ، وَمَا بَعْدَ اللَّامِ مَعْمُولٌ (إِنَّ) فَكَيْفَ لَمْ يَقْطَعْهَا»^(٣).
فالْجَوَابُ: أَنْ النِّيَّةَ بِاللَّامِ التَّقْدِيمُ، أَلَا تَرَى إِلَى تَقْدِيمِ أَحَدِ الْجُزْأَيْنِ، وَحُكْمِ اللَّامِ أَنْ تَتَصَدَّرَ الْجُمْلَةُ، فَلَمَّا تَصَدَّرَتْ الْمَفْرَدُ لَمْ يُغَيَّرْ حُكْمُهَا.
فَإِنْ قِيلَ: فَأَخْرُوا (إِنَّ) وَقَدِّمُوا اللَّامَ.
فَالْجَوَابُ: أَنَّ (إِنَّ) عَامِلَةٌ، فَهِيَ أَقْوَى...»^(٤).

٤- وقد تطول عباراته، بما يعترض من استطراد أو احتراز، فمن ذلك، قوله: «أَصْلُ آلَاتِ الْإِسْتِثْنَاءِ (إِلَّا)، وَإِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ حَرْفٌ مُخَلَّصٌ لَهُ، لَيْسَ لَهُ مَعْنَى سِوَى مَعْنَاهُ، إِلَّا

(١) ص: ٤٨٧.

(٢) ص: ٣٠٦.

(٣) أي: عن العمل.

(٤) ص: ٢٢٤.

أَنْ يُحْمَلَ عَلَى غَيْرِهِ، وَالْحَرْفُ هُوَ الْمَوْضُوعُ لِلْمَعْنَى الطَّارِئِ عَلَى الْجُمْلِ مِنْ اسْتِفْهَامٍ أَوْ نَفْيٍ أَوْ تَمْنٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَمَا عِداها [أي (إلا)] فِي بَابِ الْاسْتِثْنَاءِ فَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَيْهَا، مِنْ اسْمٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ حَرْفٍ يَتَجَادَبُهُ خِلَافٌ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْحَرْفِ»^(١). فَقَوْلُهُ: وَالْحَرْفُ هُوَ الْمَوْضُوعُ... اسْتَطْرَادَ فِي تَعْرِيفِ الْحَرْفِ، عَادَ بَعْدَهُ إِلَى الْحَدِيثِ عَنْ (إلا).

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضاً أَنَّهُ عِنْدَ قَوْلِ ابْنِ جَنِّي: «وَالْمَعْرِفَةُ تَوْصِفُ بِالْمَعْرِفَةِ...» أَرَادَ أَنْ يَعْطِلَ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ، فَبَيَّنَ أَوَّلًا اخْتِلَافَ الْمَعْرِفَةِ عَنِ النِّكَرَةِ، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ الصِّفَةَ هِيَ الْمَوْصُوفُ، فَنَتِيجَةُ ذَلِكَ امْتِنَاعُ وَصْفِ الْمَعْرِفَةِ بِالنِّكَرَةِ، وَلَكِنَّهُ اسْتَطْرَدَ خِلَالَ هَاتَيْنِ الْمَقْدَمَتَيْنِ فِي شَرْحٍ وَتَفْصِيلٍ لِلْفَرْقِ فِي الْأَوَّلِ، وَالِاتِّفَاقِ فِي الثَّانِي، عَلَى النِّحْوِ التَّالِي: «طَبِيعَةُ الْمَعْرِفَةِ مُضَادَّةٌ لَطَبِيعَةِ النِّكَرَةِ، وَالصِّفَةُ مُكَمِّلَةٌ، وَلَا يُكَمِّلُ الشَّيْءُ بِمَبَايِنِ طَبِيعَتِهِ، وَأَيْضاً فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ تَذُلُّ عَلَى الْخُصُوصِ، وَالنِّكَرَةُ تَذُلُّ عَلَى الشَّيْءِ» فَأَخَذَ يَدُلُّ عَلَى الشَّيْءِ: «فَإِذَا قَالَ رَجُلٌ: مَا جَاءَنِي رَجُلٌ، جَازَ أَنْ يَكُونَ نَافِياً لِلْجِنْسِ جَمِيعِهِ، وَجَازَ أَنْ يَكُونَ نَافِياً وَاحِداً، فَالشَّيْءُ مَوْجُودٌ فِيهِ، وَالِدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ أَنَّهُ يَصِحُّ أَنْ تَدْخُلَ (مِنْ) عَلَيْهِ فَتَسْتَغْرِقَ الْجِنْسَ، وَلَيْسَ زَيْدٌ وَعَمْرُو بِهَذِهِ الْمِثْلَةِ، فَإِذَا قَالَ: مَا جَاءَنِي زَيْدٌ، لَمْ يَكُنْ نَافِياً إِلَّا جَمِيعاً وَاحِداً بَعِيْنَهُ» هَذِهِ الْمَقْدَمَةُ الْأُولَى.

قَالَ: «وَالصِّفَةُ هِيَ الْمَوْصُوفُ» فَأَتَى بِالْأَدْلَةِ عَلَى ذَلِكَ: «وَلِهَذَا الْمَعْنَى تُعْنِي الصِّفَةُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ عَنِ الْمَوْصُوفِ، نَحْوُ: مَرَرْتُ بِقَائِمٍ، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾^(٢)، أَيْ: رَجُلًا بَرِيئًا، أَوْ شَخْصًا مُحْصَنًا. وَقَدْ اسْتُغْنِيَ بِالْمَوْصُوفِ عَنِ الصِّفَةِ نَحْوُ: «لَا صَلَاةَ لِحَارِ الْمَسْجِدِ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ»، فِي أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ، وَحَيْثُ كَانَتْ إِيَّاهُ تَبَعْتُهُ فِي الْإِعْرَابِ، لِيَدُلَّ الْفِعْلُ عَلَى أَنَّهُمَا لِشَيْءٍ وَاحِدٍ».

ثُمَّ جَاءَ بِالنَّتِيجَةِ: «فَمِنْ حَيْثُ لَمْ يُجْزَ أَنْ يُوصَفَ الْوَاحِدُ بِالْجَمْعِ وَلَا الْجَمْعُ بِالْوَاحِدِ لَمْ يَصِحَّ أَنْ يُوصَفَ الْمَعْرِفَةُ بِالنِّكَرَةِ وَلَا النِّكَرَةُ بِالْمَعْرِفَةِ...»^(٣).

وَتَحَدَّثَ فِي بَابِ الْحَالِ عَنْ رَوَابِطِ الْجُمْلَةِ الْحَالِيَةِ، فَقَالَ فِي رَوَابِطِ الْجُمْلَةِ الْحَالِيَةِ الْمُضَارَعِيَّةِ: «فَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ مُضَارِعًا لَمْ يَفْتَقِرْ إِلَى وَائٍ فِي الْقَوْلِ الْقَوِي، فَأَمَّا قَوْلُهُمْ: قُمْتُ

(١) ص: ٤٩٦.

(٢) النساء: ١١٢.

(٣) ص: ٦٧٧-٦٧٨.

وأصلك عينه، فعلى إضمار المبتدأ، بدليل ظهوره في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانِ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(١)، واحتجت إلى الضمير كقولك: جاء زيدٌ يضحك^(٢). فقوله: فأما قولهم ... كلام معترض، وتقدير الكلام: فإن كان الفعل مضارعاً لم يفتقر إلى واو في القول القوي واحتجت إلى الضمير ... وكانت مناقشاته معتمدة على الاستدلال والتعليل، وسأتعرض لذلك إن شاء الله تعالى في فصول قادمة.

المبحث الثاني: نقده واعتراضاته.

الاعتراض والاختيار بينهما تلازم من وجه، فكل اختيار أو ترجيح يتضمن اعتراضاً على الرأي الآخر، وليس كل اعتراض يقطع باختيار أو ترجيح، ولذا آثرت أن أفرد مبحثاً لكل من الاعتراض والاختيار. وقد ظهرت اعتراضات ابن الدهان في جانبين:

الأول: متن اللمع:

فقد كان كثيراً ما يتعقب عبارته، من مثل قوله: «هذه العبارة يُفتقر فيها إلى احتراز من الشأن والقصة»^(٣)، وقوله: «قوله: «إن وصفت اسم (لا) كان لك فيه ثلاثة أوجه» يفتقر إلى احتراز»^(٤)، وقوله: «في هذا الفصل اتساع ما»^(٥)، وقوله: «إن أراد عثمان أن كل جارٍّ ومجرور في موضع نصب فهو غير مُستقيم، لقوله تعالى: ﴿عَٰلَمٌ غَٰيْبٌ﴾»^(٦) وقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾»^(٧)...»^(٨).

ولما ذكر ابن جني ضابطاً لكسر همزة (إن)، اعترضه ابن الدهان، واقترح ضابطاً آخر:

(١) الأنفال: ٣٣.

(٢) ص: ٤٧٠-٤٧١.

(٣) ص: ٢٤٢.

(٤) ص: ٢٨٢.

(٥) ص: ٣٥٥.

(٦) النساء: ٧٩.

(٧) مريم: ٣٨.

(٨) ص: ٣٢٧.

«قال أبو الفتح: وَتُكْسَرُ (إِنَّ) فِي كُلِّ مَوْضِعٍ لَوْ طَرَحْتَهَا مِنْهُ لَكَانَ مَا بَعْدَهَا مَرْفُوعاً بِالْإِبْتِدَاءِ، نَحْوُ: إِنَّ أَحَاكَ قَائِمٌ؛ لِأَنَّكَ لَوْ طَرَحْتَهَا مِنْ هُنَاكَ لَقُلْتَ: أَخَوِكَ قَائِمٌ.

قال سعيد: هذا الكلام لا يَتَّجِه؛ لِأَنَّ (لَوْلا) تَفْتَحُ بَعْدَهَا وَإِذَا أُزِيلَتْ عَنْهَا ارْتَفَعَ مَا بَعْدَهَا بِالْإِبْتِدَاءِ، فَتَقُولُ: لَوْلا زَيْدٌ جَاءَ عَمْرُو، وَالصَّوَابُ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ الْمَوْضِعَ إِذَا لَمْ يَخْتَصَّ صَلَحَ لِلْمَكْسُورَةِ كَالْإِبْتِدَاءِ...»^(١).

ولقد تتبعنا هذه الاعتراضات في الجزء المحقق، وفي مواضع أُخَر من الغرة^(٢)، فوجدت أَنَّ ابن الدهَّان قد أصاب فيها، وَأَنَّ عبارة ابن جني لا تخلو من نقص أو خلل.

ولكن بالنظر إلى منهج ابن جني في اللمع من التزام الاختصار، وتوضيح العبارة، والبعد عن كثرة التقييدات والاستثناءات، تجد أَنَّ بعض تلك الاعتراضات تفقد الوجهة، ليس من جهة ذواتها، ولكن بالنظر إلى السياق الذي هي فيه، وذلك كما إذا كانت متعلقة بمسألة لم يوردها ابن جني، فإسقاطه لها، ولما يتعلق بها، أمرٌ كان مقصوداً، فلا يسوغُ اعتراضه.

مثال هذا اعتراضه على قول ابن جني: «والمفعول الثاني من (ظَنَنْتُ) وأخواتها كأخبار المبتدأ من المفرد والجمله والظرف»^(٣) بأنَّ خبر المبتدأ قد يكون بالفاء، وقد يكون أمراً ونهياً، ولا يجوز ذلك في (ظَنَنْتُ)^(٤). وهذه المسألة لم يتعرض لها ابن جني في باب خبر المبتدأ لهاتين المسألتين، فهو قد أحال إلى ما قرَّره سلفاً، فلا يؤخذ عليه هذا.

والثاني: الآراء والأقوال التي يوردها في الشرح، وقد أشرتُ إلى جملة منها عند

الحديث عن موقفه من النحويين البصريين والكوفيين، وأودُّ أن أعرض هنا شيئاً من ذلك:

١- أَنَّ المبرد فرق بين التعدية بالهمزة والتعدية بحرف الجر، فقال: إذا قال: أذهبته، فالعنى حملته على الذهاب، ويجوز أن يكون معه وألاً يكون معه، أما إذا قال: ذهبْتُ به، فالعنى: أَنه ذهب واستصحبه معه، قال ابن الدهان: «ولا يتجه قوله في هذا»^(٥)، وأورد

(١) ص: ٢٣٢.

(٢) على سبيل المثال: ٦ أ (كويريللي).

(٣) اللمع ٥٣.

(٤) انظر: ٣٥٥.

(٥) ص: ٣٢٠.

استدلال من ردّوا عليه، وهو قوله تعالى: ﴿c b a ˘ _ ^﴾^(١)، فلا يمكن أن يسوغ في حقّ الله تعالى ما ذكر.

وقد ردّ على المبرد الحريري^(٢)، وابن عصفور^(٣)، وغيرهما^(٤).

٢- مما استدل به النحويون على أن (لا) وما عملت فيه بمثلة شيء واحد، قولهم: غضبتُ من لا شيء، وجئتُ بلا مال، فدخل (من) عليهما يدل على أنه لا حكم لـ لا منفردة. وقد اعترض ابن الدهان هذا، وقال إنّ ذلك يؤدي إلى تعليق حرف الجر؛ «لأن (لا) وما يتصل به من اسمٍ وخبر إذا بنيت المبتدأ جملة، وحرف الجر لا يدخل على جملة»^(٥). ثم افترض أن يقال: إنّ ذلك بمثلة قولهم: بحسبك قولُ السوء، وما من أحدٍ قائمٌ، فهو يعمل في المبتدأ وحده، قال: «وهو قولٌ وفيه أيضاً نظر»^(٦).

٣- ذهب بعض النحويين إلى أن الغرض من المصدر المؤكّد الفرق بين الحقيقة والمجاز، فإذا قلت: «ضرب الأمير اللصّ، فلا يكون قد لابسَه بنفسه، وإنما أمرَ به، فإذا قلت: ضرباً، علِمَ أنّه قد لابسَه» ولم يرتضِ هذا القول، وقرر أنّ هذه الدلالة تكون في باب التوكيد بالنفس والعين، واستشهد على عدم صحة هذا الدعوى بقول الشاعر:

قرعتُ ظنايبَ الهوى يومَ عالجٍ ويوم اللوى حتى قسرتُ الهوى قسراً
قال: «فأكّد وليس هذا بحقيقة»^(٧).

٤- في حديثه عن العامل في الحال، إذا لم يكن ثمّ فعل، أورد أنّ بعض المتقدمين جعل العامل في (مُصدّقاً) في قوله تعالى: ﴿ا k z﴾^(٨) هو (الحق)، ولم يرتضِ هذا القول، قال: «ورأيتُ بعضَ المُتقدِّمين يذكُر في قولهِ تعالى: ﴿ا k z﴾ أنّ (مُصدّقاً) حالٌ من

(١) البقرة: ٢٠.

(٢) انظر: درة الغواص ٥٨.

(٣) انظر: شرح جمل الزجاجي ٤٩٣/١.

(٤) انظر: البسيط ٤١٧/١، والجنى الداني ٣٧، ومعني اللبيب ١٣٨.

(٥) ص: ٢٦٦.

(٦) ص: ٢٧٠.

(٧) ص: ٣٠٤.

(٨) البقرة: ٩١.

(الحق)^(١)، وَجَوَزَ أَنْ يَعْمَلَ فِيهَا مَا لَا يَعْمَلُ فِي صَاحِبِهَا؛ لِأَنَّ الْحَالَ خَيْرٌ، وَالْعَامِلُ فِي الْخَيْرِ غَيْرُ الْعَامِلِ فِي الْمَخْبَرِ عَنْهُ، وَلَا يَعْجُبُنِي هَذَا الْقَوْلُ^(٢).

المبحث الثالث: آراؤه واختياراته.

كان من منهجه في الغرة ألا يقتصر على قول واحد في المسألة، يكاد لا يتخلف هذا مطلقاً، فلا بُدَّ أَنْ يَذْكَرَ خِلَافاً، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَطْرُدُ تَرْجِيحَهُ فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ خِلَافِيَّةٍ، وَإِنَّمَا يَقْتَصِرُ عَلَى بَعْضِ الْمَسَائِلِ، فَيَعْقِبُ الْمَسْأَلَةَ بِقَوْلِهِ: وَعِنْدِي أَنَّ كَذَا.. وَالصَّحِيحُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ فَلَان..، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ اخْتِيَارَاتِهِ فِيمَا سَبَقَ مِنَ الْفُصُولِ.

ويمكن أَنْ تُقَسِّمَ آرَأُوهَ وَاخْتِيَارَاتِهِ قِسْمَيْنِ؛ فَمَا يَتَعَلَّقُ بِالْقَوَاعِدِ وَالْمَسَائِلِ قِسْمٌ، وَمَا يَكُونُ فِي تَوْجِيهِ الشُّوَاهِدِ قِسْمٌ آخَرُ.

أولاً: آراؤه واختياراته في المسائل والقواعد.

من ذلك:

أ- المجزوم لا يتقدم على الجازم، فكذلك معموله، وقالوا: زيداً لم أضرب، قال ابن الدهان: «فالجواب عند النحاة: أَنَّ هَذَا مُحْمُولٌ عَلَى الْإِيجَابِ، وَهَذَا عِنْدِي ضَعِيفٌ، وَإِنَّمَا الْجَوَابُ عِنْدِي: أَنَّ هَذَا الْعَمَلُ الَّذِي هُوَ الْجَزْمُ فِيهِ ضَعِيفُ التَّقْدِيرِ؛ لِأَنَّ التَّقْدِيرَ فِي هَذَا لِلْفِعْلِ الْمَاضِي، وَإِذَا كَانَ مَاضِياً فَمَا لِلْعَمَلِ فِيهِ وَجْهٌ، وَكَأَنَّ الْجَزْمَ فِيهِ كَلَا جَزْمٍ، فَعَمَلٌ فِيمَا قَبْلَهُ كَمَا لَوْ كَانَ مَاضِياً غَيْرَ مُعْمُولٍ»^(٣).

ب- نقل ابن الدهان عن النحويين: أَنَّ كُلَّ فِعْلٍ يُلَاقِي شَيْئاً أَوْ يَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ فَهُوَ مُتَعَدٌّ. واختار ضابطاً آخر، فقال: «والذي عِنْدِي أَنَّ كُلَّ فِعْلٍ يَفْتَقِرُ وَجُودَهُ إِلَى شَيْءٍ غَيْرِ فَاعِلِهِ وَالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ فَهُوَ مُتَعَدٌّ مُؤَثَّرٌ كَانَ أَوْ غَيْرَ مُؤَثَّرٍ»^(٤).

ج- يرى أَنَّ (إِمَّا) ليست حرف عطف، يستوي في ذلك (إِمَّا) الأولى و(إِمَّا) الثانية؛ وعلة ذلك أَنَّ الأولى ليس قبلها ما يحمل بعدها عليه في نحو: قَامَ إِمَّا زَيْدٌ وَإِمَّا عَمْرُو، وَأَمَّا

(١) هو مكى بن أبي طالب فيما يظهر. انظر: مشكل إعراب القرآن ١٠٥. وانظر التعليق على موضعه من النص.

(٢) ص: ٤٥٩.

(٣) ص: ٣٦٥.

(٤) ص: ٣٢٩.

الثانية فلأن الواو لازمة قبلها^(١).

د- جعل اللامات غير الزوائد خمساً فقط، قال: «وقومٌ يقسمونها ثلاثين لاماً، وقومٌ يقسمونها عشرين لاماً، والصحيح ما بدأنا به»^(٢) ثم فصل ذكرها.

هـ- ذكر من أقسام المصادر ما يذكر لتعدد المرات، ومن ذلك عنده: ضَرَبَ بِهِ ضَرْبَتَيْنِ، ونقل عن سيويه أنه ظرف، وعن قوم أنه تمييز، واختار كونه مصدرًا^(٣).

و- تحدث عن إعراب الظرف مع أنه قد تَضَمَّنَ معنى (في)، والاسم إذا تَضَمَّنَ معنى الحرف بُني كما وُجد في (أَمْسٍ) و(هؤلاء)، فنقل تعليقات عن بعض النحويين، منها: أن الاسم إذا تَضَمَّنَ الحرف وجاز ظهور الحرف معه فهو معرب؛ لأن الاسم غير متَضَمِّنٍ له، فإن لم يَصِحَّ ظهوره معه فهو متَضَمِّنٌ معناه، نحو (أَيْنَ) و(كَيْفَ)، ثم قال: «وهذا غير قوي؛ لأنَّ (عِنْدَ) قَدْ تَضَمَّنَتْ الحرفَ وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ (فِي) لَا تَظْهَرُ مَعَهَا، وَهِيَ مُعْرَبَةٌ، وَكَذَلِكَ (حَيْثُ) هَذَا فِي الْمَكَانِ، إِلَّا الْيَسِيرَ مِنْ كَلَامِهِمْ، وَيُفْسِدُ ذَلِكَ (أَمْسٍ) فَإِنَّهَا قَدْ تَضَمَّنَتْ الْأَلْفَ وَاللَّامَ وَظَهَرَتْ مَعَهَا فِي بَعْضِ كَلَامِهِمْ...».

ثم نقل عن بعضهم أنه «لَمَّا ظَهَرَ فِي بَعْضِهَا ذَلِكَ صَارَ ذَلِكَ بِمِثْلَةِ ظُهُورِهَا فِي جَمِيعِهَا، فَأَعْرَبُوهَا»، ولم يرتضِ هذا الرأي؛ لأنه «يُؤَدِّي إِلَى أَنْ يُبْنَى جَمِيعُ الْأَسْمَاءِ لِبْنَاءِ بَعْضِهَا، أَوْ يُعْرَبَ جَمِيعُ الْأَفْعَالِ لِإِعْرَابِ بَعْضِهَا».

وبعد ذلك لخص رأيه في ضبط علة البناء لتضمن الحرف فقال: «والصحيح أن حَذَفَ الحرف من الأسماء ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: حذفها وتضمُّنُ الاسمَ معناها، وإنابة الاسمَ منابها، كما تقول في (أَمْسٍ) و(هؤلاء)، فحكمُ التعريف والإشارة قد انتقل إلى الاسم، وبطلَ حكمُ الحرفين للغناء عنهما بما انتقل إلى الاسمين منهما، فبُني الاسمان لذلك.

والقسم الثاني: المعدولُ مثل: (عُمَرُ) و(سَحَرُ)، فـ(عُمَرُ) معدولٌ عن عامرٍ، و(سَحَرُ) معدولٌ عن السَّحَرِ، وهذا لا يُبنى له الاسم؛ لأنَّ الحرف يُراد في الاسم الأول المعدول عنه،

(١) انظر: ٨٢٣.

(٢) ص: ٥٩٨.

(٣) انظر: ٣٠٥.

وإذا كان هناك مُراداً لم يَتَضَمَّنْهُ هذا الاسم...

والضرب الثالث: أن يُحذف الحرف من اللفظ وهو مُرادٌ فيه، وإنما يُحذف اختصاراً، فهو يجري مجرى الثبات...»^(١).

ز- يرى أن الباء وُضِعَتْ للتعدية، وأن المعاني الأخرى لا تخرج عن التعدية، قال: «وَلِلْبَاءِ عِنْدَ النُّحَاةِ أَقْسَامٌ كُلُّهَا صَحِيحَةٌ، فَبَعْضُهُمْ يَجْعَلُهَا لِلِإِلْصَاقِ، وَبَعْضُهُمْ يَجْعَلُهَا لِلِاسْتِعَانَةِ، وَبَعْضُهُمْ يَجْعَلُهَا لِلِإِضَافَةِ، وَالْأَصْلُ فِيهَا جَمِيعُهَا التَّعْدِيَةُ؛ لَأَنَّهَا لَا تَخْرُجُ عَنْهُ، كَإِنْ الشَّرْطِ وَوَاوِ الْعَطْفِ»، وقال: «وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْبَاءَ لِلِإِضَافَةِ أَدْخَلَ الْإِلْصَاقَ وَالِاسْتِعَانَةَ فِي الْإِضَافَةِ، وَكَذَلِكَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهَا لِلِإِلْصَاقِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا وُضِعَتْ لِلتَّعْدِيَةِ كَالْهَمْزَةِ وَالتَّضْعِيفِ»^(٢).

ح- قَوَى فَعْلِيَّة (ليس)^(٣)، وهو مذهب الجمهور^(٤).

ط- قرر أن اللام في: لا أبا لك، ولا غلامي لك، مرادة لأجل التنكير، لا مُرادة لأجل حذف النون، ثم قال: «وعندي أن هذه اللام في: لا أبا لك، ولا غلامي لزيد، لم تَدْخُلْ لِتَصِيرَ الْكَلِمَةُ نَكْرَةً حَسَبُ، بَلْ تَنْبِيهَا عَلَى أَنَّ الْإِضَافَةَ بِتَقْدِيرِ اللَّامِ، وَالْجُرْ لِّلَامِ فِي غِلَامِي زَيْدٍ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ:

يَا بُؤْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتَ أَرَاهِي طَافَسْتَرَا حُوا

فأتى باللام ولا حاجة إلى تنكير (بؤس)؛ لَأَنَّهُ مُنَادَى، وَالْمُنَادَى يَكُونُ مَعْرِفَةً وَنَكْرَةً»^(٥).

ي- قرّر أن الوصف بالجملة الفعلية أقوى من الوصف بالجملة الاسمية؛ «لأنَّ الصِّفَةَ بِأَبْهَا الْإِفْرَادُ، وَالْجُمْلَةُ الْفَعْلِيَّةُ أَشْبَهُ بِالْمُفْرَدِ مِنَ الْجُمْلَةِ الْاسْمِيَّةِ؛ لِأَنَّ اتِّصَالَ الْفِعْلِ بِالْفَاعِلِ أَقْوَى مِنْ اتِّصَالِ الْمُبْتَدَأِ بِالْخَبَرِ»^(٦). وقد نقله ابن الأثير في البديع، ونقله جماعة عن ابن الأثير^(٧).

(١) ص: ٣٨٠.

(٢) ص: ٥٩٠.

(٣) انظر: ٢٦٧.

(٤) انظر الخلاف فيها في الموضع المحال إليه.

(٥) ص: ٢٨٩.

(٦) ص: ٦٨٩.

(٧) انظر: البديع ٣٢٠/٢/١، وانظر الحاشية رقم (٤).

والبدیع - كما سيذكر لاحقاً إن شاء الله - اختصار للغرة.

ك- نقل الرضي عن ابن الدهان أنه يرى أنه إذا حصلت الفائدة جاز أن تخبر عن أي نكرة، وأثنى على قوله، قال: «قال ابن الدهان -وما أحسن ما قال- إذا حصلت الفائدة فأخبر عن أي نكرة شئت، وذلك لأن الغرض من الكلام إفادة المخاطب، فإذا حصلت جاز الحكم، سواء تخصص المحكوم عليه بشيء أو لا»^(١).

ولم أقف على نص كلامه في الغرة، وإنما ذكر المسوغات، كالتخصيص، والدلالة على العموم، وجعل مدار ذلك على الفائدة^(٢).

ثانياً: آراؤه واختياراته في توجيه الشواهد.

لكثرة الشواهد التي تعرض لها فقد كثر بحثه وتوجيهه لها، فمن ذلك:

أ- تجاذب المعنى والإعراب في قوله تعالى: ﴿I H G F E D C B﴾^(٣)، ف(إذ) لا يصح أن يتعلق بـ(مقت الله)، وإن كان المعنى مستقيماً، وذلك لأنه فصل بين المصدر (مقت الله)، ومعموله، وهو (إذ) بالخبر، وهو (أكبر)، ولا يجوز أن يتعلق بـ(مقتكم)؛ «لأن المعنى يفسده، لأن مقتهم أنفسهم كان في الآخرة، ودعاهم إلى الإيمان كان في الدنيا، فالفارسي يقدّر محذوفاً، تقديره: يمقتكم الله إذ تدعون، وعندي أنا أن العامل فيه (أكبر)»^(٤).

ب- (عسى) إذا وقعت في القرآن الكريم، وفاعلها الله عز وجل، فهي واجبة، إلا أن قوماً استثنوا من ذلك موضعين:

الأول: قوله تعالى: ﴿zy x { | } ~ خَيْرًا مِّنْكَ﴾^(٥)، ولم يطلّقهن النبي صلى الله عليه وسلم.

الثاني: قوله تعالى: ﴿! " # \$﴾^(٦)، وهذه الآية نزلت في بني النضير، وقد سباهم

(١) شرح الكافية ٢٥٨/١/١-٢٥٩.

(٢) انظر: الغرة ٢٨ ب (كوبريللي).

(٣) غافر: ١٠.

(٤) ص: ٣٩٦.

(٥) التحريم: ٥.

(٦) الإسراء: ٨.

النبي صلى الله عليه و قتلهم وأبادهم.

قال ابن الدهان: «وهذا عندي مُتَأَوَّلٌ؛ لأنَّ الأول تقديره: إن طلقكَنَّ يبدله، وما فعل، فهذا شرطٌ يقع به الجزاءُ، ولم يفعله^(١). والثاني: تقديره: إن عدتم وأسلمتم رحمكم، وهم أصرُّوا ولم يسلموا، فـ(عسى) على بابها^(٢)».

ج- قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣)، ذكر ابن الدهان أن الفاء لا تكون جوابين، ولا يحجب الشيء الواحد بجوابين، فقرر أن «أحد الفاءين جوابٌ لأحد النفيين، والفاء الأخرى جوابٌ للآخر»، ثم حدَّد الجوابين، فقال: «والصواب عندي أن تكون الفاء الأولى جواباً للنفي القريب منها، والثانية جواباً للنفي المتقدم في الأول، وهو قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾»، ويجوز أن يكون أحد الفاءين عطفاً على الآخرين^(٤).

د- الفعل (يريد) في قوله تعالى: ﴿WVU T﴾^(٥) تعدَّى بحرف الجر، والأصل أن يتعدَّى بنفسه، وكذلك في قول كثير:

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّهَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ^(٦)

فنقل عن الخليل أنه محمول على المعنى، وأن التقدير: إرادتي لهذا، وإذا كان العامل مصدراً أو اسم فاعلٍ جاز أن يتعدى باللام، ثم رأى أن الصواب في ذلك تقدير مفعول محذوف، وتكون اللام تعليلًا، لا تعدية، مستشهداً لكونها علة بقول أبي ذؤيب:

تُرِيدِينَ كَيْمَا تَضْمِدِينِ وَخَالِدًا

وَهَلْ يُجْمَعُ السَّيْفَانِ وَيَحْكُ فِي غَمْدٍ^(٧)

قال: «والصواب عندي في الآية التي تأولها الخليل أن يكون مفعول (يُريدون) محذوفاً،

(١) سبقه إلى ذلك النحاس والبغوي وغيرهما. انظر: إعراب القرآن ٤/٦٢، وتفسير البغوي ٤/٤٣٠.

(٢) الغرة ١٠٨ ب (قليج علي).

(٣) الأنعام: ٥٢.

(٤) الغرة ٧٠ ب - ٧١ أ (قليج علي).

(٥) الصف: ٨.

(٦) انظر: ديوان كثير ١٧٦.

(٧) انظر: ديوان الهذليين ١/١٩٥.

تقديره: يريدون العنتَ ليطفئوا، فاللامُ علةٌ لهم، وفي البيت: أريدُ الصبرَ عنها لأنسى ذكرها، فاللامُ في موضع نصبٍ على العلة، والدليلُ على ذلك قولُ الهذلي...»^(١).

هـ - إذا عُلِمَ خبرٌ (إنَّ) جازَ حذفُهُ، والبصريون يُسوِّونَ في ذلك بين خبر النكرة وخبر المعرفة، والكوفيون لا يجيزون الحذف إلا إذا كان الاسم نكرة، وقد استدل المبرد على حذف خبر المعرفة بقول الأخطل:

سوى أن قوماً من قريش تفضّلوا على الناس أو أن الأكارم نهشلاً^(٢)

وردّ عليه الفارسيُّ بأنَّ البحث في (إنَّ) المكسورة، وفي البيت (أنَّ) مفتوحة، قال ابن الدهان: «وعندي أنا أنَّه لا حجة فيه من غير هذا الوجه، وهو ظهور خبر الأول، فقامت الدلالة على الخبر الثاني فحذف، وأيضاً لكونها محمولة على تقيضتها، وهي (لا) في حذف الخبر»^(٣)، ومعلوم أن اسم (لا) النافية للجنس يشترط أن يكون نكرةً.

و - لا يجوز في غير أفعال الشك واليقين أن تتعدى إلى ضمير الفاعل، فلا يجوز أن تقول: قتلتي وضربتي، وقد ذكر ابن الدهان عدة أقوال في علة ذلك، أحدها نقله عن السيرافي.

ثم أورد بيت جران العود:

لقد كان لي عن ضربتين عدمتي وعمّا ألقى منهما مترحزح^(٤)
فحكم عليه بأنه شاذٌ وليس بحقيقة^(٥).

فأمّا كونه ليس بحقيقة فقد ذكره السيرافي، في المسألة التي نقل عنه ابن الدهان فيها، قال: «... وقد جاء في فعلين سوى هذه الأفعال تعدّي فعل الفاعل إلى ضميره، وهو فقدتني وعدمتي، وإنما جاز ذلك لأنه محمولٌ على غير ظاهر الكلام وحقيقته؛ لأن الفاعل لا بُدَّ من أن يكون موجوداً، وإذا عدم نفسه كان عادماً معدوماً، وذلك محال، وإنما جاز ذلك لأن الفعل له في الظاهر، والمعنى لغيره؛ لأنه يدعو على نفسه بأن يعدم، فكأنه قال: عدمني غيري،

(١) ص: ٣٢١.

(٢) شعر الأخطل ٥٥٩.

(٣) ص: ٢١٤-٢١٥.

(٤) ديوان جران العود ٤.

(٥) ص: ٣٣٤.

قال جران العود... البيت^(١).

وأما الشذوذ فليس في كلام السيرافي ما يدل عليه، فيظهر أنه رأي لابن الدهان، ولكن جمعه بين الحكمين؛ الشذوذ والحمل على عدم الحقيقة، مشعرٌ بالاضطراب. والله أعلم.

ز - قال الراجز:

قال جَوَارِي الْبَيْتِ لَمَّا جِينَا هَذَا وَرَبَّ الْبَيْتِ إِسْمَاعِينَا^(٢)

قال ابن الدهان في نصب (إسماعين) ثلاثة أقوال:

أحدها: أن (قال) بمعنى الظن، وقد عملت في (هذا) و(إسماعين)، قال: وهو القويُّ عندي^(٣).

الثاني: أن أصل (إسماعين) (إسماعينا) فحذف النون.

الثالث: أنه جُعِلَ مُرَكَّبًا مَبْنِيًّا.

فهذه الأمثلة، من مناقشاته واختياراته وآرائه، تصور مدى عنايته بالشواهد، وخاصة شواهد القرآن الكريم، وتتبعه لأوجه الاستشهاد ومراعاة دقتها ووجاهتها، ومدى عنايته بالتعليل، والحرص على سلامة الدليل.

كما يمثل مجموع هذه الأمثلة دقته في الحكم، فإن توفرت أدلة الترجيح رجح، وإن لم تتوفر تركه، إثارةً للسلامة من الحيف والتكلف.

ومن أبرز مظاهر شخصيته تساوي المذاهب عنده في أحقية العرض والمناقشة، فلا يغفل قولاً لأنه للكوفيين فحسب، ما لم يكن ثم سبب آخر، وإنما يعتذر بإرادة الاختصار، أو بضعف القول أو نحو ذلك.

(١) شرح السيرافي ١٤٨/٣ أ.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء ٣٩١/٢.

(٣) انظر: ٣٥٤.

الفصل السادس

الأصول النحوية عند ابن الدهان

المبحث الأول: الأصول السماعية.

المبحث الثاني: القياس.

المبحث الأول: الأصول السماعية.

لم يترك ابن الدهان شيئاً من الأصول السماعية إلا استدل به، فاستدل بالقرآن الكريم وقراءاته، واستدل بالحديث النبوي، وبالأثار المروية عن الصحابة، وبأقوال العرب وأمثالهم، وبالشعر.

وقد صرّح في بعض المواضع بشيء من منهجه في التعامل مع هذه الأدلة السمعية، وفي ترتيبها في القياس عليها، ففي موضع من المواضع عوّل في قبول الحكم على السماع موازناً بين كتاب الله تعالى والشعر. وتحدث عن الضرورة والشذوذ، ونسب بعض الأحكام إليها مما يمنع القياس.

وسأقف عند كل واحد من مصادر السماع:

١ - القرآن الكريم وقراءاته.

استشهد بالقرآن الكريم كثيراً، وقدمه في الاحتجاج، وقد نظر لذلك في مواضع، منها قوله: «... وهو كثير في القرآن والكلام والشعر»^(١)، وقوله: «... وهذا يُستعمل في الكلام وغيره، لمحيته في كتاب الله، ولا يُقاسُ حذف حروف الجرّ جميعها عليه، وإنما يُستعمل في الكلام ما ورد في كتاب الله تعالى، لا ما ورد في الشعر»^(٢). وتراه في هذا النص يثبت القياس على القليل الوارد في القرآن، دون ما ورد قليلاً في الشعر.

وقال: «ولم يُوجد في كتاب الله تعالى إلا ما يُمكن تأويله على غيره»^(٣) فهو هنا يعوّل على الأخذ بما ورد في القرآن شريطة أن يسلم من التأويل.

وقد جعل الورود في كتاب الله تعالى معياراً للحسن والقبح، قال في معرض حديثه عن قوله تعالى: ﴿حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ أَسْطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(٤): «... لأنّه ليس في كتاب الله تعالى مصدرٌ مضافٌ إلى المفعول ومعه الفاعل، لكنّه حسنٌ، وقد جاء في الشعر...»^(٥).

(١) ص: ٤٨٤.

(٢) ص: ٣٢٧.

(٣) ص: ٤٢٢.

(٤) آل عمران: ٩٧.

(٥) ص: ٧٥٢.

أمَّا القراءات القرآنية فقد استشهد بها أيضاً في مواضع كثيرة^(١)، وقد يعزو القراءة إلى صاحبها^(٢).

وقد يفاضل بين القراءات استناداً إلى المعنى، ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾^(٣) قرئ بالتاء والياء في (يحسبن)^(٤)، قال: «فَمَنْ قرأ بالياء فالفعل الأول محذوف، التقدير فيه: البخل هو خيراً له، فـ(هو) فصل، فَمَنْ قرأ بالتاء فـ(الذين) المفعول الأول و(خيراً) المفعول الثاني، و(هو) فصل، والتقدير: بخل الذين يبخلون، والقراءة بالياء أقيس؛ لتقدم الدلالة»^(٥).

ولم أجده يفرق بين القراءة السبعة وغيرها^(٦)، بل إنه حكم على قراءة سبعة^(٧) بالشذوذ، قال: «فَأَمَّا قِرَاءَةُ مَنْ قرأ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾^(٨) بالجر، فإنها قِرَاءَةٌ شاذَّةٌ»، ثم نقل ما روي عن المبرد في شأنها^(٩). ونقل عن الزجاج تخطئة القراءة^(١٠)، إلا أنه ذكر أوجه تخريجها^(١١).

وموقفه هذا يظهر أنه يتابع من يرد القراءة الصحيحة من النحويين، ويحكم المقاييس النحوية فيها، وذلك لأنه حكم عليها أولاً بالشذوذ، قبل التعرض لتوجيهها، ثم إنه نقل نصين صريحين في ردها لمن عُرِف عنهم ردُّ القراءة، كما أن عبارته في التوجيه لا تشعر بالقوة التي هي وليدة اعتقاد الصحة، وإنما هي التماس لوجه يدفع الرد، قال: «فَأَمَّا قِرَاءَةُ ... فإنها قِرَاءَةٌ شاذَّةٌ ... وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ قَسَمًا؛ لَأَنَّ الْعَرَبَ تُقَسِّمُ بِالرَّحِمِ، وَيَصِحُّ

(١) انظر على سبيل المثال: ٢٥٤، ٢٩٢، ٣٣٢، ٣٤٤، ٣٦١، ٣٧٧.

(٢) انظر: ٢٢٧، ٧٣٠، ٤١ ب (قليج علي).

(٣) آل عمران: ١٨٠.

(٤) التاء قراءة حمزة وحده. انظر: السبعة ٢١٩-٢٢٠، والتذكرة ٣٦٥/٢-٣٦٦.

(٥) ص: ٣٦١.

(٦) انظر: ٢٢٧، ٤٦٠، ٦٨٥. ثم وازنه بالمواضع السابقة.

(٧) وهي قراءة حمزة وحده من السبعة. انظر: السبعة ٢٢٦، والتذكرة ٣٧١/٢.

(٨) النساء: ١.

(٩) انظر: ٨٣٣.

(١٠) انظر: ٨٣٤.

(١١) انظر: ٨٣٣-٨٣٤.

أَنْ تَكُونَ الْبَاءُ مُرَادَةً فَحَذَفَهَا...»^(١).

٢- الحديث النبوي، وآثار الصحابة^(٢).

لقد ثار جدلٌ كبيرٌ حول الاحتجاج بالحديث النبوي منذ عصر متقدم، وقد ألفت فيه في هذا العصر مؤلفات مستقلة، أفردت هذه القضية بالبحث^(٣)، ويتلخص موقف النحويين من الاحتجاج بالحديث النبوي في أنهم انقسموا إلى ثلاثة مذاهب: مذهب المجيزين، ومذهب المانعين، ومذهب المتوسطين، وهم الذين أجازوا بشروطٍ تخرج اعتراض المانعين، من احتمال روايته بالمعنى، أو كون روايته من الأعاجم.

وقد احتج ابن الدهان بالحديث النبوي^(٤)، ولم يقتصر احتجاجه على أحاديث ذات صفة معينة، تبعد احتمال خطأ الرواية، كما اشترط المتوسطون، فعلى حين أنه استشهد بقوله صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ مِنْ أَمِيرٍ أَمْصِيَامُ فِي أَمْسَفَرٍ»^(٥) الذي يجيز المتوسطون الاحتجاج به لأنه روي مقصوداً لفظه، وهو إثبات أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكلم كل قوم بلغتهم، فقد استشهد بقوله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَتِمُّ صَلَاةُ أَحَدِكُمْ حَتَّى يُسْبِغَ الْوُضُوءَ...»^(٦)، وقوله: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ»^(٧)، وهذان غير داخلين في شرط المتوسطين، وهذا مما يدل على أنه استشهد بالحديث مطلقاً، دون قيد.

وأكد أهمية الاعتداد بالحديث شاهداً، لما استشهد بقوله صلى الله عليه وسلم لزيد الخير رضي الله عنه: «مَا وُصِفَ لِي شَيْءٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَرَأَيْتُهُ فِي الْإِسْلَامِ، إِلَّا وَرَأَيْتُهُ دُونَ الْوَصْفِ، لَيْسَ كَ»^(٨)، ذِيلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «وَلَا آدَمِي أَفْصَحُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) ص: ٨٣٣.

(٢) جعلت آثار الصحابة مع الحديث النبوي لاشتراكهما في طريق النقل، فما وجه للحديث النبوي في قضية الاستشهاد به يمكن أن يوجه لتلك الآثار المروية عن الصحابة رضي الله عنهم.

(٣) مثل: موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف. د. خديجة الحديشي، والحديث النبوي في النحو العربي. د. محمود فجال.

(٤) انظر على سبيل المثال: ٣٣١، ٣٥٢، ٥٦١، ٥٩٢، ٦٤٨، ٧٨١.

(٥) انظر: ٨٠٨.

(٦) انظر: ٥٩٢.

(٧) انظر: ٥٩٢.

(٨) الشعر والشعراء ٢٧٨/١.

وسلم^(١)، تقويةً لاستدلاله، واستباقاً لاعتراض المعارض، وكأنه بهذا يبين مكانة الاستشهاد بالحديث النبوي، في قضايا اللغة.

وكان استشهاده بهذا الحديث ردّاً على من زعم أن الضمير المنصوب إذا اتصل بليس ولا يكون فلا بد أن يكون منفصلاً، فردّه بالحديث، قال: «وَأَعْلَمُ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ الْمَضْمَرَ الْمَنْصُوبَ إِذَا اتَّصَلَ بِلَيْسَ وَلَا يَكُونُ فِي الِاسْتِثْنَاءِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مُنْفَصِلًا؛ لِأَنَّ الْإِضْمَارَ لَمْ يَسْتَحْكَمْ فِيهَا... وَهَذَا الْقَوْلُ يُفْسِدُهُ عِنْدِي مَا رَوَاهُ الْقُتَيْبِيُّ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَالَ لَزَيْدٍ الْخَيْلُ...» وذكر الحديث.

وقد استشهد بخبر على أنه حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو خبر الرجل الذي قدّم الشر على الخير في آخر سورة الزلزلة^(٢)، وهذا الخبر لم أقف عليه مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما ذكر عن عمر بن عبد العزيز وذكر عن الحجاج، فابن الدهان وهم في عدّه حديثاً.

وقد استشهد بأقوال الصحابة رضي الله عنهم، فاستشهد بقول لابن الزبير^(٣) ولأبي هريرة^(٤)، ولطلحة بن عبيد الله^(٥). وغيرهم.

٣- أقوال العرب:

استشهد ابن الدهان بمأثور كلام العرب، الذي نقله أهل اللغة والنحو قبله، مصرّحاً بالرواي حيناً ومبهماً حيناً، يقول: «وروى سيبويه عن العرب: لا كزيد أحد^(٦)»، «وروى الكسائي: إِنَّ لَثَمَ شَرُّ طَوِيلٍ^(٧)»، «وروى الأخفش: هم هيئتهم^(٨)». «وروى أبو زيد: إِنَّ فُلَانًا لَا يُطِيقُ أَنْ يَحْمِلَ الْفِهْرَ، فَمِنْ بَلَهْ أَنْ يَأْتِيَ بِالصَّخْرَةِ، أَيْ فَكَيْفَ، وَبَعْضُهُمْ يَرَوِي: مِنْ

وانظر الحديث في: الاستيعاب ٥٥٩/٢، والفاثق ٣٣٨/٣، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٢٨٥/٤.

(١) ص: ٥٤٤.

(٢) انظر: ٧٨١.

(٣) انظر: ١٩٤.

(٤) انظر: ٨٠٨.

(٥) انظر: ٣٤٥.

(٦) ص: ٢٨٩.

(٧) ص: ١٩٣.

(٨) ص: ٣٢٦.

بَهْلٍ أَنْ»^(١)، «وَرَوَى أَبُو عُبَيْدٍ فِي كِتَابِ الْغَرِيبِ عَنِ الْأَحْمَرِ وَالْفَرَّاءِ عَنِ الْعَرَبِ: كُلُّ شَيْءٍ مَهْمَةٌ وَمَهْمَةٌ مَا التَّسَاءَ وَذَكَرَهُنَّ»^(٢). إلى غير ذلك من الأمثلة.

٤ - الشعر:

كان استشهاد ابن الدهان بالشعر غالباً لكل أدلة السماع الأخرى، فقد بلغت الأبيات التي استشهد بها في هذا الجزء المحقق أكثر من ثمانمائة بيت ورجز.

وقد لفت نظري في استشهاديه بالشعر أمور:

أ - عنايته بالرواية عند الاستشكال، فتراه يبين التصحيف، أو ينص على رواية أخرى، كقوله: «وَوَجَدْتُ عَلَى ذَلِكَ بَيْتاً رَأَيْتُهُ مَرْوِياً فِي كُتُبِ بَعْضِ الْمُتَأَخِّرِينَ شَاهِداً، وَهُوَ: أَتَيْنَاكَ زُوراً وَنَمْعاً وَطَاعَةً فَلَيْتَكَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ دَاعِياً وَهُوَ مُصَحَّفٌ، وَإِنَّمَا هُوَ: فَلَيْتَكَ...»^(٣). وقوله: «وَالْبَيْتُ الَّذِي أَنْشَدَهُ مُعَيَّرٌ عَمَّا فِي دِيوانِ شَاعِرِهِ»^(٤)، وقال في قول المهلهل:

فَقَتَلًا بِتَقْتِيلٍ وَأَسْرًا بِأَسْرِكُمْ جزاء العطاس لا يموت من أثار^(٥)

«ويُروى: وضرباً بضربكم، ورأيتُهُ مرفوعاً في بعض النسخ»^(٦).

ب - اطلاع الواسع على أشعار العرب، وتتبعه لما يصلح للاستشهاد فيه، ومحاولة مقارنة القاعدة بالنص الشعري، فمن ذلك قوله: «وَرَأَيْتُ الْبَاءَ فِي شِعْرِ التَّمِيمِيِّينَ»^(٧)، وقوله: «وَقَدْ وَجَدْتُ أَنَا فِي الشَّعْرِ مِنْهُ أَيْبَاتاً»^(٨). وقد وقفت على أبيات لم أجد لها مصدراً إلا ديوان الشاعر، أو الموسوعات الأدبية، والمجموعات الشعرية، فقد خلت منها كتب النحو المتقدمة على ابن الدهان حسب ما اطلعت عليه، فمن ذلك بيت الأعشى:

(١) ص: ٥٥٠.

(٢) ص: ٥٥١.

(٣) ص: ٢٠٢.

(٤) ص: ٥٤٨.

(٥) انظر ديوان المهلهل: ٩.

(٦) ص: ٣١٣.

(٧) الغرة ٥٥ ب (كوبريللي).

(٨) ص: ٤٦٧.

على ظهر أنماطٍ له ووسائد^(١)

ويُصبحُ كالسَّيفِ الصَّقِيلِ إذا غدا

وبيت حاتم:

رَفِيقَكَ يَمْشِي خَلْفَهَا غَيْرَ رَاكِبٍ^(٢)

إِذَا كُنْتَ رَبًّا لِلْقُلُوصِ فَلَا تَدَعْ

وبيت الأسود بن يعفر:

مِنَ الرِّيحِ لَا تَمْرِي سَحَابًا وَلَا قَطْرًا^(٣)

هَوَى بِهِمْ مِنْ حُبِّهِمْ وَسَفَاهِهِمْ

وبيت جرير:

طَلَابَ سُلَيْمَى فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضِيَا^(٤)

أَذَا الْعَرْشِ إِنِّي لَسْتُ مَا عِشْتُ تَارِكًا

وبيت الأفوه الأودي:

وَالشَّرُّ يَكْفِيكَ مِنْهُ قَلَمًا زَادُ^(٥)

الْخَيْرُ تَزْدَادُ مِنْهُ مَا لَقِيتَ بِهِ

ج- عنايته بأبيات اللمع، بذكر القائل، وأبيات من قصيدة الشاهد، وربما أورد خلافاً في القائل أو القصيدة. وقد سبق ذكر هذا في الفصل الأول.

د- استشهاده بأبيات بعد عصر الاحتجاج، فاستشهد ببیت لأبي تمام الطائي، من غير أن ينسبه، وهو بعد عصر الاحتجاج، وهو قوله:

كَأَنَّ عَلَى عَرْنَيْنِهِ وَجَبَيْنِهِ أَقَامَ شُعَاعُ الشَّمْسِ أَوْ طَلَعَ الْبَدْرُ^(٦)

ولم أجد من نسبه إلى أبي تمام، فقد أورده ابن عصفور والرضي والسيوطي والبغدادی من غير نسبة^(٧)، ولكنَّ محقق شرح الكافية أحال إلى ديوان أبي تمام، ولم أقف على الطبعة التي أحال إليها. ويحتمل أن تكون النسبة إليه غير صحيحة، أو أن أبا تمام قد اقتبس من سابق.

(١) انظر: ٣٢٨.

(٢) انظر: ٤٥٢.

(٣) انظر: ٥٦٣.

(٤) انظر: ٤٥٠.

(٥) انظر: ٤٥٠.

(٦) انظر: ٢١١.

(٧) انظر: الضرائر لابن عصفور ١٧٨، وشرح الكافية للرضي ١٢٩٧/٢/٢، وجمع الموامع ٣٦/١، وخزانة الأدب ٤٤٩/١.

كما استشهد بييت نُسب إلى ابن المعتز، وهو بعد عصر الاحتجاج أيضاً، وهو قوله:
 لعمرى لقد أحببتك الحبَّ كلهُ وزدُّتك حبًّا لم يكن قطُّ يعرفُ^(١)

وكذلك استشهد بيت أبي نواس:

قُلْ لِمَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ^(٢)

هـ- عنايته بالضرورة، فقد تحدّث عنها حديثاً طويلاً لما أداه المقام إليها^(٣)، كما أنه حمل عليها بعض الأبيات التي لا توافق الراجح عنده^(٤).

وحينما تعرض للضرورة لم يجدّها بحدٍّ معيّنٍ، وإنما وصفها بقوله: «ليسَ للشاعر أن يلحنَ، ولكنّه يسلك شيئاً فيه مذهبٌ»، قال سيّويه: «وليسَ شيءٌ يضطرونّ إليه إلا وهم يُحاولونَ به وجهاً»^(٥)، فإن جهلنا ذلك فإنما جهلنا ما علمه غيرُنا، أو يكونُ وصل إلى الأوّل شيءٌ لم يصل إلى الآخر»^(٦).

ومذهبه في مفهوم الضرورة مذهب الجمهور، الذين يرون أنهما ما وقع في الشعر، سواء وجد الشاعر عنه مندوحة أم لا^(٧)، يمكن أن نستدل على هذا من خلال حكمه على الأبيات، فمثلاً سوى بين بيتين أحدهما للشاعر مندوحة عن الضرورة والآخر لا مندوحة له عنها فيه، وذلك لما مثل للاتساع في الفصل بالظرف والجار والمجرور، فقال: «... وقد تجاوزوا ذلك ففصلوا بالمفعول بين المصدر وفاعله، وليس بمُطَرِّدٍ، وإنما هو محمولٌ على هذا^(٨)، قال الشاعر:

فَزَجَّجْتُهَا بِمَرْجَّةٍ زَجَّ الْقُلُوصَ أَبِي مَزَادَ

وقال:

(۱) انظر: ۳۰۹-۳۱۰.

(۲) انظر: ۷۹۰.

(٣) الغرة ٥٠ أ (كوبريللي).

(٤) انظر على سبيل المثال: ٢٠٨-٢٠٩، ٢٢٩، ٤٠٨، ٥٣١، ٨١٦.

(٥) الكتاب ١٣/١.

(٦) الغرة ٥٠ أ (كويريللي). وقد نقل ابن القواس عبارة ابن الدهان نصًّا في شرح ألفية ابن معطى ١٣٨٠/٢.

(٧) انظر: الضرورة الشرعية في النحو العربي ١٣، ومجلة الجامعة الإسلامية: الضرورة الشرعية ومفهومها لدى

النحويين. عدد ١١١. ص: ٤٠٤.

(٨) أي على الاتساع.

.... من قَرَعَ القسيَّ الكنائن^(١)

وكان ابن جني قد فرّق بين الشاهدين، فأحدهما يمكن اجتناب الضرورة فيه، والآخر بخلافه، وحكم عليهما جميعاً بالضرورة، قال: «... ومن ذلك قوله: فزججتها...»

أي: زج أبي مزادة القلوص، فقد فصل بينهما بالمفعول، هذا مع قدرته على أن يقول: زجَّ القلوص أبو مزادة... وفي هذا البيت عندي دليلٌ على قوة إضافة المصدر إلى الفاعل عندهم، وأنه في نفوسهم أقوى من إضافته إلى المفعول، ألا تراه ارتكبه ههنا للضرورة، مع تمكنه من ترك ارتكابها... فأما قوله: يُطْفَنَ ...

فلم نجد فيه بُدّاً من الفصل؛ لأنّ القوافي مجرورة^(٢).

وغيرُ خافٍ مدى اعتماد ابن الدهان على ابن جني، وعنايته بكتبه، وآرائه.

المبحث الثاني: القياس.

لقد تبوّأ القياسُ قدراً كبيراً جداً من الأهمية في النحو العربي، إذ إنّ البحث النحوي يدور حوله، ومعظم المشكلات العويصة في النحو، التي دار حولها الخلاف كثيراً، إنما هي أحد أركان القياس، كالعلة، والأصالة والفرعية، أو هي مرتبطة بمباحثه ارتباطاً وثيقاً، كالمسائل المتعلقة بمراتب المسموع في الحُجَّة.

وكان من المآخذ التي أُخذت على البحث النحوي أنّ أقيسته كانت مشابهةً للأقيسة المنطقية، التي تقوم على أنّ النتيجة تلزم اضطراراً عند وجود مقدّماتها، بغض النظر عن صدق هذه المقدمات وكذبها، يقول د. عبد الرحمن بدوي: «... إلّا أنّ المنطق لا يُعنى عنايةً خاصة بالمضمون الواقعي لهذه التصورات، بقدر عنايته بالعمليات العقلية التي تؤدي إلى تحصيل التصورات والتصديقات تحصيلاً صحيحاً»^(٣)، وهكذا كان القياس عند النحويين، فإنّه

(١) تمامه:

يُطْفَنَ بِخُوزِيٍّ المراتع لم تُرَعَ بواديه من قَرَعَ القسيَّ الكنائن

انظر: ٢١٧.

(٢) الخصائص ٤٠٦/٢.

(٣) المنطق الصوري والرياضي ٦. وانظر: تقويم الفكر النحوي ١٢٦.

«عملية فكرية تقوم على الاستدلال الذاتي للعقل، بعيداً عن موضوعية الواقع اللغوي ومحاولة رصده»^(١).

ومصطلح القياس في التراث النحوي لم يكن محدداً بدقة، فعلماء أصول النحو يعرفونه بأنه: «حمل فرعٍ على أصلٍ بعلةٍ، وإجراء حكم الأصل على الفرع»^(٢). لكن استعمال هذا المصطلح لم يكن مقصوراً على هذا، فإنه يطلق ويُراد به «مدى اطراد الظاهرة في النصوص اللغوية... واعتبار ما يطرد من هذه الظواهر قواعد ينبغي الالتزام بها...»^(٣)، وعن هذا المفهوم جاءت عبارة عبد الله بن أبي إسحاق التي رواها عنه يونس بن حبيب لما سأل يونس: «هل يقول أحد الصَّويق يعني السويق؟ قال: نعم، عمرو بن تميم تقولها. وما تُريدُ إلى هذا؟ عَلَيْكَ بِيَابٍ مِنَ النَّحْوِ يَطْرُدُ وَيَنْقَاسُ»^(٤).

وبهذا المفهوم ذكر الكسائي القياس وأعلى شأنه لما قال:

إِنَّمَا النَّحْوُ قِيَاسٌ يُتَّبَعُ وَبِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُنْتَفَعُ^(٥)

أمّا المفهوم الاصطلاحي للقياس، الذي يُراد به العملية العلمية المنطقية، التي تعتمد على الأركان الأربعة المعروفة، فهو كما يقول السيوطي: «معظم أدلة النحو، والمعول في غالب مسائله عليه»^(٦)؛ إلا أنه ظلّ جزءاً من مفهوم القياس عند النحويين، وسأعرض لاحقاً بعض مفاهيم القياس عند ابن الدهان.

وتعددت صور استعمال القياس حتى داخل الاستعمال الاصطلاحي، فمن خلال القياس علل النحويون الظواهر النحوية في كلام العرب، فإذا ألحقت العرب حكمَ شيءٍ بحكمِ نظيرٍ له، فإنَّ مهمّة النحوي هنا تحديد تلك العلاقة، بتوضيح الأصل (وهو المقيس عليه)، والفرع (وهو المقيس)، والعلة الجامعة بينهما.

فمن ذلك ما قرّره ابن الدهان من تعليل عمل (لا) النافية للجنس، بأنّه كان قياساً على

(١) الثقافة المنطقية في الفكر النحوي ١٦٢.

(٢) لمع الأدلة ٩٣.

(٣) أصول التفكير النحوي ٢٧.

(٤) طبقات فحول الشعراء ١٥/١.

(٥) انظر: إنباه الرواة ٢٦٧/٢.

(٦) الاقتراح ١٠٠.

(إن)، وبنائها قياساً على (هل من رجل)^(١).

وأيضاً علّلوا وجوب تصدر لام الابتداء للجملة «بأن الحرف إذا كان معناه في الجملة تصدرها كَهْلٌ و(ما) النافية»^(٢)، فالقياس هنا تعليل لوجوب التصدر، وليس إثباتاً لحكم جديد من خلال الاستدلال به.

والقياس نوعان من حيث نوع المقيس عليه (الأصل)، فالأصل قد يكون سماعياً، أخذ عن العرب، وقد يكون قاعدة نحوية، ثبتت هي من دليل غير مسموع، كالإجماع والاستنباط والقياس^(٣).

فمثال ذلك ما قرّره ابن الدهان تبعاً لرأي البصريين، أن الحرف المختص يعمل، وغير المختص يهمل، فهذه قاعدة مستنبطة، وقد عبّر عنها بالقياس، قال في (حتى): «... وهو أنه حرفٌ غيرٌ مختصٍّ، يدخلُ على الاسمِ والفعلِ، وإذا لم يختصَّ بالقياسُ ألاَّ يعملَ، كهمزة الاستفهام وحروفِ العطف...»^(٤).

ولقد اعتمد ابن الدهان على القياس، في متابعاته للنحويين، وفي تفسير كلامهم، وفي اختياراته وآرائه، كما نظر لبعض مسائله بعبارات مختصرة، كمنعه القياس على ما جاء في الشعر من حذف الجار، وأخذ ما جاء في القرآن منه، وكقوله: «والشيء يحمل على نظيره وعلى نقيضه»^(٥)، وقوله في مقدمة فصل (ما) الحجازية: «اعلم أن المشابهة تقتضي التأثير...»^(٦).

ويمكن أن أجمل وقفاته مع القياس في هذه المسائل:

أ- مصطلح القياس:

استعمل هذا المصطلح في معانٍ متعددة، فإضافةً إلى معناه الاصطلاحي، استعمله بمعنى القاعدة، قال في قول الشاعر:

(١) انظر: ٢٦١.

(٢) ص: ٢٢٤.

(٣) انظر: الأدلة النحوية الإجمالية ٣١٤ (رسالة علمية).

(٤) ص: ٦٢٣.

(٥) ص: ٢٦٢.

(٦) الغرة ٥٥ أ (كوبريللي).

تَرَاهُ الضَّبْعُ أَعْظَمُهُنَّ رَأْسًا

«القياسُ: عَظْمَاهُنَّ رَأْسًا؛ لِأَنَّ الضَّبْعَ مُؤَنَّثٌ»^(١).

ولما جره الحديث في مسألة الإتيان في باب التوكيد إلى الموازنة بين العين واللام، قال: «...» وَأَيْضًا فَإِنَّهُمْ تَرَكَوْا فِي الْعَيْنِ الْقِيَاسَ لِبُعْدِهَا عَنِ الطَّرْفِ، وَلَزِمُوا ذَلِكَ فِي اللَّامِ لِقُرْبِهَا، وَلِهَذَا إِذَا اجْتَمَعَا صَحَّتِ الْعَيْنُ وَأُعْلِتِ اللَّامُ، نَحْوُ: طَوَى وَشَوَى»^(٢). فالقياسُ قلب الواو أو الياء إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما ألفاً، فهو هنا بمعنى القاعدة.

وقال: «فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَكِيرًا فَأَلَّهِ أُولَىٰ بِهِمَا﴾»^(٣) وَقِيَاسُ الْعَرَبِيَّةِ: فَاللَّهُ أُولَىٰ بِهِ؛ لِأَنَّ هَاهُنَا (أَوْ) وَالْعَائِدُ إِلَى أَحَدِهِمَا لَا إِلَيْهِمَا»^(٤).

واستعمله بمعنى الأصل، فقال عن المعرفة: «وَكَانَ الْقِيَاسُ أَلَّا تُوصَفَ، إِلَّا أَنَّهُ عَرَضَ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ اللَّبْسِ لِلِاشْتِرَاكِ الْوَاقِعِ فِيهَا فَوُصِفَتْ بِهَذَا»^(٥).

وقال: «وَأَعْلَمَ أَنَّ الْقِيَاسَ أَلَّا يُحْدَفَ مِنَ الْحُرُوفِ شَيْءٌ وَلَا يُزَادَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِهَذِهِ الْحُرُوفِ اخْتِصَارًا، وَلِهَذَا لَمْ يُعْمَلُوا أَكْثَرَهَا، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَرِيَادُهَا إِسْهَابٌ، وَحَذْفُهَا إِخْلَالٌ وَإِجْحَافٌ...»^(٦).

فالقياس هنا بمعنى الأصل.

واستعمله بمعنى المذهب أو الرأي، فكثيراً ما يقول: قياس الكوفي كذا، ويجوز هذا على قياس فلان...

مثال ذلك: «...فَقِيَاسُ الْكُوفِيِّ لَا يَمْنَعُ مِنْ: هَا قَائِمًا ذَا زَيْدٍ؛ لِأَنَّ عَامِلَهُ قَبْلَهُ، وَهَا زَيْدٌ قَائِمًا ذَا، وَقِيَاسُ الْبَصْرِيِّ يَمْنَعُهُ إِنْ كَانَ الْعَامِلُ (ذَا)؛ لِأَنَّ عَامِلَهُ بَعْدَهُ إِذَا كَانَ الْعَامِلُ (ذَا)...»^(٧).

(١) ص: ٦٤٩.

(٢) ص: ٧٢٢.

(٣) النساء: ١٣٥.

(٤) ص: ٧٩٧.

(٥) ص: ٦٩٠.

(٦) ص: ٧٧٧.

(٧) ص: ٤٥٨.

وقال: «... في قولك: دخلت البيت، وتقديره: إلى البيت، على قياس سيبويه»^(١). وقال في مثال ابن جني: ظننت زيدا قام عمرو: «فإن كان زيدا عمراً، وكان له اسمان، صحت المسألة على قياس الأخفش، ولم تصح على قياس سيبويه»^(٢).

واستعمله بمعنى الأوجه في المعنى، ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾^(٣)، قال: «فمن قرأ بالياء فالمفعول الأول محذوف، التقدير فيه: البخل هو خيراً له، فـ(هو) فصل، فمن قرأ بالتاء فـ(الذين) المفعول الأول و(خيراً) المفعول الثاني، و(هو) فصل، والتقدير: بخل الذين يبخلون، والقراءة بالياء أقيس؛ لتقدم الدلالة»^(٤).

وفي باب إعراب الأفعال وبنائها، ذكر ابن جني أن الأفعال المبنية على ضربين: مبني على الفتح، «ومبني على السكون، وهو جميع أمثلة الأمر للمواجه، مما لا حرف مضارعة فيه»^(٥).

فاعترض على لفظه بقوله: «وإنما قال: مما لا حرف مضارعة فيه، ولم يقل: مما لا لام في أوله؛ لأن حرف المضارعة هو الذي سوغ له المشابهة، فاستحق بها الإعراب، لا اللام... وكان قياسه أيضاً أن يحترز، فيقول: إذا خلا من نوني التوكيد»^(٦).

فهو يريد: الأدق والأكمل في العبارة.

ب- الأصالة والفرعية:

الحكم بالأصالة والفرعية -بجد ذاته- مسألة جدلية غير قطعية، ففي حين يقرر النحويون أن هذا هو الأصل، وأن الثاني هو الفرع، فقد ينازعون بأن كلا الأسلوبين قد ورد عن العرب، فمثلاً ركب النحويون قياساً في الدلالة على رفع نائب الفاعل، فقالوا: «اسم أسند الفعل إليه، مقدماً عليه، فوجب أن يكون مرفوعاً قياساً على الفاعل، فالأصل هو الفاعل،

(١) ص: ٢٩٦.

(٢) ص: ٣٥٧.

(٣) آل عمران: ١٨٠.

(٤) ص: ٣٦١.

(٥) اللع ١٢٣.

(٦) الغرة ٥٧ ب (قليج علي).

والفرع هو ما لم يسم فاعله، والعلة الجامعة هي الإسناد، والحكم هو الرفع^(١).

فالأسلوبان كلاهما وارد عن العرب، فما تبرير الأصالة والفرعية^(٢)؟

ولكنَّ النحويين في كثير من الأحيان كانوا يقرنون الحكم بالأصالة بعلة أصالته، فقرروا مثلاً أن الأصل في الأسماء الإعراب؛ لأن المعاني تعتورها، وأنَّ الأصل في الأفعال البناء؛ لأنها عوامل في الأسماء^(٣)، وأنها أثقل منها، والفعل لا بد له من الاسم، والاسم قد يستغني عن الفعل...^(٤)

كما قرَّروا أصالة الأسماء في أبواب أخرى لأنها هي الأوَّل^(٥).

ولهذه الأولوية ما يبررها عندهم، وإن كانت معرَّضة للنقد، غير مسلَّم بها، إلا أنَّ إحدى الباحثات في العصر الحديث أرجعت هذه الأولوية إلى أسباب نفسية حقيقية^(٦).

وابن الدهان سار في منهج من تقدَّمه من النحويين، فأخذ بمبدأ الأصالة والفرعية فيما أجراه من الأقيسة، فالأصل في الأفعال أن تعمل، والأصل في الأسماء أن تكون معمولَّة^(٧)، ولذا كانت إن وأخواتها فرعاً عن الفعل في العمل^(٨).

(١) لمع الأدلة ٩٣.

(٢) قال د. علي أبو المكارم: «... ولكن اشتراط هذا الجامع [أي بين المقيس والمقيس عليه] لم يُحدَّد -بصورة قاطعة- علاقة موضوعية بين ركني القياس ... إذ الأصالة والفرعية في هذا الجامع لا ترتبط بمقاييس ثابتة، وعدم ربطها بمقاييس تحدَّد أنماطها، وتُسجَّل أبعادها مكنَّ الباحث أن يلحق ما يشاء بما يشاء، معتبراً ما يشاء من الظواهر أو النصوص أصلاً، وما يشاء من الظواهر والنصوص فروعاً لذلك الأصل، وقد أفسح ذلك المجال للاضطراب في تحديد الظواهر ثم في تقنينها، ثم انفتح الباب على سعة للخلط في الأحكام الصادرة عن عملية القياس بأسرها». أصول التفكير النحوي ٧٨-٧٩.

(٣) انظر: الإيضاح في علل النحو ٧٧-٧٨.

(٤) انظر: الكتاب ٢٠/١-٢١.

(٥) انظر: الكتاب ٢٠/١، والمقتضب ١٨/٣.

(٦) تقول د. منى إلياس: «وكثير من الأمور التي أخذ فيها الخليل بهذا المبدأ [تعني مبدأ الأصالة والأولوية] جاءت مطابقة لما ثبت في الدراسات النفسية للغة، التي قامت على أصول تجريبية، فتبين أن الأسماء أقوى تمكناً في النفس والعقل، ومن ثمَّ كانت أثبت في الحفظ من الأفعال، وهذا ما عناه الخليل بقوله: إنها هي الأوَّل». القياس في النحو ٣٥. وقد نقلت بعد هذا مباشرة نصّاً لفندريس في كتابه (اللغة) يؤيد ما ذهبت إليه.

(٧) انظر: ٥٥٦.

(٨) انظر: ١٩١.

ومن الاعتداد بالأصالة والفرعية تطلَّب العِلل للخروج عن الأصل، كقوله: «هذه الأسماء [يعني حيث وقبل وبعد] وجميع ما بُني على حركة فيه ثلاثة أسئلة: الأول: لم بُني، وأصل الاسم الإعراب؟ والثاني: لم بُني على حركة، وأصل البناء السكون؟ والثالث: لم اختصَّ هذه الحركة دون غيرها...»^(١) ثم أخذ يجيب عن كل سؤال.

وأيضاً لما تحدّث عن حركة اللام الجارّة، علَّل فتحها مع المضمر، وكسرها مع المظهر، وعقد موازنة بينها وبين لام الابتداء، بناها على الأوليّة فقال: «... وَإِنَّمَا فَتَحُوا اللَّامَ مَعَ الْمُضْمَرِ غَيْرِ الْيَاءِ، وَكَسَرُوا مَعَ الْيَاءِ؛ لِأَنَّهُمَا قَدْ تُكْسَرُ مَعَ الْمُظْهِرِ، فَلَمْ يَحْتَاجُوا إِلَى نُونٍ وَقَايَةٍ، وَإِنَّمَا كُسِرَتْ فِي الْمُظْهِرِ لِلْفَرْقِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ لَامِ الْإِبْتِدَاءِ، وَلَمْ تَكُنِ الْبَاءُ لِمَعْنَيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ فَيَحْتَاجُ إِلَى فَرْقٍ، وَكَانَتْ أُولَى بِالتَّغْيِيرِ؛ لِأَنَّ الْإِبْتِدَاءَ أَوَّلُ أَحْوَالِ الْأَسْمِ، وَإِنَّمَا يَدْخُلُ النَّاصِبُ وَالرَّافِعُ وَالْجَارُ عَلَى الْمُبْتَدَأِ، فَلَمَّا كَانَ الْإِبْتِدَاءُ مُقَدِّمًا فِي الرَّتْبَةِ، وَأَوَّلُ أَحْوَالِ الْحَرْفِ الْفَتْحُ قُرِنَ بِهِ، فَلَمَّا اتَّصَلَتْ بِالْمُضْمَرِ رُدَّتْ إِلَى أَصْلِهَا...»^(٢).

ولكنَّ قوله إنَّ أول أحوال الحرف الفتح، غير مسلم، فإنَّ أول أحواله السكون، كما قرَّر هو وغيره، ولذلك إذا بنيت الكلمة على حركة غير السكون احتاجوا إلى تعليل ذلك، وقد سبق نقل كلامه في هذه المسألة، قال: «وجميع ما بُني على حركة فيه ثلاثة أسئلة: الأول: لم بُني، وأصل الاسم الإعراب؟ والثاني: لم بُني على حركة، وأصل البناء السكون؟ والثالث: لم اختصَّ هذه الحركة دون غيرها...»^(٣).

وفي باب حروف الجر أيضاً جعل الجر في قول الشاعر:

فصَيَّرُوا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ

للكاف، لا لـ(مثل)؛ «لأنَّ إضافة الأسماء ثانیة وعَمَلُ الْحَرْفِ أَوَّلٌ»^(٤). يريد أنَّ الإضافة إنما تعمل لأنها بمعنى حرف الجر، فأصل الجر للحرف، والإضافة فرع عنه.

ج- لا يقاس على القليل والشاذ:

منع ابن الدهان من القياس على القليل، كما هو مذهب البصريين، ولذا لما ذكر ما

(١) الغرة ٨ ب (كوبريللي).

(٢) ص: ٥٩٩.

(٣) الغرة ٨ ب (كوبريللي).

(٤) ص: ٦٠٩.

يتعدى به الفعل اللازم من القرائن، قرَّرَ أن هناك أفعالاً بعكس ذلك، ومنع القياس عليها لقلَّتها، قال: «وهنا أفعالٌ بعكس ما أَصْلَنَاهُ، وهي أفعالٌ تكونُ مُتَعَدِيَّةً إذا عَرِيتُ مِنَ الْقَرِينَةِ، فإذا وَجَدْتَ الْقَرِينَةَ كَانَتْ قَاصِرَةً، وذلكَ قولهم: أَقْشَعَتِ السَّحَابُ، وَقَشَعَتِ الرِّيحُ السَّحَابَ ... وَهَذِهِ أَلْفَاظٌ يَسِيرَةٌ تُحْفَظُ وَلَا يُقَاسُ عَلَيْهَا»^(١).

ومنع من قياسية حذف حرف الجر، وإنما يُكتفى بما ورد به السماع، فلمَّا أورد ما جاء في القرآن من ذلك قال: «وهذا يُستعملُ في الكلامِ وغيره، لحيثه في كتابِ الله، ولا يُقَاسُ حذفُ حروفِ الجرِّ جميعها عليه، وإنما يُستعملُ في الكلامِ ما وردَ في كتابِ الله تعالى، لا ما وردَ في الشَّعْرِ، ومن الشاذِّ قولُ الشاعرِ:

نُغَالِي اللَّحْمَ لِلْأَضْيَافِ مِنَّا

أي في اللحم، فحذف»^(٢).

ولمَّا بحث الاستثناء بليس ولا يكون، قدَّم لذلك بالعلة التي ألحقتهما بأدوات الاستثناء، فبين أنَّ ذلك كان حملاً على المعنى، فكما كان ما بعد (إلا) غير داخل في حكم ما قبلها، فإن ما بعد النفي غير داخل فيما قبله، ولذا استثنوا بليس ولا يكون.

إلاَّ أَنَّهُ لَا يُقَاسُ ذَلِكَ عَلَى جَمِيعِ مَا دَلَّ عَلَى النَّفْيِ، وَإِنَّمَا يُقَاسُ عَلَى الْمَسْمُوعِ، قَالَ: «وَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَقِيسَ عَلَى ذَلِكَ: لَمْ، وَلَا، وَمَا، وَمَا كَانَ نَفِيًّا مُحْضًا، فَأَمَّا مَا حَكَاهُ الْفَرَّاءُ مِنْ قَوْلِهِمْ: كُلُّ شَيْءٍ مَهَّةٌ وَمَهَّاءٌ مَا النِّسَاءُ وَذَكَرَهُنَّ، يُرِيدُ إِلَّا النِّسَاءَ، فَشَاذٌّ»^(٣).

د- قياس الشبه:

قال أبو البركات الأنباري: «اعلم أنَّ قياس الشبه أن يحمل الفرع على الأصل بضرب من الشبه غير العلة التي علَّقَ عليها الحكم في الأصل»^(٤). فعلة الأصل ليست علةً في الفرع، وإنما ألحق الفرع بالأصل لوجه من الشبه بينهما.

وقد نظر ابن الدهان لهذا النوع من القياس، ومثل له، فقال: «اعلم أنَّ المُشَابَهَةَ تَقْتَضِي التَّأْثِيرَ، أَلَا تَرَى أَنَّ (مَنْ) بُنِيَتْ لِمُشَابَهَةِ الْحَرْفِ، (وَتَفْعَلُ) أُعْرِبَ لِمُشَابَهَةِ الْأَسْمِ، وَتُرِكَ صَرْفُ

(١) ص: ٣٢٣.

(٢) ص: ٣٢٧.

(٣) ص: ٥٤٠.

(٤) لمع الأدلة: ١٠٧.

ما ينصرفُ لمُشابهةِ الفعل، وكذلك (ما) لما أشبهتَ (ليس)؛ لأنها لنفي الحال كـليس، وتدخُلُ على المُبتدأ والخبر كـليس، وتتصلُ بخبرها الباءُ كـليس، حملها أهلُ الحجاز عليها في العمل^(١).

وقد قاس (حسبُ) على (قبلُ) و(بعدُ)، لما بينهما من الشبه، فأوجب لها حكمهما، (وهو تعريفها عند إضافتها، وإعرابها تبعاً لذلك)، وردَّ بناءً على هذا القياس قولَ الجرميِّ الذي ادَّعى بناء (حسبُ) مطلقاً، قال: «... وإذا قلت: حسبُك، فهي معرفةٌ للإضافة، والجرميُّ يدَّعي بناءها، ويقول: الإضافة لا تُكسِبُها إعراباً، كما لا تُكسِبُ (لَدُنْ) و(كَمْ)، وليس يَتَّجهُ هذا القولُ؛ لأنَّها مُشَبَّهةٌ بـقبلُ وبعْدُ، فيجبُ أن يكونَ لها حُكْمُها»^(٢).

هـ- القياس على النظير وعلى النقيض:

هذان قسمان من أقسام القياس عند السيوطي^(٣).

وقد قرر ابن الدهان هذا الأصل، فقال في عمل (لا) النافية للجنس: «فأمَّا مذهبُ أهلِ البصرة فإنهم يجعلون لـلا عملاً^(٤)؛ لأنها مُختَصَّةٌ بالاسم، وحكمُ كلِّ مختصِّ العمل، على ما سبق، وهو أيضاً نقيضُ (إنَّ)، والشيءُ يحملُ على نظيره وعلى نقيضه، فإن حُمِلَتْ على (إنَّ) عملتَ للضدِّيةِ التي بينهما، وإن حملتها على (أنَّ) المصدريةِ عملتَ للمُشابهةِ اللفظيةِ»^(٥).

ومن أمثلة ذلك عنده:

١- حَرَجَ قراءة من فتح لام الجر في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَنْزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾^(٦)، على أنه تشبيهٌ له بالضمير، فهي تفتح معه، في قولهم: لَهُ ولها ونحوه، قال: «وَرَوَى الْمُبَرِّدُ عَنْ ابْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَنْزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ بِفَتْحِ اللامِ

(١) الغرة ٥٥ أ (كوبريللي).

(٢) ص: ٤٨٧.

(٣) انظر: الاقتراح ١٠٧، وفيض نشر الانشراح ٧٨٤/٢.

(٤) انظر: الكتاب ٢٢٧٤، والمقتضب ٣٥٧/٤.

(٥) ص: ٢٦٢.

(٦) إبراهيم: ٤٦.

وقد نسبت القراءة إلى سعيد بن جبير في: سر صناعة الإعراب ٣٢٨/١، ٣٩٠.

التي للجَرِّ، وَلَهُ عِنْدِي وَجْهٌ حَسَنٌ، وَذَلِكَ أَنَّ (أَنْ) وَالْفِعْلَ يُشَبَّهُ بِالْمُضْمَرِ ... كَمَا فُتِحَتْ لَامُ الْمُسْتَعَاثِ بِهِ لِشَبَّهِهِ بِالْمُضْمَرِ^(١).

٢- أقرَّ الاستدلالَ لرأي سيبويه في أَنَّ (دخل) غير متعدٍّ بأنَّ نظيره ونقيضه غير متعدَّين، فنظيره: غُرْتُ، ونقيضه: خَرَجْتُ^(٢).

٣- استدلَّ على أَنَّ الأصل في البناء السكون، بأنَّ الأصل في الإعراب الحركة، قال: «وَأَعْلَمُ أَنَّ أَصْلَ الْبِنَاءِ السَّكُونُ، بِدَلَالَةِ أَنَّهُ ضِدُّ الْإِعْرَابِ، وَأَصْلُ الْإِعْرَابِ الْحَرَكَةُ»^(٣).

٤- لما منع ابن السراج وقوع الحاضر والمستقبل بعد (ربما)؛ لأنَّ (ربَّ) تستعمل لما مضى فكذلك (ربما)، استدلَّ ابن الدهان على أَنَّ (ربَّ) تستعمل لما مضى بأدلة منها: أنها نقيضة (كم) الخبرية، «تَقُولُ: كَمْ غُلَمَانٍ مَلَكَتُ، وَأَنْتَ مَادِحٌ، وَالْمَدْحُ إِنَّمَا يَكُونُ بِمَا يَثْبُتُ»^(٤)، أي بما كان قد ثبت فهو واقع في الماضي.

٥- لما تعرض للخلاف في العامل في البدل، وما أفسدَ به قول المبرد من أَنَّ الثاني وقع موقع الأول، مع أطراح الأول، بِقَوْلِكَ: جَاءَنِي الَّذِي مَرَرْتُ بِهِ زَيْدٍ، فَإِنَّ (زيداً) لا يجوز أن يقع موقع الهاء، إذ تخلو جملة الصلة من العائد. ثم قال: «وَأَمَّا مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْأَوَّلَ لَيْسَ فِي نِيَّةِ الطَّرْحِ وَإِنَّمَا مَوْضِعُهُ لَهُ فَقَوْلُهُ صَحِيحٌ بِمَا قَدَّمَاهُ مِنْ فَسَادٍ ضِدِّهِ»^(٥).

٦- ذكر أَنَّ إضافة اسم الفاعل إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال إضافة غير محضة، أي أنها لا تفيد تعريفاً، واستدل على ذلك بالسماع والقياس... فأما القياس فإنه قاسه على فعله، والفعل نكرة، وقد عمل عمل فعله، كما نُزِلَ الفعل الذي بمعناه، وهو الفعل المضارع، مترلته في الإعراب، قال: «وَالْإِضَافَةُ غَيْرُ الْحِصَّةِ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ: اسْمُ الْفَاعِلِ، إِذَا كَانَ فِي مَعْنَى الْحَالِ وَالْإِسْتِقْبَالِ، وَالِدَلِيلُ عَلَيْهِ: السَّمَاعُ وَالْقِيَاسُ... أَمَّا الْقِيَاسُ فَإِنَّهُمْ نَزَّلُوهُ مَتَرَلَةً الْفِعْلِ فِي الْعَمَلِ، كَمَا نَزَّلُوا الْفِعْلَ الَّذِي بِمَعْنَاهُ مَتَرَلَتُهُ فِي الْإِعْرَابِ»^(٦).

(١) ص: ٥٥٩.

(٢) انظر: ٣٩٩.

(٣) الغرة ٨ ب (كوبريللي).

(٤) ص: ٥٨٣.

(٥) ص: ٧٣٧.

(٦) ص: ٦٤٢.

إنَّ المتتبع لمنهج ابن الدهان مع الأصول النحوية، ليجد عناية ظاهرة بها، يتضح ذلك في تطبيقاته، من خلال الشرح، والمناقشة، والاختيار، والاعتراض، فتجد كل قضية مقرونة بدليلها، من المسموع أو من المقيس.

ومن عنايته بهذه الأصول، أنه قد يضمن مناقشاته شيئاً من أحكامها النظرية، كموازنته بين القرآن والشعر في القياس عليه، وكتصريحه بوجاهة الاستدلال بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذكره بعض قواعد القياس، كقوله: «اعلم أنَّ المشابهة تقتضي التأثير...»^(١)، وقوله: «المشاكلة مُعْتَبَرَةٌ في كلامِ العرب...»^(٢)، وقوله: «العَرَبُ تَحْمِلُ الشَّيْءَ عَلَى الشَّيْءِ لِمَعْنَى اجْتِمَاعِ فِيهِمَا، وَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَقِيسَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا يُقْبَلُ مَا وَرَدَ مِنْهُ»^(٣)، إلى غير ذلك من القواعد النظرية، التي تجلِّي منهجه.

وعند الموازنة بين هذه القواعد وتطبيقاتها عنده، تجد أنَّه قد سار على طريقة محكمة، ومنهج مطرد غير مختلف، ولا يكاد الناظر يجد فيه خللاً ولا تناقضاً، فلا تراه يجازف في الحكم، أو يغفل الاستدلال في الاعتراض، إلا في أحيان قليلة، يبههم فيها وجه الاعتراض، فيقول مثلاً: «هذا القول فيه نظر»^(٤)، ولا يتبع ذلك بوجه الاعتراض عليه.

(١) الغرة ٥٥ أ (كوبريللي).

(٢) ص: ٥٠٧.

(٣) ص: ٥٤٠.

(٤) انظر: ٦٣٩.

الفصل السابع

التعليل عند ابن الدهان

المبحث الأول: العلل التعليمية والقياسية.
المبحث الثاني: الجدل واستخدام المنطق في التعليل.

العلة: «كل أمر يصدر عنه أمر آخر بالاستقلال، أو بواسطة انضمام الغير إليه»^(١).
والعلة عند النحويين: «الوصف الذي يكون مظنة وجه الحكمة في اتخاذ الحكم» أو «هي الأمر الذي يزعم النحويون أن العرب لاحظته حين اختارت في كلامها وجهاً معيناً من التعبير والصياغة»^(٢).

ولقد أثارت العلة بحثاً واسعاً في النحو العربي، ودار حولها جدل كبير، امتد هذا البحث من لدن أوائل النحويين إلى العصر الحاضر.

وفي خلال هذه العصور المتتابعة تطور مفهوم العلة، واختلف الموقف منها حسب ذلك المفهوم، وتجاذب التأثير فيها علوم أخرى، كالأصول، والمنطق، وعلم الكلام. وكان الذي أدى إلى ظهور التعليل وازدهاره، ما يروم النحويون من تثبيت القواعد، وتبريرها، فإن التعليل من أظهر السبل إلى إقناع الدارسين بصحة هذه القاعدة ودقتها. يُضاف إلى هذا ما استقر في أذهانهم من فضل هذه اللغة، فهي تحوي خصائص وميزات لا توجد في سواها، فأحكامها مقرونة بعلة^(٣)، ومهمة النحوي إظهار حكمة اللغة، قال ابن السراج: «واعتلالات النحويين على ضربين: ضرب منها هو المؤدي إلى كلام العرب... وضرب آخر يسمى علة العلة... وهذا ليس يُكسبنا أن نتكلم كما تكلمت العرب، وإنما تُستخرج منه حكمته في الأصول التي وضعتها، وتبين بها فضل هذه اللغة على غيرها من اللغات، وقد وفر الله تعالى من الحكمة بحفظها، وجعل فضلها غير مدفوع»^(٤).

ويلاحظ في نص ابن السراج أنه قسم العلة إلى مستويين، علة يعرف بها كلام العرب، وعلة تفسر تلك العلة، وهو بذلك أول من أشار إلى مستويات التعليل، ثم جاء بعده الزجاجي فقسم العلة إلى ثلاث: علل تعليمية، وعلل قياسية، وعلل جدلية نظرية. فعرف التعليمية بأنها ما يتوصل بها إلى تعلم كلام العرب، كقولهم: لم نصب (زيد) في قولك: إن زيدا قائم؟ فيقال: لأن (إن) تنصب الاسم...

(١) الكليات ٥٩٩.

(٢) العلة النحوية د. مازن المبارك ٩٠.

(٣) انظر: أصول التفكير النحوي ١٤٩-١٥٠.

(٤) الأصول ٣٥/١.

أما القياسية فإنه لم يعرفها بالحدّ، وإنما مثل لها، فقال: العلة القياسية أن يقال لمن قال: نصبتُ زيداً بياناً.. لم وجب أن تنصب (إنّ) الاسم؟ فالجواب: لأنها وأخواتها ضارعت الفعل المتعدي إلى مفعول، فحملت عليه فأعملت...

ومثلها العلة الجدلية، فقد مثل لها، فقال: «فأما العلة الجدلية النظرية؛ فكلُّ ما يُعتل به في باب (إنّ) بعد هذا، مثل أن يقال: فمن أي جهة شابهت هذه الحروف الأفعال؟ وبأي الأفعال شبهتموها...»^(١).

فإذا كانت غاية الأولى (التعليمية) التعليم، فغاية القياسية والجدلية بيان حكمة العرب، والدفاع عن القواعد التي استنبطوها من كلامهم^(٢).

وقد اختلفت طبيعة العلل، من وجوه أخرى، واختلفت المواقف منها تبعاً لذلك، فمن العلل ما مأخذه نطقيّ، يدور على أسباب لسانية، يؤيدها الحس، قبل أن يدركها الذهن^(٣)، كعلل الاستثقال والخفة^(٤)، ومنها ما مأخذه دلالي، كأمن اللبس، والفرق، والتوكيد^(٥). ومن العلل ما قد يَنازَع بعضهم في وجاهتها، مما هو راجع إلى أمور افتراضية جدلية، كالأصالة والفرعية، نحو علة استصحاب الأصل، والرد إلى الأصل، والدلالة على الأصل، والتعويض، والعدل...^(٦)

وكان ابنُ مضاء القرطبي قد اطَّرحَ العلل الثواني والثالث (القياسية والجدلية) في رده على النحاة، وذلك للاستغناء عنها، فالجهل بها لا يضر^(٧)، وذلك من آثار منهجه الظاهري، الذي مده من الفقه إلى النحو، وكان رفض العامل والعلة أبرز صوره.

وبعض الدارسين المحدثين قد تناول قضايا العلة النحوية بقدر كبير من الرفض؛ لأنها أثر من آثار المنطق، ودليل هذا لا يحتاج إلى كبير تأمل، فالعلة عند المناطقة ضرورية (لازمة)،

(١) انظر: الإيضاح في علل النحو ٦٤-٦٥.

(٢) انظر: الأسس المنهجية للنحو العربي ٤٤.

(٣) انظر: القياس في النحو ٤٧.

(٤) يعبر عنه دي سوسير بقانون الاقتصاد في الجُهد. انظر: علم اللغة العام ١٧١.

(٥) انظر: الأسس المنهجية للنحو العربي ٣٩٤-٣٩٨.

(٦) انظر: الأسس المنهجية ٣٩٩ وما بعدها.

(٧) انظر: الرد على النحاة ١٣٠.

ولها تأثير في المعلول، وهي تسبقه في الوجود^(١).

والعلة عند النحويين تتسم بهذه السمات، فهي ضرورية، فوجودها يستوجب وجود المعلول، فهي بناءً على ذلك سابقة له، بخلاف العلة عند علماء الكلام من المسلمين، إذ يرون أن العلاقة بين العلة والمعلول أمر جرت به العادة، وأن قدرة الله تعالى هي الفاعل المؤثر^(٢).

من هنا كان كثير من الدراسات ترى أن العلة النحوية بعيدة عن روح اللغة وطبيعتها، مما أدى إلى تناقضها وتعقيدها وعدم تأديتها للغرض المفترض أن تؤديه^(٣). وارتضت بعض الدراسات الحديثة التعليل النحوي^(٤)، على مستويات مختلفة من القبول، فبعضها شرط قبوله باطراح التكلف والفلسفة، وبعضها قبل ذلك على أنه وسيلة للتنظيم والترتيب^(٥)، وبعض الدراسات ربطت بين التعليل النحوي والنظريات الحديثة^(٦)، سعياً لتحقيق الواجهة والقبول.

ولقد أخذ ابن الدهان بالعلة النحوية، فكانت إحدى السمات الظاهرة في فكره، كان اعتماده عليها امتداداً لمن سبقه من النحويين، وتميز بدقة واستقصاء، شمل ذلك جميع أنواع العلل، التعليمية وغيرها.

(١) انظر: الثقافة المنطقية في الفكر النحوي ١١٩-١٢٠.

(٢) انظر: تقويم الفكر النحوي ١٣٧.

(٣) انظر: تقويم الفكر النحوي ١٤٠-١٤٣، وأصول التفكير النحوي ١٧٢. وانظر أيضاً في رفض نظرية التعليل: إحياء النحو ١٩٤، ومقدمة الرد على النحاة ٤٦-٦٧، وتحديد النحو ١١-٤٣، ونظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين ٢١٧.

(٤) انظر: نظرية التعليل في النحو العربي ٢١١.

(٥) يقول فؤاد علي: «فليس هناك مانع من الفلسفة النحوية وسيلةً لتنظيم الفكر، وترتيب العرض، وتوضيح القاعدة، وإبراز الثمار التي تمخضت عنها القاعدة...» (فلسفة عبد القاهر الجرجاني ١٠٢).

(٦) يقول د. حسن الملخ: «ويتفق مفهوم التعليل في النحو العربي، ومفهوم التيسير في النظرية التوليدية التحويلية، في سعيهما إلى تجاوز الوصف الخض للظاهرة اللغوية نحو تفسيرها تفسيراً علمياً، فيه برهان على صحة القواعد التي تنتج أنماط الكلام المختلفة...» (نظرية التعليل ٣٢).

وانظر: العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والربط العملي لنوام تشومسكي. د. شفيقة العلوي (مجلة حوليات التراث عدد ٧-٢٠٠٧م).

وقد سلك إلى بعض تعليلاته السير والتقسيم، فمن ذلك قوله: «وإنما نَصَبْتُ (إنَّ) الأولَ وَرَفَعْتُ الثانيَ لَأَنَّهُ لَا يَخْلُو أَنْ تَرَفَعَهُمَا مَعًا، أَوْ تَنْصِبَهُمَا مَعًا، أَوْ تَرَفَعِ الأولُ، وَتَنْصِبِ الثانيَ، أَوْ تَنْصِبِ الأولَ وَتَرَفَعِ الثانيَ، فَأَمَّا الْجَرُّ فَلَا وَجْهَ لَهُ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْحُرُوفَ شَابَهَتْ الْفِعْلَ، وَلَيْسَ لِلْفِعْلِ جَرٌّ، فَلَا يُجُوزُ أَنْ تَرَفَعَهُمَا؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ الَّذِي هُوَ الْأَصْلُ لَمْ يَرَفَعَهُمَا مَعًا، وَلَا يُجُوزُ نَصِبُهُمَا مَعًا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى أَنْ تَبْقَى جُمْلَةٌ مُفِيدَةٌ بِغَيْرِ مَرْفُوعٍ، وَلَا نَظِيرٍ لِهَذَا، وَلَا يَصِحُّ أَنْ تَرَفَعِ الأولُ وَتَنْصِبِ الثانيَ؛ لَأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى أَنْ يَكُونَ الْأَصْلُ كَالْفَرْعِ»^(١).

فتجده قد استقصى الأوجه المحتملة التي يمكن أن يكون عليها معمولاً (إن)، ثم اختبرها واحداً واحداً، حتى توصل إلى العلة.

وأيضاً لما تحدّث عن موقع الحركة من الحرف، توصّل من خلال السير والتقسيم إلى اختيار قول سيبويه، وهو أن الحركة بعد الحرف، قال: «... فكما أنَّ الحرف لا يجامع حرفاً آخر في النطق، وإنما يجيء قبله أو بعده، فكذلك بعض الحرف لا يجامع حرفاً، إنما يكون قبله أو بعده، فإذا بطل أن يكون قبله بما تقدم، لم يبق إلا أن يكون بعده، فثبت قول سيبويه»^(٢).

وسلك هذا المسلك أيضاً لما أراد الاستدلال لكون الواو العاطفة للجمع، وسمّى هذا المسلك: (التحليل)، قال: «... وأيضاً فَطَرِيقُ التَّحْلِيلِ يَشْهَدُ بِأَنَّ الْوَائِلَ لِلْجَمْعِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي حُرُوفِ الْعَطْفِ مَا مَعْنَاهُ الْجَمْعُ إِلَّا الْوَائِلُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْفَاءَ لِلتَّعْقِيبِ، وَ(ثُمَّ) لِلْمُهْلَةِ، وَمَا بَقِيَ مِنْ حُرُوفِ الْعَطْفِ لَيْسَ لَهَا مَعْنَى جَمْعٍ، فَلَوْ جَعَلْنَاهَا لِلتَّرْتِيبِ اسْتَعْنَيْنَا عَنْهَا وَأَفْقَدْنَا مَعْنَى الْجَمْعِ، وَجَعَلْنَاهَا لِمَعْنَى وَاحِدٍ حَرَفَيْنِ»^(٣).

المبحث الأول: العلل التعليمية والقياسية.

العلل التعليمية — كما سبق تعريفها — هي التي يُتعلّم بها كلام العرب، ولذا فهي لا تفارق التنظير والتفصيل والشرح، في أي باب أو مسألة من المسائل، وهي أشهر من أن يمثل لها.

(١) ص: ١٩١.

(٢) الغرة ٧ ب (كوبريللي).

(٣) ص: ٧٨٢.

أما العلة القياسية فيمكن أن يُمثَّل لها من خلال تصنيف العلل حسب أنواعها:

١ - علة سماع:

اعتلَّ ابن الدهان بالسماع في مواضع كثيرة، فمن أمثلة ذلك أنه لما عقد موازنة بين (أن) و(أن) الناصبة للفعل قرَّرَ أنهما سواء إذا وقعتا مفعولاً للظن، واعتلَّ لذلك بالسماع، قال: «... فأما في الظنِّ فإنَّ السماعَ يُوَدِّيكَ إلى أن تَجْعَلَهُما سواءً، أعني (أن) و(أن) النَّاصِبَةَ للفعل، والدليلُ عليه قوله تعالى في قراءةٍ مَنْ قَرَأَ: ﴿! " # \$ %﴾^(١)، بنصب (تكون)^(٢)، وقوله تعالى: ﴿تُظَنُّ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿x wv ut s﴾^(٤)، إذا قَدَّرَها: لأنَّ يَقُولُوا آمَنَّا، وهذا مَذْهَبُ الْأَخْفَشِ، وبعضُهم يُجِيزُهُ في (أن) ويأباهُ في (أن) إلَّا مَعَ مَفْعُولٍ ثَانٍ، والأوَّلَى ما قَدَّمْنَاهُ...»^(٥).

وأيضاً أوجب تصدُّر لام الابتداء، واعتلَّ لوجوبه بالسماع، قال: «وإنما وجبَ أنْ تَصْدُرَ الجملةُ للسماعِ والقياسِ، فالسماعُ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿[Z Y X \]﴾^(٦)»^(٧). كما اعتلَّ بالسماع لما قرر أن التقليل يقارب النفي، فيأخذ أحكامه، قال: «...يَدُلُّكَ عَلَى مُقَارَبَةِ التَّقْلِيلِ النَّفْيَ قَوْلُهُمْ: قَلَّمَا سِرْتُ حَتَّى أَدْخُلَهَا، وَإِنَّمَا يَمْتَنِعُ الرَّفْعُ فِي (أَدْخُلَهَا) لَمَّا نَفَيْ السَّيْرَ، وَالرَّفْعُ مَعَ النَّفْيِ لَا يَصِحُّ ... فَلِهَذَا الْمَعْنَى نَصَبُوا هُنَا؛ لِأَنَّ التَّقْلِيلَ يَقَارِبُ النَّفْيَ، كَمَا يَنْصَبُونَ إِذَا قَالُوا: مَا سِرْتُ حَتَّى أَدْخُلَهَا، وَيَدُلُّكَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ التَّقْلِيلَ قَدْ يُجْعَلُ نَفِيًّا قَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ:

قَلِيلَةُ جَرَسِ الصَّوْتِ مَا لَمْ يَمَسَّهَا فَإِنْ مَسَّهَا صَاحَتْ بِغَيْرِ خُفَاتِ
يَصِفُ الْبَكْرَةَ، وَالْبَكْرَةُ مَا لَمْ تُمَسَّ فَلَا صَوْتَ لَهَا الْبَتَّةُ»^(٨).

(١) المائدة: ٧١.

(٢) هي قراءة ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر. انظر: السبعة ٢٤٧.

(٣) القيامة: ٢٥.

(٤) العنكبوت: ٢.

(٥) ص: ٢٣٧.

(٦) يوسف: ٨.

(٧) ص: ٢٢٤.

(٨) ص: ٥٧٩.

٢ - علة شبه:

هذه العلة كثيرة في اعتلالات النحويين، ومن أمثلتها عند ابن الدهان تعليله لنصب اسم (إنَّ) ورفع خبرها بشبهه (إنَّ) وأخواتها بكان وأخواتها، قال: «هذه الحروف لها شبه بكان من وجوه ثلاثة: منها: أنها على ثلاثة أحرف، كما أنَّ (كان) على ثلاثة أحرف، ومنها أنها مفتوحة الآخر، كما أنَّ (كان) كذلك، ومنها أنها داخلة على المبتدأ والخبر كما أنَّ (كان) كذلك. ولما كانت (كان) أصلاً في العمل لأنَّ أُعْطِيتَ حكم الأصول، وذلك تقدّم الفاعل على المفعول، ولما كانت (إنَّ) فرعاً في العمل لكان أُعْطِيتَ حكم الفروع، وذلك تقدّم المنصوب على المرفوع...»^(١).

وهذا ليس خاصاً بباب (إنَّ)، وإنما عللوا عمل الحروف بشبهها بالأفعال^(٢). ومن أمثلة الاعتلال بالمشابهة أيضاً ما قرره من أنَّ علة انتصاب الصفة إذا تقدمت على الحال، المشابهة التي بين الصفة والحال، قال: «وُثِّبَ الحال الصفة، فلذلك انتصبت إذا تَقَدَّمتْ عَلَى الحال»^(٣).

وعلل امتناع تقدّم (إلا) على العامل بمشابهتها لـ(لا) العاطفة، «فلا تَتَقَدَّمُ عَلَى العامل، كما لا تَتَقَدَّمُ (لا) على المعطوفة هِيَ عَلَيْهِ»^(٤).

كما علل جواز حذف المستثنى منه بجواز حذف المضاف، لما للمستثنى والمستثنى منه من الشبه بالمضاف والمضاف إليه، قال: «وللْمُسْتَثْنَى وَالْمُسْتَثْنَى مِنْهُ شَبَهُ بِالْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: جَاعَنِي قَوْمُكَ إِلَّا نَاساً مِنْهُمْ، فَتَقْدِيرُهُ: جَاعَنِي أَكْثَرُ قَوْمِكَ، أَوْ أَقَلُّ قَوْمِكَ، أَوْ بَعْضُ قَوْمِكَ، وَلِهَذَا الْمَعْنَى جَازَ: مَا قَامَ إِلَّا زَيْدٌ، فَحَذَفْتَ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ فِي اللَّفْظِ، كَمَا جَازَ حَذْفُ الْمُضَافِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَ ز ج﴾»^(٥)، وَلَمْ يُجْزَ حَذْفُ الْمُسْتَثْنَى وَإِرَادَتُهُ كَمَا لَمْ يُجْزَ حَذْفُ الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَإِرَادَتُهُ بغير دليل...»^(٦).

(١) ص: ١٩١-١٩٢.

(٢) انظر: ٤٥٧.

(٣) ص: ٤٦١.

(٤) ص: ٥٠٣.

(٥) يوسف: ٨٢.

(٦) ص: ٥٠٦.

٣- علة رفع اللبس:

علل بهذه العلة لعدم استحسان جعل (ضاحكاً) حالاً من الفاعل في نحو: مررتُ بزيدٍ ضاحكاً، فقال: «إذا قُلْتَ: مررتُ بزيدٍ ضاحكاً، وكانتِ الحالُ لك لم يحسُنْ لأجلِ اللبسِ؛ لأنَّهُ يُوهِمُ أَنَّ الضَّحِكَ كَانَ لِزَيْدٍ، وَالْأَوَّلَى فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَنَّ تَقُولَ: مررتُ ضاحكاً بزيدٍ، إِلَّا أَنْ يُعْلَمَ الْمَقْصُودُ»^(١).

وفي قولهم: تصدَّقتُ بمالي درهماً درهماً، منع أفراد الدرهم، أي عدم تكراره؛ لأنَّ في ذلك لبساً^(٢).

وعلل امتناع كون الواو رابطاً للجملة الحالية التي فعلها مضارع، بخوف اللبس بالعطف^(٣).

وفي باب التوكيد قرر ابن جني أنَّ الغاية منه: «رفع اللبس وإزالة الاتِّساع»^(٤)، فتابعه على ذلك، إلَّا أنه فرَّق بين رفع اللبس وإزالة الاتِّساع، فجعل رفع اللبس علةً للتوكيد بكل وأجمع، وجعل إزالة الاتِّساع للتوكيد بالنفس والعين، قال: «وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وإِزَالَةُ الْإِتِّسَاعِ» فَهُوَ كَمَا ذَكَرَ، وَهُوَ مُنَاسِبٌ لِرَفْعِ اللَّبْسِ، وَذَلِكَ أَنَّكَ تَقُولُ: جَاءَ الْقَوْمُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ بَقِيَ مِنْهُمْ رَجُلٌ أَوْ أَكْثَرُ، فَغُلِبَ الْأَكْثَرُ، فَتَوَهَّمُ أَنَّ قَدْ بَقِيَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَإِذَا قُلْتَ: (كُلُّهُمْ) عُلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، كَذَا ذَكَرَ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّحْوِيِّينَ، وَعِنْدِي أَنْ يُجْعَلَ إِزَالَةُ الْإِتِّسَاعِ هُوَ الْفَصْلُ الْأَوَّلُ، وَهُوَ أَنْ يُزِيلَ الْإِحْتِمَالُ لِضَرْبِ الدَّرَاهِمِ الَّذِي كَانَ شَائِعاً بَيْنَ الْمَلِكِ وَأَصْحَابِهِ [فِي قَوْلِهِمْ: ضَرَبَ السُّلْطَانُ الدَّرَاهِمَ، فَإِذَا قَالَ: نَفْسُهُ زَالَ إِحْتِمَالُ كَوْنِهِ أَمْرٌ بِذَلِكَ] وَيُجْعَلَ لِرَفْعِ اللَّبْسِ قَوْلُكَ: جَاءَ الْقَوْمُ، إِذَا كَانَ قَدْ بَقِيَ مِنْهُمْ بَعْضُهُمْ مِمَّنْ لَمْ يُعْتَدَّ بِهِ، فَإِنْ قُلْتَ: (كُلُّهُمْ) أَوْ (أَجْمَعُونَ) وَنَحْوَ ذَلِكَ عُلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ وَزَالَ اللَّبْسُ»^(٥).

٤- علة حمل على المعنى:

من ذلك تعليله امتناع تقدم (إلا) في الاستثناء على العامل، قال: «وَعِنْدِي أَنَّهُ إِنَّمَا لَمْ

(١) ص: ٤٦٣.

(٢) انظر: ٤٤٦.

(٣) انظر: ٤٧١.

(٤) اللمع ٨١.

(٥) ص: ٧١٠.

يُجْزُ تقديمُ (إِلَّا) عَلَى الْعَامِلِ أَنْ قَوْلَكَ: قَامَ الْقَوْمُ إِلَّا زَيْدًا، فِيهِ النَّفْيُ، فَكَأَنَّكَ قُلْتَ: مَا قَامَ زَيْدٌ، وَمَا فِي حَيْزِ النَّفْيِ لَا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ»^(١).

كما علل وجوب تصدُّر (رَبِّ) بِأَنَّهَا لِلتَّقْلِيلِ، وَالتَّقْلِيلُ يَقَارِبُ النَّفْيَ، وَالنَّفْيُ لَهُ صَدْرُ الْكَلَامِ، قَالَ: «وَأِنَّمَا تَصَدَّرَتْ (رُبِّ)؛ لِأَنَّ مَعْنَاهَا التَّقْلِيلُ، وَلَهُ وَضَعْتُ، وَالتَّقْلِيلُ يُقَارِبُ النَّفْيَ، وَالنَّفْيُ لَهُ صَدْرُ الْكَلَامِ»^(٢).

٥ - علة مُشَاكَلَة:

وَيُقْصَدُ بِهَا الْمَشَاكَلَةُ اللَّفْظِيَّةُ، فَقَدْ نَظَرَ لِلْإِعْتِدَادِ بِهَا، وَعَلَّلَ بِهَا اسْتِحْسَانَ إِضْمَارِ فِعْلٍ فِي نَحْوِ: قَامَ زَيْدٌ وَعَمْرًا ضَرَبْتُهُ؛ حَتَّى يَعْطَفَ جُمْلَةٌ فَعْلِيَّةٌ عَلَى جُمْلَةٍ فَعْلِيَّةٍ، قَالَ: «الْمَشَاكَلَةُ مُعْتَبَرَةٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَهِيَ قَرِينَةٌ مِنَ الْإِتْبَاعِ ... وَلِهَذَا الْمَعْنَى اخْتَارُوا: قَامَ زَيْدٌ وَعَمْرًا ضَرَبْتُهُ، عَلَى قَوْلِكَ: قَامَ زَيْدٌ وَعَمْرًا ضَرَبْتُهُ، فَتَكَلَّفُوا إِضْمَارَ الْفِعْلِ لِيَكُونَ عَاطِفًا جُمْلَةً فَعْلِيَّةً عَلَى جُمْلَةٍ فَعْلِيَّةٍ، فَهَذَا جَمِيعُهُ يُؤَنِّسُكَ بِالْمَشَاكَلَةِ، فَإِذَا صَادَفُوا الْمَشَاكَلَةَ وَالْمَعْنَى الْمَطْلُوبُ غَيْرُ مُخْتَلِّ كَانَ أَوْلَى مِنَ الصَّدُوفِ عَنْهُ إِلَى مَعْنَى غَيْرِهِ صَحِيحٌ مَعَ عَدَمِ الْمَشَاكَلَةِ»^(٣).

٦ - علة توسع:

علل بهذه العلة وقوع اسم الفاعل بمعنى المصدر، في نحو: لَهِ دَرُّهُ شُجَاعًا، وَقَوْلُهُمْ: أَقَائِمًا وَقَدْ قَعَدَ النَّاسُ، قَالَ: «... وَالَّذِي عِنْدِي فِي هَذَا أَنَّ التَّقْدِيرَ: لَهِ دَرُّ شُجَاعَةٍ زَيْدٌ، ثُمَّ نَقَلَ (زَيْدًا) فَجَعَلَهُ مُضَافًا إِلَى (دَرٍّ)، وَخَرَجَتْ (الشُّجَاعَةُ) تَمْيِيزًا، فَقَامَ (الشُّجَاعُ) مَقَامَ (الشُّجَاعَةِ)، لِضَرْبِ مِنَ التَّوَسُّعِ، كَمَا قَالُوا: أَقَائِمًا وَقَدْ قَعَدَ النَّاسُ، أَيْ: أَقِيَامًا، فَصَبُّوا (قَائِمًا) عَلَى الْمَصْدَرِ...»^(٤).

٧ - علة فرق:

علل بهذه العلة كسر اللام الجارة مع الاسم الظاهر، وذلك أنها كسرت فرقاً بينها وبين لام الابتداء^(٥).

(١) ص: ٥٠٣.

(٢) ص: ٥٧٩.

(٣) ص: ٥٠٧-٥٠٨.

(٤) ص: ٤٨٩-٤٩٠.

(٥) انظر: ٥٩٩.

وكذلك فتحت لام المستغاث، فتحت فرقاً بين المستغاث به والمستغاث له^(١).

كما قرّر أن فائدة التوكيد المعنوي بالنفس والعين إنما هي الفرق بين الحقيقة والمجاز^(٢).

المبحث الثاني: الجدل واستخدام المنطق في التعليل.

اقتضى التوسع والاستقصاء الذي انتهجه ابن الدهان في كتابه أن يتعرض إلى بعض العلل الجدلية، ويمكن أن أمثل لها من خلال تصنيفها حسب أنواعها:

١ - علة نظير:

استدل بعدم النظر لما عرض الاحتمالات الفرضية للجملة المصدرة بحرف ناسخ، فقال: «... ولا يجوز نصبهما معاً [أي اسم (إن) وخبرها]؛ لأن ذلك يؤدي إلى أن تبقى جملة مفيدة غير مرفوع، ولا نظير لهذا»^(٣).

كما منع من جعل الظرف في باب الفعل المتعدي إلى ثلاثة مفاعيل مفعولاً اتّسعاً؛ لأن ذلك يؤدي إلى ما لا نظير له؛ لأنه لا يوجد فعل يتعدى إلى أربعة مفعولين^(٤). وفي باب الاستثناء ذكر أن (إلا) بمنزلة الحرف المعدّي للفعل، فالفعل هو العامل للنصب في المستثنى بوساطة (إلا)، وذلك نظير الحرف المعدّي للفعل، كالمهمزة والتضعيف، فإنها توصل عمل الفعل إلى المفعول به.

ثم إنه اعترض على هذا، بأن الحرف المعدّي يوصل الفعل إلى المعدّي إليه، ويدخله في حكمه، بخلاف المستثنى، فإذا قلت: ضربتُ القومَ إلا زيدا، فإن زيدا ليس بمضروب، فأجاب عن هذا بأنه نظير لهمزة السلب، فهي توصل عمل الفعل إلى المفعول، مع أنها تزيل معناه عنه، قال: «... حُكْمُ الحرفِ المعدّي أن يُدخَلَ المعدّي إليه في حيزِ الفعل، نحو قولك: أقمْتُ زيدا، أي: جعلته قائماً... وأنت تقول: ضربتُ القومَ، ثم تقول: ضربتُ القومَ إلا زيدا، فتجدُ (زيداً) ليس بمضروب فيما يحتمله اللفظ، ولهذا نظيرٌ في كلام العرب، ألا تَرى أنَّكَ تقول: أشكيتُ الرجلَ، أي: أزلتُ شكايته، وأعتبته، أي: أزلتُ عتبه...»^(٥).

(١) انظر: ٢٨٠-٢٨١.

(٢) انظر: ٣٠٤.

(٣) ص: ١٩١.

(٤) انظر: ٣٦٦.

(٥) ص: ٥٠١.

٢- علة أصل:

علل بالأصل في مواضع، منها تعليل عدم عمل الحرف، لأنَّ الأصل في العمل الفعل، ولا يعمل الحرف إلا إذا شابه الأصل، قال: «اعلم أنَّه ليسَ كُلُّ ما كانَ فيه معنى الفعلِ يَصِحُّ لَهُ العملُ، ألا تَرى أنَّ الحُرُوفَ جَمِيعَهَا فيها مَعَانِي الفعلِ، ولا يَصْلُحُ أنْ يَعْمَلَ في الحالِ إلا ما قَوِيَ مِنْ ذَلِكَ قُوَّةٌ تُخْرِجُهُ إلى شَبِّهِ الفعلِ، كَكَا، وَحُرُوفِ النَّدَاءِ، فَأَمَّا (ما) و(لا) و(هل) فلا يَعْمَلُ شَيْءٌ منها في الحالِ، وَعِلَّةُ ذَلِكَ هُوَ أَنَّ العَرَبَ عَدَلَتْ عَنِ الفعلِ إلى الحرفِ للاختصارِ والإيجازِ، فإذا أَرَادَتِ العملَ عَادَتْ إلى الأصلِ، وَنَزَلَتْ عَنِ الفَرْعِ، فلو أَنَّهُمَا أَعْمَلَتْهُمَا كَانَ عَوْدًا إلى الأصلِ بَعْدَ ما اخْتَزِلَ...»^(١).

كما علل ضم ذال (مُذْ) إذا التقت ساكنًا بأن أصلها (مُنْذُ)، قال: «وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَصْلَ (مُذْ) (مُنْذُ) أَنَّهُ إِذَا التَقَى بِمُذْ سَاكِنٌ آخَرُ حُرِّكَتْ ذَالُهُ بِالضَّمِّ حَمَلًا عَلَى الْأَصْلِ الَّذِي كَانَ لَهَا، كَمَا أَنَّكَ إِذَا اضْطُرَرْتَ إِلَى تَحْرِيكِ مِيمٍ (عَلَيْكُمْ) حَرَّكَتَهُ بِالضَّمِّ»^(٢). وفي باب الحال، إذا اجتمع حالان أحدهما مفرد والآخر جملة، فالأكثر تقديم المفرد، وعلل ذلك بأنه الأصل^(٣).

ونقل اعتلال بعضهم بالأصل، لما قَرَّرَ أن (جُمَعَ) معدول عن (جُمِعَ)، قال: «... وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: هُوَ مَعْدُولٌ عَنِ جُمِعَ، كَمَا تَقُولُ: حَمْرًا وَحُمْرًا، وَيَعْتَلُّ فِي ذَلِكَ بِأَنَّهُ أَصْلُهُ الصِّفَةُ، فَالْتَفَتَ إِلَى الْأَصْلِ فِيهِ»^(٤).

٣- علة خفة:

التخفيف والاستثقال علتان سائرتان عند النحويين، وخاصة في مسائل التصريف، ومن ذلك -عند ابن الدهان- ما أورده على نفسه من أن حذف التنوين في الإضافة غير المحضة إنما كان للاستخفاف، في نحو: هذا ضاربٌ زيدٌ غدًا، فلم وجب حذفه في نحو (مُعْطٍ) وقد حصل بحذفه ما هو أثقل منه وهو الياء؟

فأجاب عن هذا الإيراد بأن التنوين أخفُّ من الياء، «بِدَلَالَةِ أَنَّ الْيَاءَ تُحْذَفُ لِالْتِقَاءِ

(١) ص: ٤٥٧ .

(٢) ص: ٦١٣ ..

(٣) انظر: ٦٨٨ .

(٤) ص: ٧١٩-١٢٠ .

السَّاكِنِينَ فِي الْفِظِ، وَالتَّنْوِينَ يُحَرِّكُ لِالتِّقَاءِ السَّاكِنِينَ...»^(١).

ومن العلل الجدلية ما لم أستطع أن أصنّفه تحت واحدة من العلل التي ذكرها النحويون، كما علل به كون الهمزة أولى بالمتكلم عند إسناد الفعل إلى ضميره، فقد قرّر أن الألف أقوى حروف المد واللين، والمتكلم أعنى بنفسه من غيره، فجعل أقوى حروف المد واللين له.

وقد استدل على قوّة الألف بدلائل، قال: «لما كانت الألف أقعد حروف المد واللين بدلائل منها: أنها لا تكون إلا ساكنة، ومنها أن الألف لا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً، ومنها أنها لا تكون أصلاً في اسم معرب، ولا فعل، ومنها بيانها بالهاء في: وازيداه، وهذا جميعه لا يكون في الواو والياء، وكلما قوي شبهها بالحركة قويت في باب المد واللين، والمتكلم أعنى بنفسه فجعلت أقوى حروف المد واللين له، فأبدلت الهمزة منه»^(٢).

ويلحظ أن في هذه العلة اختلافاً ظاهراً، ويمكن أن يعترض عليها من وجهين: الأول: أن الحديث عن الألف، وليس عن الهمزة، ولو قيل: إن الهمزة تخفف، فالجواب: أن حالها مع الواو والياء كحال الألف؛ لأن المفتوحة تخفف فتبدل ألفاً، والمضمومة تخفف فتبدل واواً، والمكسورة تخفف فتبدل ياءً.

الثاني: أن أحرف المضارعة ليست محصورة في أحرف المد واللين، بل ليس فيها منها إلا الياء، فعناية المتكلم بنفسه يجب أن تؤديه إلى اختيار حرف قوي، كالتاء أو النون، وليس الهمزة، التي تقول إلى أن تكون ألفاً.

وأخذ بعد ذكر علة الهمزة يذكر علل باقي حروف المضارعة، على مستوى علة الهمزة في التوغل في التكلف، إلى أن قال: «... وَالْهَاءُ حَيْثُ كَانَتْ تُبَدَّلُ مِنَ الْيَاءِ فِي: هَذِي، فَيَقُولُونَ: هَذِهِ، وَالْهَاءُ قَدْ تَدُلُّ عَلَى ضَمِيرِ الْمَذْكُورِ الْغَائِبِ فِي قَوْلِكَ: ضَرَبْتُهُ، جُعِلَتِ الْيَاءُ هُنَا دَالَةً عَلَى الْمَذْكُورِ الْغَائِبِ، هَذَا مَعَ أَنَّ الْيَاءَ قَدْ تَقَعُ وَصْلاً، كَمَا تَقَعُ الْهَاءُ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِكَ: مِنَ الْيَّامِي، وَأَيَّامِهَا، وَلَمْ أُسَبِّقْ إِلَى هَذَا التَّعْلِيلِ»^(٣).

فيلحظ هنا عنايته بالعلة، لتصريحه بأسبقيته، مع ما في هذه العلة من الضعف، فالياء تقع

(١) ص: ٦٤٣.

(٢) الغرة ٦ أ (كوبريللي).

(٣) الغرة ٦ أ (كوبريللي).

وصلاً، كما تقع الألف والواو كذلك، فليس للياء هنا مزيد تمييز.

ومن علله المتكلفة، قوله مُعللاً اختصاصَ الجرِّ بالأسماء: «وإنما اختصَّ الجرُّ بالاسم، لأنَّ الجرَّ لا يكونُ إلاَّ بحرفٍ جارٍّ، أو بإضافة، ويستحيلُ دخولُ هذينِ القسمينِ على الفعلِ، أمَّا حرفُ الجرِّ فإنما دخلَ ليُوصلَ القاصِرَ مِنَ الأفعالِ إلى الأسماءِ، فوضعه لا يقتضي دخولَهُ على الفعلِ؛ لأنَّهُ يُؤدِّي إلى أن يعملَ فعلٌ في فعلٍ.

والإضافة المقصودُ فيها تخصيصُ الأوَّلِ، أو تعريفُهُ، والفعلُ من ضروريَّتهِ الفاعلُ، وهما جملةٌ، والجملةُ نكرةٌ... فكان ذلك عكسَ المقصود...»^(١).

ومع هذا، فإنه رفض بعض التعليقات والتأويلات المتكلفة، فمن ذلك أنه وصف قول من ذهب إلى تركيب (منذ) بأنه ضربٌ من علم الغيب^(٢).

ومن علله الجدلية، تعليله لمنع البصري مجيء التمييز معرفة، قال: «التَّمييزُ لا يكونُ عندَ البصريِّ إلا نكرةً، ولا يُجيزونَ تعريفَهُ؛ لأنهم أرادوا أن يكونَ المنصوبُ غيرَ المنقولِ دليلاً على الجنسِ، فحيثُ بلغوا مقصودَهُم بالنكرة لم يتعدَّوه إلى المعرفة؛ لأنها ثانية...»^(٣).

ومن خلال هذه الأمثلة، يتضح من تنوعها وشمولها مدى عناية ابن الدهان بالتعليل، وتمكنه من تفكيره، واستصحابه عند كل قضية كلية أو جزئية، سواء أكان ذلك في معرض التقعيد، أو الاعتراض، أو الترجيح والاختيار.

ولا شك أن في هذا المنهج إثراء للبحث النحوي، ففيه تأكيد للقاعدة، ووجهة للرأي، وتخريج للشاهد.

ولا أدل على تلك العناية من تلمُّسه العلل، وعدم وقوفه عند ما ذكر المتقدمون منها، ويزيد تلك العناية وضوحاً تصريحه بأسبقيته إلى هذه العلة أو تلك.

وقد أوصلته هذه العناية إلى شيءٍ من التناقض، فلمَّا كان حريصاً على تتبع العلل، رفض بعضها في موضع، ثم اعتلَّ به في موضع آخر، فقد ردَّ قول الفراء في العامل الرفع في

(١) الغرة ٨ أ (كوبريللي).

(٢) انظر: ٦١٣.

(٣) ص: ٤٧٤-٤٧٥.

المضارع، بأنه التعري من الناصب والجازم، وكان قبلُ قد ذكر عن المبرد أنه جعل العامل في المبتدأ هو التجريد من العوامل اللفظية، وسيأتي ذكرُ هذه المسألة في الفصل القادم إن شاء الله تعالى.

كما نقد تكلف العلل، ورأى أنَّ المبالغة فيها أمر لا يؤيده دليل مقبول، فهو ضرب من علم الغيب، في الوقت الذي ارتضى عللاً بعيدة متكلفة، وأشاد بأسبقيته للوصول إليها.

الفصل الثامن

العوامل النحوية عند ابن الدهان

المبحث الأول: العوامل اللفظية.

المبحث الثاني: العوامل المعنوية.

المبحث الثالث: تقدير العامل.

المبحث الرابع: تعدد المعمولات.

حظيت نظرية العامل بدراسات كثيرة على اختلاف أغراضها، بين التنظير، والتفسير، ثم الرفض، والتبرير، والترشيح... وذلك في فترات زمنية ممتدة، فنشأة النحو لم تحمل في قضية العامل إلا إشارات يسيرة، نالت قبول الباحثين؛ لأنها لم تخرج عن الإطار العام للغة، والمنهج الاستقرائي الوصفي لها.

ثم أخذ العامل - مع التغيرات الفكرية التي طرأت على الفكر العلمي في تلك المراحل - ينحو منحى أخرى تلتزم بالتقعيد والمعيارية، والتعليل المنطقي الفلسفي للأحكام، فكان هذا مأخذاً كبيراً أدى إلى رفض هذه الفكرة جملة وتفصيلاً عند بعضهم، كابن مضاء القرطبي، كما سبقت الإشارة في فصول ماضية، وكثير من الباحثين المعاصرين^(١)، أو إلى رفض جزئي، كالحال عند طائفة أخرى من الباحثين المعاصرين.

وعند استعراض تعريفات العامل عند من عرفه من النحويين، وأصحاب الاصطلاحات، تجد أنه قائم على أثر ومؤثر، فالأثر هو الإعراب، والمؤثر هو لفظ أو معنى في الجملة، يقتضي ذلك الأثر.

فعرفه الدينوري بأنه: «ما أثّر في غيره شيئاً من رفع أو نصب أو جر أو جزم»^(٢)، والجرجاني عرفه بأنه: «ما أوجب كون آخر الكلمة على وجه مخصوص من الإعراب»^(٣). وعرفه ابن الحاجب بأنه: «ما يتقوم به المعنى المقتضي للإعراب»^(٤).

لقد أخذ العامل منطقته من هذه الناحية، إذ كل أثر لا بد له من مؤثر^(٥)، هذا الأصل

(١) مثل إبراهيم مصطفى، ود. مهدي المخزومي، ود. شوقي ضيف، ود. تمام حسان، وغيرهم. انظر: إحياء النحو ٢٢-٤٢، ومقدمة الرد على النحاة ٤٧-٥٥، وفي النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث ٢٢٨-٢٣٠، واللغة العربية معناها ومبناها ١٨٩، ومناهج البحث في اللغة ٢٤١، واللغة بين المعيارية والوصفية ٥٣، والعامل النحوي بين مؤيديه ومعارضيه.

(٢) ثمار الصناعة ٢٤١.

(٣) التعريفات ١٨٩.

(٤) شرح الكافية ٦٤/١/١. وهذا التعريف يتضمن معنى فلسفياً وكلامياً، فالتقوم مفاده أن الكائن منشطر إلى حقيقتين: عرض وجوهر، فالأعراض صفات غير ثابتة ترتبط بالجوهر، فإذا أريد التعبير عن حالة ارتباط الأعراض بالجوهر قيل إنها قائمة به... انظر: نظرية العامل في النحو العربي ٩٩.

(٥) استعرض د. علي أبو المكارم عدداً من تعريفات العامل، ثم توصل إلى نتيجة مفادها: أن هذه التعريفات تقوم

المنطقي، أدّى النحويين إلى أن يطردوا هذه القاعدة، وأن يلتزموا بمقتضاياتها الأخرى، ككون الأثر لا يكون من مؤثرين، فلا بد لكل أثر من مؤثر واحد؛ لأن اجتماع المؤثرين أو العلتين على محل واحد محال^(١)، فأدّى إلى التكلف الظاهر، كما في بابي التنازع والاشتغال. يقول د. أحمد الجوّاري: من أمثلة مشكلات العامل أنهم «يولدون من القاعدة العامة في العوامل قواعد كلها عجب يجافي الطبع، ويخالف طبيعة الكلام، ومن ذلك كلامهم في تنازع عاملين على معمول واحد، إنهم لا يتحمّلون أن يكون المعمول إلّا خاضعاً لتأثير أحدهما، أمّا الآخر فلا بد له من معمول آخر ... وفي فروع هذه المسألة ما يكد فيه الذهن ويجهد فيه الفكر بلا طائل، ولا سيما حين يتنازع العاملان في معمول واحد، فيطلبه كل منهما على جهة غير الجهة التي يطلبه بها العامل الآخر...»^(٢).

وهذا التكلف الذي أخذه بعض النحويين على العامل، لا يمكن أن يطرد على جميع قواعد العمل، بل إنّ العمل حقيقة لا يمكن إنكارها، وإن اختلفت اصطلاحاتهم في وصفها، فبين أجزاء الجملة من الارتباط والتعلق ما يكون بعضها مقتضياً لبعض، وعلامة الإعراب أمانة لمضامّة ما، وقعت بين أجزاء الجملة، فجاء به ليؤدي الدلالة المرادة من تلك المضامّة^(٣).

ففكرة العمل بهذا المعنى لا يتطرق إليها الاعتراض، إلا من آراء شاذة، كرأي قطرب الذي أنكر الصلة بين حركات الإعراب والمعاني^(٤)، ولذا يقول د. الجوّاري: إنّ كلام النحاة عن العامل ليس لغواً كله، وأكّد أن معنى العمل في النحو هو الذي ينبغي أن يعنى به؛ لأنه ليس ثمّ إلا العلاقة المعنوية التي تكون بين أجزاء الكلام حين يؤلّف وتُركب أجزاؤه...^(٥). ويؤكد هذا القبول د. حسام قاسم حين يقرر أن «ارتباط ظاهرة لغوية بظاهرة لغوية أخرى

على المسلمات الذهنية، ولا ترتكز على قاعدة لغوية، بل على نظر عقلي منطقي. انظر: الحذف والتقدير في النحو العربي ٢٤.

(١) انظر: إحياء النحو ٣١، والأثر الفلسفي في التفسير ١٩٢.

(٢) نحو التيسير ٤٣-٤٤.

(٣) انظر: الخصائص ١٠٩/١-١١٠، والأسس المنهجية للنحو العربي ٥٨.

(٤) انظر: الإيضاح في علل النحو ٧٠. وقد احتفى بهذا الرأي د. إبراهيم أنيس في كتابه: من أسرار اللغة ٢٣٧.

(٥) انظر: نحو التيسير ٤٧-٤٨.

وجوداً وعدمًا، وتسمية هذا التعلق بالعمل، لا يفقد - في حد ذاته - الفكرة أساسها الاستقرائي»^(١).

كما أن من الباحثين المعاصرين مَنْ أكَّد أهمية نظرية العامل، ووجاهتها اللغوية، وربطها بالنظريات الحديثة، يقول د. محمد صاري: «وخلافًا لما يدَّعيه دُعاة الإصلاح والتجديد، فإنَّ صعوبة العامل النحوي، قضية مُزيَّفة لا أساس لها من الصحة، ونظرية النحاة الأوائل تتميز بال موضوعية والشمولية والتماسك والاقتصاد، وفكرة العامل ليست مما يغضُّ من شأن النحاة الأوائل، بل هي مما يعلي شأنهم، ويُكبر تفكيرهم ... وقد لا نكون مبالغين إذا قلنا إن اللسانيات الغربية لو انتبه أصحابها إلى نظام العامل في النظرية النحوية العربية القديمة، لكانت اللسانيات العامة على غير ما هي عليه، بل لعلها كانت تكون قد أدركت ما لا تدركه إلاَّ بعدَ أمدٍ»^(٢).

ويؤكد د. عبده الراجحي أنَّ فكرة العمل حاضرة عند التحويلين في العصر الحديث، ويذكر جملاً يحدد فيها كلمات هي العامل الذي يؤثر في نظم الكلام حتى يؤدي دلالة معينة - حسب نظريتهم -، ويضيف أنَّ عبارة: in the scope of «ليست بعيدة عن التعبيرات التي جاءت في النحو العربي عند الحديث عن العامل»^(٣).

ويمكن القول: إنَّ رفض العمل في القديم والحديث كان بسبب ادِّعاء العمل الحسي لبعض الألفاظ، وما يقتضيه ذلك من التكلف، كقول الرضي: «اجتماعُ المؤثرين التامين على أثر واحد مدلولٌ على فساده في علم الأصول، وهم يجرون عوامل النحو كالمؤثرات الحقيقية»^(٤).

كما أنَّ قبول فكرة العمل يعود إلى ربطه بالمعنى، أو الوظيفة النحوية.

الآراء في طبيعة العامل:

حاول بعض الباحثين من خلال تتبع تفسيرات العامل عند المتقدمين، أن يصل إلى حصر لتلك الآراء، فحصرها د. أحمد الجواري في رأيين رئيسيين، وثالث جاء بعد ذلك.

(١) الأسس المنهجية للنحو العربي ٥٨.

(٢) المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة. مجلة اللسانيات ٢٥، وانظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية ٢٣.

(٣) النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج ١٤٨.

(٤) شرح الكافية ٢٢٩/١/١.

فالرأي الأول: أن أجزاء الكلام يعمل بعضها في بعض، ويؤثر أحدها في الآخر.
والثاني: أن أحوال الإعراب، وما يطرأ على الأواخر من تغيير هو من عمل المتكلم نفسه، وهو رأي ابن جني.

أما الرأي الثالث: فهو رأي ابن مضاء الذي يرى أن العامل هو الله سبحانه^(١).
والحقيقة أن الرأي الثاني داخل في الأول، فإن ابن جني مؤمن بفكرة العامل كإيمان النحويين بها، وأما نسبة العمل للمتكلم فلا تعدو أن تكون تفسيراً عقلياً توصل به إلى توضيح فكرته، فهو قد سلب اللفظ التأثير بذاته، وجعله للمعنى، والمتكلم من خلال ما يوجهه المعنى ينطق بحركات الإعراب، يقول: «...» ومثله اعتبارك باب الفاعل والمفعول به بأن تقول: رَفَعْتُ هذا لَأَنَّهُ فاعِلٌ، وَنَصَبْتُ هذا لَأَنَّهُ مفعولٌ، فهذا اعتبارٌ معنويٌّ لا لفظيٌّ، ولأجله ما كانت العوامل اللفظية راجعةً في الحقيقة إلى أنها معنويةٌ، ألا تراك إذا قلت: ضَرَبَ سَعِيدٌ جَعْفَرًا، فَإِنْ (ضَرَبَ) لم تعمل في الحقيقة شيئاً، وهل تحصل من قولك (ضَرَبَ) إلا على اللفظ بالضاد والراء والباء على صورة فعل؟ فهذا هو الصوت، والصوت مما لا يجوز أن يكون منسوباً إليه الفعل.

وإنما قال النحويون عاملٌ لفظيٌّ وعاملٌ معنويٌّ؛ ليرُوك أن بعض العمل يأتي مسبباً عن لفظ يصحبه، كمررت بزيد... وبعضه يأتي عارياً من مصاحبة لفظ يتعلّق به، كرفع المبتدأ بالابتداء... هذا ظاهر الأمر، وعليه صفحة القول، فأما في الحقيقة ومحصل الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجرّ والجزم إنما هو للمتكلّم نفسه، لا لشيء غيره، وإنما قالوا: لفظيٌّ ومعنويٌّ لما ظهرت آثارُ فعل المتكلم. مُضَامَّةُ اللفظ للفظ، أو باشتمال المعنى على اللفظ^(٢).

وقد ربط بعض الباحثين بين رأي ابن جني في العامل ومذهبه في الاعتزال، فجعل نسبة العمل النحوي للمتكلم أثراً لا اعتقاد خلق أفعال العباد^(٣)، والذي يظهر لي أن لا علاقة بينهما، فإن مذهب في العامل هو ما يؤول إليه رأي النحويين فيه^(٤).

أمّا د. مصطفى بن حمزة فقد خرج بنتيجة أكثر دقة، من استقصاء تفسيرات النحويين،

(١) انظر: نحو التيسير ٣٩-٤١.

(٢) الخصائص ١٠٩/١-١١٠.

(٣) انظر: نحو التيسير ٤٠، وابن جني النحوي ٢٠٤.

(٤) انظر: ابن جني النحوي ٢٠٤.

وإن كان تأثيره بالتقسيم السابق ليس خافياً، وذلك لما حصر آراء النحويين في طبيعة العامل، وجعلها ترجع إلى ثلاثة أيضاً:

الأول: «أنَّ العامل مُفَضٌّ إلى ما بعده إفضاءً سببياً عقلياً، وأنَّ العلاقة بينهما علاقةٌ عليَّة»^(١)، فهو مؤثِّرٌ في معموله تأثيراً حسياً.

الثاني: أن العامل عبارة عن علامة ترشد إلى علامة إعرابية معينة، فهو «أداة توسَّلَ بها المتكلم إلى إحداث الخلاف الإعرابي، الذي يصنف الكلمة داخل باب إعرابي خاص»^(٢).

الثالث: أنَّ العامل والمعمول هو العلاقة التركيبية التي «تقضي بأن يكون المعمول حركة معينة يوحي بها التركيب المخصوص... وحين تحتل الكلمة موقعها الطبيعي الذي يحدده نظام الجملة، ينشأ عن ذلك مصاحبة حركة إعرابية هي دليل الانسجام والتوافق»^(٣).

وقد ذكر أمثلة لكل رأي، وحلل هذه الأمثلة تحليلاً يعضد نتيجته هذه، إلا أنَّ المتأمل يجد بين الرأيين الثاني والثالث اشتباهاً في الانفكاك من قيد التشبيه بالعمل الحسي المادي، والاتِّكاء على التركيب والدلالة.

ولكن ثمتَ أمر في غاية الأهمية، وهو أنَّ هذه الآراء لا يمكن أن تعد مذاهب، بحيث كل واحد منها يختص به نحويٌّ أو أكثر، وإنما هي تفسيرات مستوحاة من تحليل بعض النحويين في باب معين، أو مسألة معينة، ولا يعني هذا أنَّ ذلك التفسير مطرد عند صاحبه في كل باب، فتجد أنَّ القائل بلزوم اعتقاد الأثر الحسي للعامل هو نفسه قد فسَّرَ العامل في موضع آخر بأنه العلاقة التركيبية.

ويمكن أن أذكر مثلاً مفصلاً على هذا، وهو موضوع الدراسة؛ ابن الدهان، فهو من أصحاب الرأي الأول، حيث نسب إلى العامل التأثير، وتعرض لما يعترض اتِّساق قواعده وسلامتها، وحاكم مسأله محاكمة الموقن بفكرة العمل المادي، بل إنه مثَّلَ للعمل النحوي بأمثلة حسية، من باب التقريب، فمن ذلك ما ساقه ردّاً على من اعترض قول من قال إنَّ الابتداءَ عمل في المبتدأ، وإنَّ الابتداءَ والمبتدأَ عملاً في الخبر، قال: «فإن قيلَ على هذا: كيف

(١) نظرية العامل في النحو العربي دراسة تأصيلية وتركيبية ١١١.

(٢) نظرية العامل في النحو العربي ١١٦.

(٣) نظرية العامل في النحو العربي ١١٩-١٢٠.

يَعْمَلُ عَامِلَانِ فِي مَعْمُولٍ وَاحِدٍ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّ الْإِبْتِدَاءَ لَمَّا كَانَ لَا يَظْهَرُ صَارَ الْحُكْمُ لِلْمُبْتَدَأِ، وَلِأَنَّ الْإِبْتِدَاءَ مُلَازِمٌ لِلْمُبْتَدَأِ غَيْرُ مُفَارِقٍ لَهُ، فَكَأَنَّهُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ، فَكَانَ الْمُبْتَدَأُ فِي التَّمْثِيلِ بِمَثَلَةِ الْقَدْرِ، وَالْإِبْتِدَاءُ بِمَثَلَةِ النَّارِ، وَالْخَبَرُ بِمَثَلَةِ مَا فِي الْقَدْرِ، فَالْمُبْتَدَأُ وَاسْطَةُ بَيْنَهُمَا^(١).

ومن الأمثلة الأخرى على اعتقاده فكرة العمل المادي:

١- أنه منع من بعض الصور والتوجيهات لئلا يعمل عاملان في معمول واحد^(٢)، قال

في قول الشاعر:

قالت أمانة لا تجزع فقلت لها إن العزاء وإن الصبر قد نفدا

«(إن) الثانية مكررة تأكيداً؛ كيلا يعمل عاملان في معمول واحد»^(٣).

٢- حكم بفساد العطف على عاملين، ودليله على فساده «أن الفعل ليس له أن يعمل عمله وعمل غيره، فكيف يفعل الحرف ذلك؟»^(٤).

٣- حكم بقوة عامل وضعف آخر^(٥)، قال: «العامل على ضربين، قوي وضعيف، فالقوي ما كان أصلاً في بابه، لم يتطرق عليه نقيصة، كالفعل العاري من الجمود، وهو المتصرف...»^(٦).

٤- عدم العامل سبب لطرح الوجه، ففي قول الشاعر:

وأكفيه ما يجني وأعطيه سؤله وألحقه بالقوم حتاه لاحق

دخلت (حتى) على المضمرة المتصلة في ظاهر الأمر، فنفي ذلك ابن الدهان بأن الضمير ليس متصلاً، وإنما هو منفصل، ولو كان متصلاً مجزواً ل بقي (لاحق) بلا عامل للرفع^(٧)، والتقدير: حتى هو لاحق، فتكون (حتى) ابتدائية دخلت على الجملة.

وفي الوقت نفسه تجده يقرر في معرض حديثه عن الابتداء -عاملاً في المبتدأ- أن

(١) الغرة ٢٦ ب - ٢٧ أ (كوبريللي).

(٢) انظر على سبيل المثال: ص: ٢٧٠، والموضع التالي.

(٣) ص: ٢١٤.

(٤) الغرة ٥٥ أ (كوبريللي).

(٥) انظر: ٢٧٠، ٤٦١. والموضع التالي.

(٦) ص: ٤٥٣.

(٧) انظر: ٦٢٤-٦٢٥.

التركيب هو العامل حقيقة، فيقرر أولاً: أنَّ العامل المؤثر تأثيراً حقيقياً، هو الفعل الذي له أثر علاجي، نحو: ضربتُ زيداً، وأما غير ذلك فالذي يعمل المعنى تشبيهاً بالفعل المؤثر، كما تقول: ذكرتُ زيداً... فالتركيب هو الذي جعل له ذلك الإعراب المخصوص، فكذلك المبتدأ، تعريته عن العوامل الأخرى هي التي أوجبت له الرفع، قال: «جميع المعاني التي ليست مؤثرة إنما تعمل تشبيهاً بالفعل المؤثر، ألا ترى أنَّ قولك: ذكرتُ زيداً، ليس بمؤثر في زيد حالاً، ألا ترى أنَّك تقول: هذا، وهو بخرسان وأنت ببلد آخر، والمؤثر [فعلتُ]»^(١) الذي هو علاج وإيجاد أمر لم يكن، وما لم يكن علاجياً فهو تشبيه لفظي، فإذا انفرد هذا صار بهذه الصيغة فيه إعراب، فكذلك من هذا الوجه أيضاً يحدث في الاسم الذي يكون على الصفة التي قدمنا، ضرب من التركيب مخالف لما فيه (إن) أو (كان) أو (مررت)، فالذي حصل له ضرباً من الإعراب بضرب من الصيغة هو معنى وليس بلفظ قبله... لكن الإعراب بضرب من الصيغة وصورة من التركيب»^(٢).

كما أكد أيضاً كون التركيب هو العامل، لما قرر أنَّ العامل في الفاعل إسناد الفعل إليه، وكون الفعل حديثاً عنه، قال: «فالعامل المعنى، وهو إسناد الفعل الذي صار به فاعلاً للفظ، فإنَّ الألفاظ دلائل على المعاني، والترتيب في النفس هو الذي عمل لا اللفظ، ولكنَّ اللفظ علامة له»^(٣).

المبحث الأول: العوامل اللفظية:

ظهر من البحث السابق أنَّ العامل إنما هو المعنى، فالمقصود بالعامل اللفظي: القرينة اللفظية التي تدل على المعنى العامل، ويمكن أن يُوقف على فكر ابن الدهان نحو العوامل اللفظية من خلال مسائل:

١- أنَّ العامل اللفظي أقوى من العامل المعنوي:

يقر ابن الدهان - كغيره من النحويين - أنَّ العامل اللفظي أقوى من العامل المعنوي، فلما عرض الأقوال في رافع المبتدأ والخبر قال: «وَقَالَ بَعْضُهُم: الْإِبْتِدَاءُ عَامِلٌ فِيهِمَا مَعاً، حَمَلًا

(١) كلمة غير واضحة، وعليها تصحيح بخط مغاير، والذي أثبت اجتهاد مني.

(٢) الغرة ٢٤ ب (كوبريللي).

(٣) الغرة ٣٨ ب (كوبريللي).

عَلَى سَائِرِ الْعَوَامِلِ الدَّاحِلَةِ عَلَى الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ، نَحْوُ: (كَانَ) وَ(ظَنَنْتُ) وَهَذَا فَاسِدٌ؛ لِأَنَّ الْإِبْتِدَاءَ مَعْنَوِيٌّ، فَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْقُوَّةِ أَنْ يَعْمَلَ فِي شَيْئَيْنِ، كَمَا عَمِلَ الْعَامِلُ اللَّفْظِيُّ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَنْقُصَ عَنْ رُتْبَتِهِ»^(١).

٢- تفاوت العوامل اللفظية في القوة:

وذلك التفاوت ناتج عن أحد أمرين؛ إمَّا عن ذات العامل، وإمَّا عن موقعه. فالعامل قد يكون ضعيفاً في نفسه، كضعف (لا) و(لات) و(إن) في النفي؛ لأنها عملت حملاً على غيرها، فقد قسم ابن الدهان النفي إلى مراتب، جعل (ليس) في المرتبة الأولى؛ لأنها فعلٌ، فهي تعمل في المعرفة والنكرة، ويتقدم خبرها على اسمها... ثم جعل (لا) تالية لها في المرتبة الثانية؛ لأنها لا تعمل إلا في النكرة؛ لأنها لا تكون لنفي الحال، فبعدت عن (ليس)... ثم جعل (لات) في المرتبة الثالثة؛ لأنها لا تعمل إلا في الحين، ولا يظهر معمولها معها، أما المرتبة الأخيرة فهي لـ(إن)، فالحققون لا يعملونها؛ لأنها لا تختص للنفي^(٢).

كما وصف (إن) وأخواتها بالضعف، موازنةً بالفعل، قال: «واعلم أنَّه قد تدخلُ (ما) على هذه الأحرف فتكفُّها عن العمل، وإذا كانت (ما) كافةً لـ(قل) -وهي فعلٌ- عن العمل، فما رأيك بهذه الضعائف»^(٣).

أما الضعف الناتج عن موقع العامل في الجملة، فإنه إذا تقدم المفعول به جاز أن يعدى الفعل إليه باللام، ولا يجوز ذلك إذا تقدم الفعل، وذلك لأنَّ الفعل إذا كان في مكانه الأصلي، فهو قويٌّ لا يحتاج إلى مقوٍّ، بخلاف ما إذا كان متأخراً، فيجوز أن تدخل عليه اللام المعدية تقويةً له.

ولما بحث ابن الدهان تقدُّم الحال، وعاملها ظرف، نحو: قائماً فيها رجلٌ، ذكر رأي سيبويه بمنع ذلك؛ لأنه ليس بفعل، ثم عضده بهذه المسألة، قال: «ويشيدُ قولُ سيبويه: أنَّ العاملَ القويَّ إذا تقدَّم معمولُهُ عليه ضَعُفَتْ عُلُقَتُهُ فَتَعَدَّى لِذَلِكَ بِحَرْفِ الْجَرِّ، نَحْوُ قَوْلِكَ: لَزِيدٍ ضَرَبْتُ، وَلَا يُجِيزُونَ: ضَرَبْتُ لَزِيدٍ»^(٤).

(١) الغرة ٢٧ أ (كويريللي).

(٢) انظر: ٢٦٧-٢٦٨.

(٣) ص: ٢٥٠.

(٤) ص: ٤٦٢، وقرر هذا أيضاً في ص: ٣٢٢.

٣- الأصل في العمل الأفعال.

بنى على هذا الأصل كثيراً، وصرح به في قوله: «وَأَصْلُ الْعَمَلِ لِلْفِعْلِ، إِذْ لَا يَنْفَكُ عَنْهُ»^(١).

ومن إيمانه بهذا الأصل، تعليل عمل الحرف بشبهه للفعل، قال: «(إِنْ) وأخواتها إنما عملنَ لمشاكلة الفعل، ومعاقبة المضمرِ عليه، الذي به أشبه الفعل»^(٢).

٤- لا يعمل إلا الحرف المختص.

لما تحدث عن حروف الجر، علل عملها بقوله: «إِنَّمَا اسْتَحَقَّتْ هَذِهِ الْحُرُوفُ الَّتِي لِلْجَرِّ الْعَمَلُ؛ لِأَنَّهَا مَخْتَصَّةٌ، وَكُلُّ مَخْتَصٍّ مُؤَثَّرٌ»^(٣)، وقال معللاً عمل (إِنْ) وأخواتها: «وإنما عملت لأنها مختصة، ولكل مختصٍّ تأثيرٌ»^(٤).

وقد خرج عن هذا الأصل بعض الحروف، فأخذ ابن الدهان يوجه هذا الخروج. فمن ذلك الألف واللام، فإنها مختصة بالاسم، ومع ذلك فهي غير عاملة، فأرجع ذلك إلى أنها نزلت منزلة الجزء من الاسم، والجزء لا يعمل في جزئه الآخر^(٥).

وبهذه العلة أيضاً علل إهمال السين وسوف، فهما مختصان بالفعل، ولم يعملوا فيه^(٦). وبنى على هذا الأصل أيضاً في ردّه على قول من قال إنَّ المستثنى منصوب بـ(إِلَّا)^(٧).

٥- لا يعمل الاسم إلا إذا أشبه الفعل أو الحرف.

رد بهذا الأصل على من زعم أنَّ الابتداء عاملٌ في المبتدأ، والمبتدأ عاملٌ في الخبر، كما عملت (إِنْ) الشرطية بالشرط، والشرط عمل في الجزاء عند قوم، فقال: «وهذا يُفسدُه أنَّ الاسم لا يعمل إلا بشبه الفعل أو شبه الحرف، وهو هنا غير موجود»^(٨).

٦- قوّة العامل تجيز تقدم المعمول.

(١) ص: ٤٥٣.

(٢) ص: ٢٥٢.

(٣) ص: ٥٥٦.

(٤) ص: ١٩١.

(٥) انظر: ١٩١، ٥٥٦.

(٦) انظر: ١٩١.

(٧) انظر: ٤٩٩.

(٨) الغرة ٢٧ أ (كوبريللي).

بنى على هذا في مسائل، منها: أنَّ الفعل المتصرف يجوز أن يتقدم مفعوله عليه، بل إن تقدم المفعول دليلٌ لكون الفعل متصرفاً، قال في معرض تعداده لشروط الحكم على كلمة بأنها فاعلٌ نحويًا: «الثانية: أن يكون الفعل مُقَدِّمًا، وإنما قلنا ذلك؛ لأنه عاملٌ، ورُتبة العامل أن يتقدم المفعول، وإنما قُدِّمَ المفعول وهو مَعْمُولٌ لِيَتَبَيَّنَ الفعل المتصرف من غيره»^(١).

وكذا الحال، يجوز أن يتقدم على عامله المتصرف عليه عند البصريين، قال: «فإذا كان صاحبُ الحال مُظْهِراً والفاعلُ فيه هذا الفعلُ المتصرفُ، فالْبَصْرِيُّ يُجِيزُ تَقْدِيمَ الحالِ عَلَيْهِ، كَقَوْلِكَ: رَاكِبًا جَاءَ زَيْدٌ... وَمَذْهَبُ الْبَصْرِيِّ هُوَ الصَّحِيحُ»^(٢).

أما الفعل غير المتصرف فلا يجوز أن يتقدم مفعوله عليه، قال: «وَإِذَا أَفْسَدُوا أَنْ يَتَقَدَّمَ مَعْمُولُ الْفِعْلِ غَيْرِ الْمُتَصَرِّفِ فَمَا ظَنُّكَ بِالْمَعْنَى؟»^(٣).

كما دَلَّ على ضعف (لا) ونقص مرتبتها بالنفي، بأنَّ من شروط عملها عمل (ليس) ألاَّ يفصل بينها وبين معمولها^(٤).

٧- ليس للعامل أن يعمل فيما لم يدلَّ عليه.

بنى على هذا لما ردَّ قول من قال: إِنَّ ناصب المفعول معه هو الفعل المتقدم بغير وساطة الواو^(٥).

٨- الجملة لا يتقدم معمولها عليها.

٩- لا يفصل بين الجزأين العاملين بالمعمول.

بنى على هاتين المسألتين في رده قول الفراء في عامل النصب في المفعول به، فالفراء يزعم أنَّ ناصب المفعول به هو الفعل والفاعل جميعاً؛ لأنَّ حاجتهما إلى المفعول به داعية، ونظر ابن الدهان لقوله بقول بعض البصريين في عمل أداة الشرط بالفعل والجواب، ثم رده بقوله: «وهذا يفسدُ عليه بَأَنَّهُ يَصَحُّ أَنْ يَتَقَدَّمَ الْمَنْصُوبُ عَلَى الْفِعْلِ، فَتَقُولُ: زَيْدًا ضَرَبَ عَمْرُو، وَيُفْصَلُ بَيْنَهُمَا، فَتَقُولُ: ضَرَبَ زَيْدًا عَمْرُو، وَلَوْ كَانَا جَمِيعًا الْعَامِلِينَ فِي

(١) الغرة ٣٨ أ (كوبريللي).

(٢) ص: ٤٥٣.

(٣) ص: ٤٦٠.

(٤) انظر: ٢٦٨.

(٥) انظر: ٤٣٢.

(زيد) لم يصحَّ أن يتقدَّم عليهما؛ لأنهما جملة، والجملة لا يتقدَّم معمولها عليها، ولا يُفصلُ بين الجزأين العاملين بالمعمول^(١).

١٠ - المعنى يحدد العامل.

هذه الفكرة تتضح من خلال النظر في تحليل ابن الدهان للنصوص، وأمثلة هذا كثيرة، فمنها أنه لما قرَّرَ وجوب اتحاد الظرف وعامله في الوقت، بحث قوله تعالى: ﴿D C B﴾^(٢)، اختار أن يكون العامل في (إذ) (أكبر)، لأنه «لا يصحُّ أن يكون العامل فيه (مَقْتُ الله) وإن كان المعنى صحيحاً؛ لأن الإعراب يمنع منه لأجل الفصل^(٣)، ولا (مَقْتُكُمْ)؛ لأن المعنى يُفسدُه؛ لأنَّ مَقَّتَهُمْ أَنفُسَهُمْ كان في الآخرة، ودعاهم إلى الإيمان كان في الدنيا»^(٤).

المبحث الثاني: العوامل المعنوية:

لا يلجأ النحويون إلى ادعاء العامل المعنوي إلا عند عدم العامل اللفظي، وذلك لأنهم يفترضون ضعف العامل المعنوي، ولذا فالعوامل المعنوية قليلة جداً نسبةً إلى العوامل اللفظية، وكأنها كانت مخرجاً للنحويين إذا أعوزهم العامل.

وقد سار ابن الدهان على طريقتهم، ويمكن أن يتضح ذلك من خلال الوقوف على حديثه عن العوامل المعنوية.

وقبل أن أستعرض بحثه للعوامل المعنوية أحبُّ أن أشير إلى مسألة اصطلاحية، وهي تعبيره بالعامل المعنوي في إرادة العامل اللفظي المقدر، وذلك أنه لما بحث تقدم الحال على صاحبها، في نحو: زيد قائماً في الدار، بيَّن الأقوال في ذلك، فمما قال: «... وفي هذه المسألة ثلاث مراتب: مرتبة لا شكَّ في جوازها، وهي قولك: زيد في الدار قائماً، فـ(قائم) حال من الضمير المستكن في الظرف، والعامل الظرف. ومرتبة فيها خلاف بين سيوييه والأخفش، وهي: زيد قائماً في الدار، فسيوييه يمنع منها، والأخفش والكسائي والفراء يجوزونها،

(١) ص: ٣١٨.

(٢) غافر: ١٠.

(٣) الفصل بين المصدر (مقت الله)، ومعموله، وهو (إذ) بالخبر وهو (أكبر).

(٤) ص: ٣٩٦-٣٩٧.

وَاسْتَدَلَّ سَبِيوِيهِ بِمَا سَبَقَ أَنَّهُ مَعْنَى فَلَا يَقْوَى قُوَّةَ الْعَامِلِ الْقَوِيَّ فِي تَقَدُّمِ مَعْمُولِهِ عَلَيْهِ، وَإِذَا أَفْسَدُوا أَنْ يَتَقَدَّمَ مَعْمُولُ الْفِعْلِ غَيْرِ الْمُتَصَرِّفِ فَمَا ظَنُّكَ بِالْمَعْنَى^(١)، فَهُوَ يَرِيدُ الْاسْتِقْرَارَ الْحَذُوفَ، وَلِذَا قَالَ: «وَالْعَامِلُ الظَّرْفُ» وَذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْإِتْسَاعِ، وَإِلَّا فَالْعَامِلُ هُوَ الْاسْتِقْرَارُ الَّذِي تَعْلُقُ بِهِ الظَّرْفُ.

وَيُوَاصِلُ حَدِيثَهُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، فَيُخَلِّصُ إِلَى أَنَّ الْمَعْمُولَاتِ ثَلَاثَ مَرَاتِبٍ، مَعْمُولٌ قَوِيٌّ فِي الْغَايَةِ، وَهُوَ الْمَفْعُولُ بِهِ وَالْمَصْدَرُ، وَمَعْمُولٌ ضَعِيفٌ فِي الْغَايَةِ، وَهُوَ الظَّرْفُ، وَالثَّلَاثَةُ مَرْتَبَةٌ الْحَالِ، الَّتِي عَبَّرَ عَنْهَا بِقَوْلِهِ: «وَمَعْمُولٌ يَكُونُ لَهُ مَرْتَبَةٌ بَيْنَ مَرْتَبَتَيْهِمَا، يَعْمَلُ فِيهِ الْفِعْلُ وَالْمَعْنَى، لَكِنْ يَعْمَلُ فِيهِ الْمَعْنَى مُقَدِّمًا عَلَيْهِ، فَلَوْ تَقَدَّمَ عَلَى الْعَامِلِ الْمَعْنَوِيِّ لَصَارَ الْمَعْمُولُ الْمُتَوَسِّطُ ضَعِيفًا»^(٢)، فَالْعَامِلُ الْمَعْنَوِيُّ هُوَ الْاسْتِقْرَارُ الْمَقْدَرُ.

وَأَمَّا الْعَوَامِلُ الْمَعْنَوِيَّةُ الَّتِي بَحَثْنَا فِيهَا فَهِيَ:

١ - الْإِبْتِدَاءُ:

فَسَّرَ ابْنُ الدِّهَانَ الْإِبْتِدَاءَ بِأَنَّهُ مَجْمُوعٌ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: التَّعْرِي وَالْتَّهِيَّةُ وَالْإِسْنَادُ. قَالَ: «...» وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَجْعَلُوا: التَّعْرِيَّ وَالتَّهِيَّةَ وَالْإِسْنَادَ مَجْمُوعًا عَامِلًا، فَسَمَّوْا مَجْمُوعَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ إِبْتِدَاءً، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا مَعْدُوقٌ^(٣) بِالْآخِرِ، لَا يَصِحُّ انفِصَالُهُ عَنْهُ، فَلَا تَهَيُّؤَ إِلَّا بِتَعَرُّ، وَلَا يُوجَدَانِ إِلَّا بِالْإِسْنَادِ^(٤).

وَقَدْ قَرَّرَ ضَعْفَ الْإِبْتِدَاءِ، فَلَمَّا عَرَضَ الْأَقْوَالُ فِي الْعَامِلِ فِي الْخَبَرِ، أَوْرَدَ قَوْلَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْإِبْتِدَاءَ عَامِلٌ فِي الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ مَعًا، ثُمَّ رَدَّهُ بِـ«أَنَّ الْإِبْتِدَاءَ مَعْنَوِيٌّ، فَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْقُوَّةِ أَنْ يَعْمَلَ فِي شَيْئَيْنِ، كَمَا عَمَلَ الْعَامِلُ اللَّفْظِيُّ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَنْقُصَ عَنْ رُتْبَتِهِ»^(٥).

وَقَادَهُ نَظَرُهُ الدَّقِيقُ، وَرُؤْيَا فَاحِصَةِ الْمُسْتَقْصِيَّةِ، إِلَى بَيَانِ تَمِيزِ الْإِبْتِدَاءِ عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْعَوَامِلِ، فَتَفَرَّدَ بِقَوْلٍ لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهِ عَلَى حَدِّ زَعْمِهِ، إِذْ يَقُولُ: «وَأَنْفَرَدْتُ فِي هَذَا بِشَيْءٍ لَمْ أُسَبِّقْ إِلَيْهِ، وَهُوَ أَنَّ الْإِبْتِدَاءَ لَيْسَ بِعَامِلٍ كَالْعَوَامِلِ، لِأَنَّ الْعَامِلَ مَعَ الْمَعْمُولِ إِذَا سُمِّيَ بِمَا

(١) ص: ٤٥٩.

(٢) ص: ٤٦١.

(٣) أي مربوط. انظر: أساس البلاغة ١٠٥/٢ (عذق).

(٤) الغرة ٢٣ ب - ٢٤ أ (كوبريللي). ومثل هذا أيضاً في شرح الدروس ١٣٩ باختصار.

(٥) الغرة ٢٧ أ (كوبريللي).

حُكِيَا، وَأَجْمَعْنَا أَنَّنَا لَوْ سَمَّيْنَا بِـ(زَيْدٍ) مِنْ قَوْلِكَ: (زَيْدٌ قَائِمٌ) لَمْ نَحْكُ، فَتَرَلَا مَترَلَةَ الْعَامِلِ وَحَدَهُ، فَأَمَّا مَنْ يَقُولُ: إِنَّ مِنْ جُمْلَةٍ وَصَفِ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يَوْجَدْ فِي مَسْأَلَتِكَ، فَلَا يَرُدُّ عَلَيْهِ هَذَا^(١).

هذا، وهو قد قرَّرَ قبلُ أنَّ مِنْ جُمْلَةٍ وَصَفِ الْإِسْنَادِ، وَقَدْ نَقَلْتَهُ قَرِيبًا.
٢- وَقُوعُ الْفَعْلِ مَوْقِعَ الْأِسْمِ:

هذا عامل الرفع للفعل المضارع المجرد من الناصب والجازم، في اختيار ابن الدهان، وهو قول سيبويه، فقد ذكر عددًا من الأقوال، صَدَّرَهَا بِهِ، فَقَالَ: «اعْلَمْ أَنَّ فِي رَفْعِ هَذَا الْقِسْمِ مِنَ الْأَفْعَالِ أَقْوَالًا، مِنْهَا قَوْلُ سَيَبَوِيهِ، وَهُوَ وَقُوعُهُ مَوْقِعَ الْأِسْمِ، وَالْوُقُوعُ مَعْنَوِيٌّ، فَشَابَهُ الْإِبْتِدَاءُ، فَعَمِلَ فِيهِ الرِّفْعُ، وَلِهَذَا جَعَلَ فِعْلَ الْحَالِ أَشْبَهَ شَيْءٍ بِالْأَسْمَاءِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْمَلُ فِيهِ عَامِلٌ لَفْظِيٌّ»^(٢).

ثم سرد الأقوال الأخرى، وأردف كل قول بما يُفسده، ومن ذلك قول الفراء، وهو أنه ارتفع بالتعري من العوامل الناصبة والجازمة، قال: «وهذا يُفسدُهُ أَنَّ التَّعْرِيَّ عَدَمٌ، وَالْعَدَمُ لَا يَكُونُ عَامِلًا»^(٣).

وقد ارتضى هذه العلة في موضع سابق، ففي معرض سرده أقوال العلماء في العامل في المبتدأ، ذكر قولاً يحكى عن المبرد، أنَّ العامل في المبتدأ هو التجريد من العوامل اللفظية، ثم أورد اعتراض بعضهم عليه بأنَّ التجريد هو عدمُ العامل، وعدم العامل لا يكون عاملاً، ثم ردَّ على هذا بقوله: «والمقدمة الأولى: التجريدُ، أحد صفاتِ العامل، وإذا عُرِفَ حَقِيقَةُ الْعَامِلِ سَهْلَ هَذَا الْأَمْرُ؛ لِأَنَّ الْأَلْفَاظَ الَّتِي هِيَ عَوَامِلُ أَمَارَاتُ لَهَا فِي النَّفْسِ مِنَ الْمَعَانِي، وَالْعَلَامَةُ قَدْ تَكُونُ بَعْدَ الشَّيْءِ وَوُجُودِهِ»^(٤).

فهذا تناقض ظاهر.

٣- التبعية:

اختلف النحويون في العامل في الصفة والتوكيد وعطف البيان، فذكر ابن الدهان قولين

(١) الغرة ٢٧ أ (كويريللي).

(٢) الغرة ٥٨ ب (قليج علي).

(٣) الغرة ٥٨ ب (قليج علي).

(٤) الغرة ٢٤ أ (كويريللي).

منها، وهما قول سيبويه، وهو أنَّ العامل في التابع هو العامل في المتبوع، وقول الأخفش، وهو أنَّ العامل هو التبعية.

ثم أخذ يسرد حجج كل قول، فبدأ بحجج الأخفش، وهي:

أ- أن بعض ألفاظ التوكيد لا يمكن أن تلي العامل، نحو: أكتع وأبصع.

ب- أن الوصف قد يكون معرباً والموصوف مبنياً، نحو: يا زيدُ الظريفُ، فـ(زيد) مبني، و(الظريف) مرفوع، فلو كان العامل في الصفة هو العامل في الموصوف لم تختلف حركتهما، فتكون في أحدهما بناءً وفي الثاني إعراباً.

ج- أن (يا) في قولك: يا زيدُ الظريفُ، لا يمكن أن تُبَاشِر (الظريف)، ولو بَاشَرته لم تعمل فيه الرفع، ولا البناء عليه، كما عملته في العلم المفرد.

د- أنه يمكن أن يأتي الموصوف معرباً، والصفة مبنيةً، نحو: مررتُ بزيدٍ الذي في الدار.

ثم قال بعد سرد حججه: «وَوَجَدْتُ لَهُ دَلِيلًا قَوِيًّا، وَهُوَ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

فَخَيْرٌ نَحْنُ عِنْدَ النَّاسِ مِنْكُمْ إِذَا الدَّاعِي الْمُثَوِّبُ قَالَ يَا لَا

وَقَدْ صَحَّ أَنَّ (نَحْنُ) تَأْكِيدٌ لِلْمُضْمَرِ فِي (خَيْرِ)، وَهُوَ يَجْرِي مَجْرَى الْمُظْهَرِ، وَ(أَفْعَلُ) لَا يَعْمَلُ فِي الْمُظْهَرِ فِي الْقَوْلِ الْقَوِيِّ، وَلَوْ عَمِلَ لَضَعُفَ هُنَا؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُعْتَمَدٍ، إِذَا لَمْ يَكُنْ (خَيْرِ) مُبْتَدَأً، وَهُوَ أَنْقَصُ مَرْتَبَةٍ مِنَ الصِّفَةِ الْمُشَبَّهَةِ بِاسْمِ الْفَاعِلِ، فَلَمَّا كَانَ كَذَلِكَ عَلِمَ أَنَّ الْعَامِلَ فِي التَّابِعِ غَيْرَ الْعَامِلِ فِي الْمَتْبُوعِ»^(١).

ثمَّ قَارَنَ رَأْيَهُ هَذَا بِقَوْلِ لِه فِي الْمَسَائِلِ الْكَبِيرِ، قَالَ حَاكِيًا عَنْهُ: «تَقُولُ: يَا مُنْطَلَقًا نَفْسُهُ وَإِخْوَتُهُ، إِذَا جَعَلْتَ (نَفْسُهُ) تَأْكِيدًا لِلْمُضْمَرِ فِي (مُنْطَلَق) عَلَى قُبْحٍ^(٢)، فَلَوْ لَمْ يَطُلْ لِمَا انْتَصَبَ، وَمَا طَوَّلَهُ إِلَّا لِعَمَلِهِ فِي (نَفْسِهِ)، أَوْ يَكُونُ قَدْ نَظَرَ إِلَى الْمَعْطُوفِ عَلَى الْمُضْمَرِ فِيهِ، فَأَمَّا الضَّمِيرُ الَّذِي فِيهِ فَلَا يَطُولُ بِهِ» قَالَ: «وَهَذَا يُقَوِّي قَوْلَ سِيبَوِيهِ».

وَبَيَانَ ذَلِكَ أَنَّ (مُنْطَلَقًا) شَبِيهَ بِالْمُضَافِ، وَلِذَا نَصَبَ فِي النِّدَاءِ، وَمَا كَانَ شَبِيهًا بِالْمُضَافِ إِلَّا لِعَمَلِهِ فِيهِمَا بَعْدَهُ، وَهُوَ الْمُسَمَّى (الطَوِيلِ)، وَلَيْسَ بَعْدَهُ (مِمَّا يَطُولُ بِهِ) إِلَّا التَّوَكِيدُ، فَدَلَّ أَنَّ (نَفْسُهُ) مَعْمُولٌ لـ(مُنْطَلَقِ)، وَهُوَ الْعَامِلُ فِي الضَّمِيرِ الْمُؤَكَّدِ.

(١) ص: ٦٦٣.

(٢) لِأَنَّهُ لَا يَحْسُنُ أَنْ يُؤَكَّدَ الضَّمِيرُ الْمُسْتَرَّ إِلَّا بَعْدَ تَأْكِيدِهِ بِضَمِيرٍ مُنْفَصِلٍ.

ثم بيّن حُججَ سيبويه، ثم عاد ليردّ على حُجج الأَخفش، فذكر أنّ ألفاظ التوكيد وُضعت لأن تكون تابعةً لشيءٍ قبلها، ولو فُرضَ أنّ فيها ما يمكن أن يلي العامل لم يمتنع أن تليه.

وأما مسألة الإعراب والبناء، فإنّ الصفة كلمة مستقلة، ولها حرف إعراب خاص، وكذلك الموصوف، فإذا طرأ على أحدهما ما يخرجها عن الأصل الذي كان عليه، لم يتعدّ ذلك إلى صاحبه، ولذا فالصفة تكون فعلاً، وظرفاً، وجاراً ومجروراً، فلا يمنع أن يكون أحدهما معرباً والآخر مبنياً.

وختم المسألة بتأييده لحجة سيبويه^(١).

فهو لا يرى أنّ التبعية عاملٌ في هذه الأبواب.

المبحث الثالث: تقدير العامل:

تبين فيما سبق، مدى إيمان النحويين بفكرة العمل، وما يقتضيه من تأثير في الجملة، هذا التأثير الذي تتضح به معالم الدلالة، وكان من لازم ذلك اعتبار العامل أساساً في أي جملة مفيدة، فإذا لم يظهر العامل في الجملة فلا بد من تقديره، وأيضاً فالنظر العقلي يحتم أن يكون ثمت معمولٌ لكل عامل، فإذا اكتملت الجملة دلاليّاً، مع عدم المعمول الظاهر، فلا بد من تقدير ذلك المعمول المفهوم محذوفاً.

فالتقدير عند النحويين ملجأً كثيراً ما يضطرون إليه، واضطرارهم راجع إلى أحد أمرين: الأول: ما يقتضيه المعنى. فالعرب تميل إلى الاختصار في كلامها، فتحذف ما لا يحتاج إليه، إما للعلم به، وإما للدلالة عليه، وإما لعدم أهميته، فيقدر النحويون ذلك المحذوف. مثال ذلك: ما أورده ابن الدهان من ضرورة تقدير مضاف محذوف، في نحو: ضربته ضرب زيد عمراً، إذ التقدير: ضربته مثل ضرب زيد عمراً؛ «لأنّ الإنسان ليس يفعلُ فعلَ غيره، وإنما يفعلُ مثلَ فعلِهِ»، وجعل منه قول الراجز:

حَتَّى إِذَا اصْطَفَوْا لَنَا جِدَارًا

وقوله:

(١) انظر: ٦٦٢-٦٦٥.

ولم يُضِعْ ما بَيْنَا لَحْمَ الْوَضَمِ^(١)

«أي: اصْطَفَاً مَثَلِ اصْطِفَافِ الْجِدَارِ، وإِضَاعَةً مَثَلِ إِضَاعَةِ لَحْمِ الْوَضَمِ»^(٢).

والثاني: ما تقتضيه الصناعة النحوية، وذلك أَنَّهُم أَلْزَمُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ جَرَاءِ اسْتِقْرَاءِ نَاقِصٍ لِكَلَامِ الْعَرَبِ - بقواعد، تشذ عنها نصوص في غاية الفصاحة، فلا يملكون تجاهها إلا التأويل، ومن أنواع التأويل التقدير، فمن ذلك أن ابن الدهان خرَّج قوله تعالى: ﴿T WVU﴾^(٣) على حذف مفعول؛ لئلا يُعَدَّى الفعل المتعدي بنفسه بقرينة^(٤).

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿J I H G F E D C B﴾

﴿P O NM LK﴾^(٥)، فقد منعوا أن يُعَلَّقَ (إِذْ) بِ(مَقَّتَ اللَّهُ)؛

لأنَّه لا يجوز أن يفصل بين المصدر ومعموله، وقد فصل بينهما هنا بالخبر. قال ابن الدهان: «و(إِذْ) لا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْعَامِلُ فِيهِ (مَقَّتَ اللَّهُ) وَإِنْ كَانَ الْمَعْنَى صَحِيحاً؛ لِأَنَّ الْإِعْرَابَ يَمْنَعُ مِنْهُ لِأَجْلِ الْفَصْلِ»^(٦).

مواضع تقدير العامل:

يمكن أن تُرجع مواضع التقدير إلى موضعين:

الأول: تقدير قياسي في أبواب معينة، كالاشتغال، والتحذير، والإغراء، والاختصاص، والفعل بعد أداة الشرط المتلوة باسم. وقد ذكر ابن الدهان جملة منها في باب المفعول به، فقال: «وَحَيْثُ فَرَعْنَا مِنْ ذِكْرِ الْمَفْعُولِ بِهِ الَّذِي يَعْمَلُ فِيهِ الْفِعْلُ الظَّاهِرُ، فَلَا بُدَّ مِنْ ذِكْرِ الْمَفْعُولِ بِهِ الْمَنْصُوبِ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ، وَذَلِكَ الْعَامِلُ الْمُضْمَرُّ عَلَى ضَرْبَيْنِ: ضَرْبٌ عَامٌّ وَضَرْبٌ خَاصٌّ، فَالْخَاصُّ عِنْدَ قَوْمٍ (أَعْنِي)، وَيَنْتَصِبُ بِهِ سَبْعَةُ أَشْيَاءَ، وَأَصْلُهُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: الْأَوَّلُ: الْمَدْحُ ... الثَّانِي: الذَّمُّ ... الثَّالِثُ: الْفَخْرُ ... وَلَا يَقَعُ هُنَا إِلَّا مَعْرِفَةٌ، وَجُعِلَ نَصْبُهُ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ ...»

(١) انظر: ديوان العجاج ٤٢٧/١.

(٢) ص: ٣١٦.

(٣) الصف: ٨.

(٤) انظر: ٣٢١.

(٥) غافر: ١٠.

(٦) ص: ٣٩٦-٣٩٧.

وَأَمَّا الْمَنْصُوبُ بِالْعَامِّ فَكُلُّ مَنْصُوبٍ دَلٌّ عَلَيْهِ الْفِعْلُ لَفْظاً أَوْ مَعْنً أَوْ تَقْدِيرًا، وَالْمَنْصُوبُ بِهِ عَلَى ضَرَبَيْنِ: أَحَدُهُمَا: مَا وُجِدَ مَعَهُ حَرْفٌ، وَالْآخَرُ: مَا لَمْ يُوْجَدْ مَعَهُ حَرْفٌ، فَلأَوَّلُ عَلَى خَمْسَةِ أَضْرُبٍ:

أَحَدُهَا: مَا نَابَ عَنْهُ مُضَمَّرٌ مَفْعُولٌ مِثْلُهُ، كَقَوْلِكَ: إِيَّاكَ وَزَيْدًا...
وَالثَّانِي: مَا انْتَصَبَ بِفِعْلِ مُضَمَّرٍ طَالَبَتْ بِهِ الْجُمْلَةُ، لِكَثْرَةِ وَقُوعِهِ فِيهَا، كَقَوْلِكَ: مَا أَنْتَ وَزَيْدًا...
وَالثَّانِي مِنَ الْقِسْمَةِ الثَّانِيَةِ، وَهُوَ الَّذِي لَا حَرْفَ عَطَفٍ مَعَهُ، يَنْتَصِبُ الْاسْمُ الْمَفْعُولُ بِهِ فِيهِ عَلَى عَشْرَةِ أَضْرُبٍ:

الأَوَّلُ: مَا دَلَّ عَلَى عَامِلِهِ الْعَامِلُ الْمَذْكُورُ، وَكَانَ مِنْ لَفْظِهِ وَالْمَعْمُولُ قَبْلَ الْمَلْفُوظِ بِهِ، كَقَوْلِكَ: أَزِيدًا ضَرْبَتُهُ...^(١)

الثاني: تقدير تحمل عليه دلالة السياق، كما أولوا قوله تعالى: ﴿E D﴾
﴿F﴾^(٢)، على حذف الفعل، والتقدير: وأتوا أمراً خيراً، أو يكن خيراً^(٣).
وأيضاً في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾^(٤) في قراءة مَنْ قَرَأَ بِنَصَبِ (الأعداء)، وفتح تاء (تشمت)^(٥)، كان تقديرهم: فلا تشمت بي فتشمت الأعداء^(٦).
وبهذا التأويل أولوا قولهم: ما أنت إلا سيراً، وقول لبيد:
فأرسلها العراك ولم يذدها
فالتقدير: ما أنت إلا تسير سيراً، وأرسلها تعترك العراك^(٧).

ويلحظ في تقديرات ابن الدهان أنه سار فيها على المشهور من آراء البصريين، ولذا تجده يرد قول الكسائي: إِنَّ (إلى) المقدرة هي عامل الجر في نحو: مررت بالقوم حتى زيد،

(١) ص: ٣٧٣-٣٧٨.

(٢) النساء: ١٧١.

(٣) انظر: ٣٧٧.

(٤) الأعراف: ١٥٠.

(٥) هي قراءة مجاهد. انظر: تفسير الطبري ٦٨/٩، والمختسب ٢٥٩/١، والبحر المحيط ٣٩٦/٤.

(٦) انظر: ٣٧٧.

(٧) انظر: ٤٤٣-٤٤٤.

كما جرّت (رب) بعد الواو وهي محذوفة، وقد ذكر أدلة رده^(١).

المبحث الرابع: تعدد المعمولات:

العامل القوي يعمل أكثر من عمل، فالفعل يرفع فاعلاً، وقد ينصب مفعولاً أو أكثر، وكذا الحرف الذي يشبهه، ينصب المبتدأ، ويرفع الخبر، وأداة الشرط تجزم الفعل والجواب، إلى غير ذلك.

إلا أن النحويين قيّدوا هذا، فلم يرضوا أن ينصب الابتداء شيئاً، ولذا منع ابن الدهان في نحو: زيدٌ قائماً في الدار، من جعل الحال من زيد، قال: «... ولا يكونُ حالاً من (زيد)؛ لأنّ (زيداً) مُبتدأً، والعاملُ فيه الابتداء، والابتداء لا يعملُ النَّصبَ في شيءٍ، وإذا لم يعملِ النَّصبَ في الظرفِ فالأولى ألاَّ يعملَ في الحال»^(٢).

كما لم يجيزوا للعامل الضعيف أن تتعدد معمولاته، ولذا منع سيبويه من عمل (لا) النافية للجنس في الخبر، قال ابن الدهان: «وفي رفع الخبر خلافٌ بين سيبويه والأخفش رحمهما الله، فأما سيبويه فإنه لا يُعملُها في الخبر، وإنما الخبرُ مرفوعٌ على ما كان عليه، وأما الأخفش والمبردُ وجماعةٌ من النحاة فإنهم يرفعون بها الخبر كما نصبوا بها الاسم، وحجتهم أن كلَّ شيءٍ يعمل في المبتدأ يعمل في الخبر، إلا حرفَ الجر، وحجة سيبويه قلةُ تصرُّفها، وأنها دون (إن) في العمل، لدخول (إن) على المبتدأ المعرفة والنكرة»^(٣).

كما يمتنع أن تتعدد المعمولات إذا استحال اجتماعها عقلاً، فلا يجوز أن يعمل الفعل في ظرفي زمان، ولذا لما حكم الفارسي في قولهم: هذا بُسراً أطيب منه رطباً، أن العامل في (بُسرًا) و(رُطباً) هو (أطيب)، خرّج ذلك ابن الدهان بأن «الزيادة التي تَضَمَّنْها (أفْعَلُ) سوَّغتْ له ذلك، فعَمِلَ في أحدهما بِحُكْمِ الاشتقاق، وعَمِلَ في الآخرِ بِحُكْمِ الزيادة»^(٤). وهذا التخريج وجهه من جهة أن العمل يزيد بزيادة الكلمة، ونظيره الفعل اللازم، فهو بصيغته الأولى يرفع الفاعل، ثم إذا دخلت عليه همزة التعدية نصب مفعولاً.

إلا أن تخرجه قد يُنازع في وجاهته من جهة أخرى، وهي تحديد عامل كل معمول

(١) انظر: ٦٢٣-٦٢٤.

(٢) ص: ٤٥٩.

(٣) ص: ٢٦٧.

(٤) ص: ٤٦٦.

منهما، فأى الكلمتين كانت معمولاً للاشتقاق، وأيها كانت معمولاً للزيادة؟ فلا دلالة في المعنى، ولا في الصناعة على هذا، ومن هنا كان هذا التوجيه ضعيفاً.

ومن خلال هذه الوقفات مع العامل عند ابن الدهان، يتضح مقدار قناعته به، والتعويل عليه في تععيده وتوجيهه، واعتراضه وترجيحه، ويظهر من خلال هذه الأمثلة ودراستها، أنَّ العمل النحوي إنما كان تعبيراً عن التعلق المعنوي، وأنَّ علاقته بالحسيَّات إنما هي من باب التشبيه في أكثر الأحيان، كما أنَّ الفلسفة والمنطق، التي بالغ الرافضون لفكرة العامل في تضخيم أثرها فيه، إنما كانت أدوات للضبط، ويمكن أن يُختلف حولها، دون أن ينسف فكر المتقدمين، المبني على أسس دلالية وتطبيقية متينة.

الفصل التاسع

قيمة الكتاب

المبحث الأول: مزايا الكتاب.

المبحث الثاني: المآخذ عليه.

المبحث الثالث: أثره فيمن بعده.

تميّز كتاب الغرة بمزايا عديدة، بؤاته مكانة عليا في أنظار العلماء وطلاب العلم، فعكفوا عليه ناهلين مما فيه، ناقلين عنه، قارئيه على المشايخ، وفي أحيان أخرى: مختصرين له، ومقارنين بينه وبين غيره، قال ابن خلّكان في ذكر مؤلفات ابن الدهان: «وشرح كتاب «اللمع» لابن جني شرحاً كبيراً، يدخل في مجلدين، سماه «الغرة»، ولم أر مثله مع كثرة شُرُوح هذا الكتاب»^(١).

ويمكن أن تظهر قيمة الكتاب بمعرفة مزاياه، والمآخذ عليه، وأثره فيمن جاء بعده، وهذا ما سأعرضه في مباحث هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

المبحث الأول: مزاياه.

تميّز ابن الدهان بنظرة علمية ثاقبة، وباطلاع واسع، مما كان له أثر ظاهر في كتبه، ومنها كتابه هذا، ويمكن أن تُجمل مزاياه في الآتي:

١ - عنايته بالمتن الذي يشرحه.

وذلك باستقصاء مسأله، وتتبع نسخه، والعناية بشواهد، وشرح أمثله. وقد سبقت الإشارة إلى هذه المسائل بشيء من التفصيل^(٢).

٢ - سعته وشموله.

اتّسم هذا الكتاب باستيعابه لجمع كبير جداً من مسائل النحو، وقد استدرك ما قصُر عنه متن اللمع، إمّا أثناء الشرح، وإما في آخر الكتاب.

كما عُني بمسائل الخلاف، فأثبتها وتتبع أدلتها وحججها.

٣ - حفظه لآراء العلماء.

فقد حوى كتاب الغرة آراء كثيرة لعلماء بارزين، ومنهم من فُقد تراثهم، فعلى سبيل المثال نقل عن الأخفش نقولاً كثيرة، كما نقل عن أبي عمرو بن العلاء والأصمعي والأثرم، والفراء وثعلب وابن كيسان، ونص على عدد من الكتب المفقودة، كالحدود للفراء، والمسائل الكبير والمسائل الصغير للأخفش، والخلاف لثعلب، والابتداء لابن كيسان، وتفسير

(١) وفيات الأعيان ٣٨٢/٢.

(٢) انظر: الفصل الأول.

القرآن للمفضل، وقد سبق بيان شيء من هذا في المبحثين الأول والثاني من الفصل الثاني. كما أنه تفرّد بنقول لم أقف عليها عند من سبقه، فمن ذلك سرده للمرفوعات عند الكوفيين، فقد سرد ثمانية عشر مرفوعاً، مع الأمثلة، ينقلها عن الفراء^(١).

٤ - وفرة مصادره وتنوعها.

أمّا مصادره النحوية فقد أشرت إلى ذلك، وأمّا غيرها، فقد أخذ عن كتب اللغة كثيراً، وتدل مناقشاته واستدلالاته على سعة اطلاعه، ودقة نظره فيما يطلع عليه^(٢). وله اطلاع في كتب الفقه، والتفسير، ولا يستغرب هذا فقد أثبت له المترجمون مصنفات في التفسير، ولكن ما يستحق الإشادة، هو حسن توظيفها في بحث المسائل النحوية، ومناقشة الآراء والخلاف^(٣).

كما تعرّض لعلوم أخرى كعلم الهيئة، قال في مُفْتَح باب ظرف الزمان: «ظُرُوفُ الزمان مُرُورُ الليالي والأيام، فَهُوَ مِنَ الْفَلَكِ بِمِثْلَةِ الْحَرَكَةِ مِنَ الْآدَمِيِّ... فَمَتَى وَجِدَتْ الْحَرَكَةُ مِنَ الْفَلَكِ مَعَ وَجُودِ الشَّمْسِ فَوْقَ الْكُرَّةِ بِالنِّسْبَةِ، سُمِّيَ ذَلِكَ الْوَقْتُ نَهَاراً، فَإِنْ وَجِدَتْ حَرَكَةُ الْفَلَكِ مَعَ عَدَمِ الشَّمْسِ فَوْقَ الْكُرَّةِ سُمِّيَ ذَلِكَ الْوَقْتُ لَيْلاً، تَبَارَكَ اللَّهُ وَتَعَالَى أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»^(٤).

٥ - انفراده بآراء ذات قيمة.

وقد ذكرتُ طرفاً منها في المبحث الثالث من الفصل الخامس. وكان ينصُّ أحياناً على أسبقيته لرأي أو تعليل^(٥)، مما يؤكّد أصالة الرأي وجدّته.

٦ - جودة تعليقاته ودقة أقيسته.

تعرضتُ في أثناء هذه الدراسة لشيءٍ من أقيسته وعلمه، إلّا أنّ ما ينبغي أن يُشار إليه هنا وقوفه على مسائل وتعليلات دقيقة، قلما تعرض لها النحويون، فمن ذلك تقديمه لباب الندبة، بذكر وجه طريف، يعلّل فيه ركوب العرب هذا الضرب من التعبير، فيقول: «من

(١) انظر: ٢٩٤-٢٩٥.

(٢) انظر: المبحث الثاني من الفصل الثاني: ج.

(٣) انظر: الفصل الرابع.

(٤) ص: ٣٨٣.

(٥) انظر: الغرة ٦ أ، ٢٧ أ (كوبريللي).

شأن العرب مخاطبة الأطلال والوحوش والمياه والجبال والأشجار والسحاب وغير ذلك،
والكنيات بها عن المقاصد، فتتزل الجمادات منزلة من يعي ويحسب، فمن ذلك قوله:

يا دار مية بالجواء تكلمي

وقوله:

ألا يا نخلة من ذات عرقٍ عليكَ ورحمةُ الله السَّلامُ
... فإذا وجهوا الخطاب إلى هذه الأشياء ولم يجدوا منها نطقاً ألبتة، كان توجه الخطاب
إلى الميت الذي أنس منه الخطاب أولى^(١).

فشبه نداء الميت بنداء غير العاقل، وجعله من قياس الأولى كما يقول الأصوليون؛ لأنَّ
الميت قد كان من شأنه الحديث والجواب.

ومن ذلك أيضاً تحليله لدلالة (لا) النافية للجنس، وتوصله بطريقة منطقية إلى النتيجة
التي فسرت ظاهرة بناء اسم (لا)، وهذا كلامه أنقله بطوله لأهميته وترابطه: «ولما كانت
الأخبار إذا وقعت فإنما هي أجوبة لأسئلة منطوق بها، أو مقدرة، والجواب ينبغي أن يكون
وفق السؤال، وإذا كانت المسألة عامة كان الجواب مثلها، فإذا كنت استفهمت بلفظ
يتضمن استغراق الجنس كان الجواب مثله، وذلك أن (من) تدلُّ على استغراق الجنس؛ لأنَّ
من جملة موضوعاتها ابتداء غاية للشيء، ويستغنى بها عن حرف النهاية، وهو (إلى)؛ لأنَّ
طرفي المعنى غايته، فيجوز أن تستغني بدلالة إحدى الغائتين عن الأخرى، ألا ترى أنك
تقول: رأيت الهلال من خلل السحابة، فتذكرها في موضع الانتهاء، والأصل فيه: رأيت من
مكاني إلى خلل السحاب، فاستغنيت بمن عنها.

وأيضاً فإنَّ من مدلولاتها التبعض، فإذا قال: لا رجل في الدار، فكأنه قال: ليس بعض
الرجال في الدار، فوقع النفي عاماً؛ لأنه لو كان جميع الرجال في الدار كان بعضهم في الدار،
وهذا قول الرماني، وذلك أنك إذا قلت: هل رجل في الدار؟ جاز أن يكون سؤالك عن
رجل واحد وعن جميع الرجال، كما أنك إذا قلت: ضربت زيداً جاز أن يكون قليلاً
وكثيراً، فإذا قلت: هل من رجل في الدار؟ استغرقت الجنس بها في الاستفهام، فلم يحتمل إلا
العموم، كما أنك إذا قلت: ضربت لم يحتمل إلا التكثير.

(١) الغرة ٥٢ أ - ٥٢ ب (قليج علي).

فلما أرادوا نفي هذا الاستفهام العام أرادوا إعادة الدال على معنى استغراق المنفي، وعلموا أنهم إذا فعلوا ذلك أبطلوا حكم (لا) التي أرادوا إعمالها، وإذا حذفوا الدال على المعنى وأعملوا (لا) بطل حكم استغراق الجنس في النفي، فتوسّطوا الأمر بشيء يقوم مقام وجودها، وهو أنهم حذفوها وبنوا الاسم مع (لا) فقالوا: لا رجل في الدار^(١).

٧- الترتيب والتنظيم.

وذلك في عرضه للمسائل، فيجمع قضايا المسألة، ثم يتناولها واحدة واحدة، وإذا اضطر إلى أن يقسم بعض الأقسام فعل، ونص على كل تقسيم. مثال ذلك: قوله: «وَأَعْلَمُ أَنَّ الاسْتِثْنَاءَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرُبٍ: اسْتِثْنَاءٌ بَعْدَ اسْتِثْنَاءٍ، وَاسْتِثْنَاءٌ مِنْ اسْتِثْنَاءٍ، وَاسْتِثْنَاءٌ مُطْلَقٌ مِنْ اسْتِثْنَاءٍ، وَاسْتِثْنَاءٌ بَعْدَ الاسْتِثْنَاءِ تَكُونُ (إِلَّا) فِيهِ بِمَعْنَى الْوَاحِدِ...»^(٢).

وقال: «(حتى) إذا دَخَلَتْ عَلَى الْأَفْعَالِ فَإِنَّ الَّذِي يَأْتِي بَعْدَهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرُبٍ: مُسْتَقْبَلٌ، وَحَاضِرٌ، وَمَاضٍ، فَالْمُسْتَقْبَلُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَنْصُوبًا؛ لِأَنَّهُ عَلَى مَعْنَيْنِ: أَحَدُهُمَا يَكُونُ فِيهِ بِمَعْنَى (كَي)، وَالْآخَرُ بِمَعْنَى: (إِلَى أَنْ)، فَالَّذِي بِمَعْنَى (كَي) هُوَ أَنْ يَكُونَ الْأَوَّلُ عِلَّةً لِلثَّانِي...»

والثاني: أَنْ يَكُونَ مَا بَعْدَهَا غَايَةً لِمَا قَبْلَهَا، تَنْتَهِي إِلَيْهِ ... وَيَحْتَمِلُ الْفِعْلُ قَبْلَهَا وَبَعْدَهَا الْأَزْمِنَةَ الثَّلَاثَةَ ... وَأَمَّا فِعْلُ الْحَالِ فَإِنَّهُ يَكُونُ مَرْفُوعًا أَبَدًا ... وَالرَّفْعُ فِي الْفِعْلِ بَعْدَ (حَتَّى) عَلَى شَرِيطَةٍ أَنْ يَكُونَ حَالًا، وَأَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ الَّذِي قَبْلَهَا عِلَّةً لِلْفِعْلِ الَّذِي بَعْدَهَا، وَهُوَ يَكُونُ عَلَى ضَرَبَيْنِ:

أحدهما: أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ الْأَوَّلُ قَدْ مَضَى، وَالثاني: أَنْتَ فِيهِ... وَالضَّرْبُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ قَبْلَ (حَتَّى) قَدْ مَضَى، وَالَّذِي بَعْدَهُ أَيْضًا قَدْ مَضَى، وَالْأَوَّلُ سَبَبٌ لِلثَّانِي، وَيَكُونُ حِكَايَةً حَالٍ يَحْسُنُ أَنْ يَقَعَ الْمَاضِي بَعْدَهَا...»^(٣).

٨- وضوح عبارته وسلامتها من الغريب. إلا في النادر.

المبحث الثاني: المآخذ عليه.

(١) ص: ٢٦٢.

(٢) ص: ٥٢٩.

(٣) ص: ٦٣٤-٦٣٥.

من خلال تكرار النظر في هذا الكتاب القيم، يقع المتأمل على هفوات يسيرة، وأكثرها غير متكرر، منها:

١ - الوهم في نسبة الأقوال.

فأظهر ذلك أنه نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً، ولم يرفعه أحدٌ من أهل العلم للنبي صلى الله عليه وسلم، وإنما روي عن عمر بن العزيز رضي الله عنه، وروي عن الحجاج، وغيرهما، وهو أنه سأل أعرابياً: «ما تحفظ من القرآن؟» فقال: الكثير الطيب، قال: «وما هو؟» قال: فمن يعمل مثقال ذرة شراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يقدم الله الخير وتؤخره!» فأنشد الأعرابي:

خذا بطن هرشي أو قفاها فإنما
كلا جانبي هرشي لهن طريق
فلم ينكر عليه^(١).

ومن ذلك أنه نسب للزجاج أنه يقدر في نحو: أنا زيدا غير ضارب. (غيراً). بمعنى (لا)، وهذا القول للمبرد نسبه إليه ابن السراج والفارسي^(٢).

ومن ذلك أنه نسب لابن السراج منع إجازة الوصف باسم الإشارة، وما في الأصول يخالفه^(٣).

ونسب للأخفش أنه لا يعمل (لات) مطلقاً، وقد أعملها في قوله تعالى: ﴿وَلَاتِ حَيْنَ مَنَاصٍ﴾^(٤).

وأيضاً نسب إلى سيبويه والأخفش أنهما يحذفان واو (شنوءة) في النسب، ويُقرآن الضمة، فيقولان: شئتي^(٥).

والصحيح أن سيبويه يحذف الواو ويقلب الضمة فتحة^(٦)، وأما الأخفش فقد اختلف

(١) انظر: ٧٨١-٧٨. وتخريج القصة هناك.

(٢) انظر: ٢٢٦-٢٢٧.

(٣) انظر: ٦٩١.

(٤) سورة ص: ٣. انظر: ٢٩٢.

(٥) انظر: الغرة ٢٣١ أ (قليج علي).

(٦) انظر: الكتاب ٣/٣٣٩.

النقل عنه، فالفارسي روى عنه أنه يحذف الواو، كرأي سيويه^(١)، وأما أبو حيان فقد روى عنه أنه ينسب إلى الكلمة على لفظها دون حذف^(٢).

وقد نبه على هذا الوهم من ابن الدهان أبو حيان^(٣) والمرادي^(٤) وابن عقيل^(٥).

٢ - اضطراب المنهج في الموقف من الخلاف.

فقد عُني بذكر الأقوال في كل مسألة، إلا أنه صدف عن ذكر قول للكوفيين معذراً بأن كتابه كتاب اختصار، وقد سبق أن أشرت إلى هذا.

والحقيقة أن كتابه هذا لا يعد مختصراً، إلا إن كان اختصاره بالنسبة إلى شرحه للإيضاح، وقد أحال في الغرة إلى «كتاب الكبير»^(٦)، ولعله يعني به شرح الإيضاح، فقد ذكر المترجمون أنه شرح الإيضاح بثلاث وأربعين مجلدة، في حين أنهم وصفوا الغرة بأنه ثلاث مجلدات^(٧).

فإذا ثبت أنه «كتاب اختصار»، وأن القول الضعيف ينبغي ألا يُثبت فيه، طالعنا في موضع آخر، ينص على ضعف القول ثم يورده، قال: «الخلاف في إعراب الأفعال قد سبق ذكره، وللكوفيين في إعرابه قولان لا نشغلُ بهما لو هنيئاً، أحدهما: أنها أُعربت لما دخلت عليها المعاني المختلفة، ووقعت على الأزمنة الطويلة. والثاني: أنها وقعت بين الاسم والأداة، فأشبهه من الأداة أنه لا يلزم المعنى في كل الحالات، وأشبه من الاسم وقوعه على كل دائم الفعل، وهذان القولان لا يلتفت إليهما»^(٨).

٣ - الإحالة إلى غير هذا الكتاب.

قال في مسألة أصل المشتقات: «هذا موضعٌ تجاذبه الخلاف بين الفريقين، وقد بينّا الحجة

(١) انظر: العضديات ٢١.

(٢) انظر: الارتشاف ٦١٤/٢.

(٣) انظر: الارتشاف ٦١٤/٢.

(٤) انظر: توضيح المقاصد والمسالك ١٤٥٦/٣.

(٥) انظر: المساعد ٣٦٦/٣.

(٦) انظر: الغرة ٢١ أ (قليج علي).

(٧) انظر: معجم الأدباء ١٣٧١/٣.

(٨) الغرة ٥٨ أ - ٥٨ ب (قليج علي).

لكل واحد منهما في غير هذا الكتاب، ولا بُدَّ من ذكر شيءٍ مُختصرٍ هنا»^(١). وقال في حديثه عن الكُنَى: «والتركيبُ كمُفردِهِ فيه، وقد ذكرنا منه شيئاً كثيراً في كتابنا الكبير»^(٢).
 ٤ - الخلل في الأسلوب.

ولهذا صور، منها:

أ - استعمال مفردات غريبة، كاستعماله (معذوق) بمعنى: مربوط. قال: «وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ واحدٍ مِنْهَا مَعذُوقٌ بِالْآخِرِ، لَا يَصِحُّ انفِصَالُهُ عَنْهُ»^(٣).
 واستعمل (ينتخل) بمعنى: يصفو، قال: «... جَاءَنِي زَيْدٌ أَوْ عَمْرُو، فَيَجُوزُ فِي هَذَا أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مَضَى صَدْرُهُ عَلَى الْإِخْبَارِ، ثُمَّ جِئْتُ بِأَوْ فَسَارَ الشَّكُّ مِنَ الثَّانِي إِلَى الْأَوَّلِ ... وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صَدْرُ الْكَلَامِ مَضَى عَلَى الشَّكِّ، فَيَنْتَخِلُ فِي الْيَدِ مِنْهُمَا مَعْنَى أَحَدِهِمَا»^(٤).
 ب - الخطأ في التركيب.

من ذلك تكرار (بين) مع إضافة الأولى إلى الاسم الظاهر، قال: «فَجَمَعَ بَيْنَ (نا) وَبَيْنَ (من)»^(٥)، والصواب أن يقال: بين (نا) و(من)^(٦)، ومثله أيضاً قوله: «الظرفُ وحرفُ الجرِّ» قد اتَّسَعَ فِيهِمَا غَايَةُ الْإِتْسَاعِ، فَفُصِّلَ بَيْنَ الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَبَيْنَ حَرْفِ الْجَرِّ وَمَا جَرَّ بِهِ»^(٧)، وقال: «إِنَّمَا وَقَعَتْ (غَيْرُ) فِي الْكَلَامِ لِيُفْصَلَ بَهَا بَيْنَ مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ وَبَيْنَ مَا وَقَعَتْ صِفَةً لَهُ»^(٨).

ج - الفصل الطويل بين المتلازمين.

يفصل أحياناً بين جزأي الجملة، أو بين المتعاطفين، بما يعترض به من شرط، أو استدراك، أو إيضاح، أو استثناء، وقد ذكرتُ طرفاً من هذا في المبحث الأول من الفصل الخامس، ومن ذلك أنه لما تحدّث في باب الحال عن روابط الجملة الحالية، قال في روابط

(١) ص: ٣٠٠.

(٢) الغرة ٢١ أ (قليج علي).

(٣) الغرة ٢٣ ب - ٢٤ أ (كوبريللي).

(٤) ص: ٧٩٣.

(٥) ص: ٦٥٢.

(٦) انظر: درة الغواص ١٠١.

(٧) ص: ٢١٥.

(٨) ص: ٥٣٣-٥٣٤.

الجملة الحالية المضارعية: «فإن كان الفعل مضارعاً لم يفتقر إلى واوٍ في القول القويّ، فأما قولهم: قُمتُ وأصلك عينه، فعلى إضمار المبتدأ، بدليل ظهوره في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانُ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(١)، واحتجت إلى الضمير كقولك: جاء زيدٌ يضحكُ»^(٢). فقوله: فأما قولهم ... كلام معترض، وتقدير الكلام: فإن كان الفعل مضارعاً لم يفتقر إلى واوٍ في القول القويّ واحتجت إلى الضمير ... د- التعبير بما يوهم التناقض.

ومن أمثلة ذلك قوله في باب الاستثناء: «والنحاة يجمعون على أنّه لا يجوز تقديم (إلا) على العامل والمستثنى منه معاً، في حال، كقولك: إلا زيدا قام القوم، وذلك أنّهم شبّهوها بالواو في باب المفعول معه، وبينهما فرق؛ لأنّ الواو في ذلك الباب منقولة عن باب لا تتقدم فيه، وليست (إلا) هنا كذلك، وذكر السيرافي عن الكسائي إجازته، قال: تقول: إلا طعامك ما أكل زيد شيئاً»^(٣)، فقوله أولاً: «النحاة يجمعون» صريح في أنّ المسألة مسألة إجماع، ولكنه جاء بعده بكلام مناقض، فقال آخرًا: «وذكر السيرافي عن الكسائي إجازته».

ومن ذلك أيضاً أنه لما تحدث عن العامل في المبتدأ، ذكر الأقوال في ذلك، ثم قال: «فجملة القول في العامل في المبتدأ خمسة أقوال...»^(٤) ثم تحدث عن الأقوال الثلاثة الأولى بشيء من التفصيل، وذكر مسائل لم يذكرها قبل الإجمال، ثم بعد ذلك ذكر القولين الرابع والخامس، وأضاف سادساً: «والقول الرابع: هو قول الكوفي، والقول الخامس هو القول الآخر للكوفي، وفيه قول سادس: وهو أنما ارتفع بالإخبار عنه، وهذا فاسدٌ لأنّ اسم (إن) محبّر عنه وهو منصوب»^(٥). فادّعاء الإجمال نقضه بتفصيل القول في الأقوال الثلاثة، وإضافة قول سادس مناقض لحصرها بالخمسة.

المبحث الثالث: أثره فيمن بعده.

(١) الأنفال: ٣٣.

(٢) ص: ٤٧٠-٤٧١.

(٣) ص: ٥٠٢.

(٤) الغرة ٢٤ أ (كوبريللي).

(٥) الغرة ٢٤ ب (كوبريللي).

كان لهذا الكتاب أثرٌ بارز فيمن جاء بعد ابن الدهان، ويمكن أن أجمل الأثر في مسألتين:

الأولى: اختصار الغرة.

أ- مختصر الغرة لابن عصفور.

ذكر المترجمون هذا الكتاب في ضمن مؤلفات ابن عصفور^(١).

ب- البديع لابن الأثير.

ابن الأثير أحد تلاميذ ابن الدهان، وأثر ابن الدهان في كتابه البديع ظاهر، وقد سماه بعض المترجمين: البديع في شرح الفصول في النحو لابن الدهان^(٢)، لكن ابن الأثير ذكر في مقدمة البديع أنه شرح فصول ابن الدهان بكتاب سماه: بغية الراغب في تهذيب الفصول النحوية، ولما كان مختصراً أشد الاختصار رغب في جمع كتاب يكون أشمل وأوسع، فألف هذا الكتاب (البديع)^(٣).

ولكن المتأمل في هذا الكتاب لا يجد فيه ذكراً للفصول، وإنما يجد التشابه الكبير بينه وبين الغرة، ولذا يقول محقق البديع: «حينما همَّ ابن الأثير في تأليف كتابه، لا شك أنه عمد إلى كتاب من أهم كتب شيخه ابن الدهان، وهو المسمى بالغرة في شرح لمع ابن جني فاستقى منه أكثر مادة كتابه»^(٤).

وقد ذكر شيئاً من أثر الغرة في البديع^(٥)، كما وقف على متابعات لأخطاء وقعت في الغرة وتابعه ابن الأثير عليها^(٦).

وقد وقفت في البديع على متابعات أخرى، تابع بها ابن الأثير ابن الدهان، في أشياء تفرد بها ابن الدهان، أو وهم فيها، فمن ذلك:

(١) انظر: تاريخ الإسلام ٢٨٩/٤٩، والوافي بالوفيات ١٦٦/٢٢، وفوات الوفيات ١١٠/٣، وإشارة التعيين ٢٣٦.

(٢) انظر: وفيات الأعيان ١٤١/٤، وطبقات الشافعية للسبكي ٣٦٧/٨، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبه ٧٧/٢.

(٣) البديع ٢/١/١.

(٤) مقدمة تحقيق البديع ٧٧/١/١.

(٥) انظر: مقدمة تحقيق البديع ٧٧/١/١، ١١٥-١١٦.

(٦) انظر: مقدمة تحقيق البديع ١١١/١/١-١١٢، ١١٦.

١- أن ابن الدهان وهم في قوله تعالى: ﴿f e d c﴾^(١)، فأبدل (كتاب) بـ (ذكر)^(٢)، وتابعه ابن الأثير على هذا الوهم^(٣).

٢- انفرد ابن الدهان برواية قول طرفة:

خَيْرُ حَيٍّ لَمَعَدٌ خُلِقُوا لِفَقِيرٍ وَلِجَارٍ وَابْنِ عَمٍّ^(٤)

في حين أنه روي في جميع ما وقفت عليه (لكفي) بدل (لفقير)، وقد تابعه ابن الأثير على هذه الرواية^(٥).

٣- ومثل ذلك أيضاً قول الشاعر:

وَكَذَلِكَ لَا خَيْرٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا شَرٌّ بِدَائِمٍ

رواه ابن الدهان هكذا^(٦)، وتابعه على ذلك ابن الأثير^(٧)، في حين أنه في جميع ما وقفت عليه من المصادر:

وَكَذَلِكَ لَا خَيْرٍ وَلَا شَرٌّ عَلَى أَحَدٍ بِدَائِمٍ

٤- ومثله أيضاً قول رؤبة:

فَلَا أَرَى بَعْلًا وَلَا حَلَالًا كَهَا وَلَا كَهْنًا إِلَّا حَائِلًا

كذا رواه ابن الدهان^(٨)، في حين أن المصادر أجمعت^(٩) على:

كهو ولا كهنٌ إلا حازلاً

وتابعه ابن الأثير في رواية (حائلاً)^(١٠).

الثانية: النقل عن الغرة.

(١) الأنبياء: ٥٠.

(٢) انظر: ٦٨٨.

(٣) انظر: البديع ٣٢٠/٢/١.

(٤) انظر: ٧٣٥.

(٥) انظر: البديع ٣٤٤/٢/١-٣٤٥.

(٦) انظر: ٢٦٨.

(٧) انظر: البديع ٥٨٢/٢/١.

(٨) انظر: ٦٠٩.

(٩) سوى نسخ من شرح الكافية للرضي أشار إليها المحقق. انظر: ١٢٢٥/٢/٢ هامش (٣).

(١٠) انظر: البديع ٢٨/١/٢.

نقل كثير ممن جاء بعد ابن الدهان عن الغرة، فممن نقل عنها:

- ١- ابن الخباز في توجيه اللمع^(١).
 - ٢- ابن القواس عبد العزيز بن جمعة الموصلي في شرح كافية ابن الحاجب^(٢)، وشرح ألفية ابن معط^(٣).
 - ٣- أبو حيان في التذييل والتكميل^(٤)، وارتشاف الضرب^(٥).
 - ٤- ابن هشام في مغني اللبيب^(٦)، وأوضح المسالك^(٧).
 - ٥- الزركشي في البحر المحيط^(٨).
 - ٦- الأشموني في شرح الألفية^(٩).
 - ٧- خالد الأزهرى في التصريح^(١٠).
 - ٨- السيوطي، في همع الهوامع^(١١)، والمزهر^(١٢).
- وقد نقل عن ابن الدهان جمع من العلماء من غير الغرة، أو من مواضع لم أقف عليها في الغرة، ومن أولئك:

- ١- الرضي في شرح الكافية^(١٣).
- ٢- شهاب الدين القرافي في الاستغناء في أحكام الاستثناء، نقل عن شرح الإيضاح^(١٤).
- ٣- ابن النحاس في تعليقاته، فقد نقل عن شرح الإيضاح^(١).

(١) انظر: ص ٢٤٢.

(٢) انظر: ٦٦٤/٢.

(٣) انظر: ٣٠٩/١، ٧٧٩.

(٤) انظر: ٢٤٥/٢، ٥٥/٤، ٩٢، ١٤٢، ١٥٠، ١٨٤، ٢٦٠، ١٥٦/٥...

(٥) نقل عن الغرة أكثر من ثلاثين نقلاً. انظر: فهرس الكتب في ارتشاف الضرب ٢٥٤٦/٥.

(٦) انظر: ص ٥٥١.

(٧) انظر: ٣٤٦/١.

(٨) نقل عنها أربعة نقول. انظر الفهارس ٥٥٦/٦.

(٩) مع الصبان ٢٢٧/٣.

(١٠) انظر: ١٣٠/٢، ٢٨٣/٥.

(١١) فقد نقل عنها أكثر من ثمانية نقول، انظر على سبيل المثال: ١٢٤/١، ١٣٤، ١٥٤، ٢٠٩، ١٨٥/٢.

(١٢) انظر: ٤٢٤/١.

(١٣) انظر: ١٥١٠/٢/٢.

(١٤) نقل عنه سبعة نقول، انظر: ١٣١، ١٤٦، ١٦٣، ١٨٤، ٢١٦، ٣٤٣.

٤- أبو حيان في تذكرة النحاة، نقل عن شرح الإيضاح أيضاً^(٢).

٥- الشاطبي في المقاصد الشافية^(٣).

فهذا ما تيسر الوقوف عليه من ميزات هذا الكتاب، وأثره الظاهر فيمن جاء بعده، ومن المآخذ اليسيرة، غير المتكررة، التي لا تغض من شأن هذا العلم وكتابه الكبير، وهذه الأمثلة تشعر بقيمته العلمية العالية، التي تؤهله لأن يكون مرجعاً مفيداً لطلاب العلم، ومجالاً خصباً للدراسات والبحوث العلمية.

(١) انظر: الفهارس ١١٦٩/٢.

(٢) انظر: ٣٤٢، ٣٥٦، ٣٦٠، ٦٥١.

(٣) انظر: ٥٠١/٤.

الخاتمة

الفكر مجموعة لمعارف ورؤى وتصورات واعتقادات، وقدرات شخصية، في الإدراك والتحليل والتعبير، والناظر فيه للدراسة والبحث، لا يمكن أن يصل - في الغالب - إلى نتائج مرضية، إلا بعد طول استبصار ومزيد تأمل، واستجماع القوى لاستقصاء مادة الدراسة، وتدقيق الملاحظة فيها، وفيما يتصل بها من قريب وبعيد، ولذا فالباحث في الفكر معرض للوهم والنقص، وتخلف الدقة، مما يكون سبباً في اختلال النتيجة.

وبعد هذه الفصول وما سبقها من تمهيد، لا أزعج أي قد وفيت الدراسة حقها، ولا أي قد وصلت إلى نتائج قطعية غير مدخولة، ولكن حسبي أي قد اجتهدت، والله المستعان. ويمكنني أن أخص أهم النتائج التي خرجتُ بها في هذه الدراسة، في الآتي:

١ - أهمية المعنى في البحث النحوي، فهو المعتمد في غالب القضايا، وعليه المعوّل في الاستشهاد، وقبول وجه الاستشهاد معلقٌ على صحة المعنى، كما أنه معيارٌ لصحة التوجيه، عند وجود إشكال أو ما يوهم بالإشكال.

والمعنى ذو أثر في العلة النحوية، فكثير من العلل ترجع إلى المحافظة على المعنى، وبقائه واضحاً غير مشكل، كعلة رفع اللبس، وبعض صور علة الفرق، أما الحمل على المعنى فهو أساس في العلة، وبعض أنواع القياس.

وقد تبين في هذا البحث أنَّ العامل النحوي يرجع إلى نظرة معنوية، أدركها النحويون في كلام العرب، ونسبوا العمل لها، على اختلاف بينهم في التعبير والاصطلاح، وما كانت دعاوى إغراق العامل النحوي في المنطق، والاتهامات التي وجهت إليه إلا نظراً مبالغاً فيه، غير مُعادٍ فيه إلى أصوله المعنوية، التي لو رُوِّعيت لتقلص كثير من تلك الدعاوى.

وقد كان للمعنى أثر واضح في فكر ابن الدهان، وقد بيّنت الدراسة كيف عُني به، فجعله أساساً في استخلاص القواعد من النصوص، وفي الموازنة بين الأقوال ترجيحاً واعتراضاً.

٢ - سيطرة فكرة الضبط والدقة على عقلية ابن الدهان، فاتسم بحثه بمظاهرها، من شدة العناية بالأصول النحوية، ودقة تطبيقها في البحث، ووتبع المسموع في مصادره، وتطلّب شواهد ما عثر عليها من سبقوه، واستبعاد الضعيف والشاذ من أن يقبل للبناء عليه.

ومن مظاهر هذا الفكر، إيمانه العميق بالعلة، فيها تنضبط القواعد، وتنظم في سلك واحد، فاستصحب العلة في بحثه تقعيداً وترجيحاً واعتراضاً.

إلا أن ولعه بالعلة قاده إلى التناقض، إذ رفض علة كان قبلُ قد قبلها ووجهها، كما تكلف عللاً، في الوقت الذي رفض فيه غيرها بداعي التكلف والتعسف.

٣- تساوت الأقوال والمذاهب في أحقيّة البحث والمناقشة عند ابن الدهان، فلم يؤثر انتسابه لمذهب أن يقصي المذهب الآخر، ولا تعظيمه لعالم أن يتجاهل من خالفه، ولا شرحه لمن أن يقف مع صاحبه غير ما أداه إليه اجتهاده من الإنصاف.

لقد كان مصرّحاً ببصريته، مختاراً لآراء البصريين في غالب الأحيان، إلا أنه مع ذلك حرص على عرض آراء الكوفيين، ومناقشتها، وإن ضعّفها قرنَ تضعيفه بدليله، أو يتركها دون ترجيح، وقد يختار شيئاً منها.

وإن رأى أن الأليق بالمقام ترك الرأي الآخر، اعتذر عن ذلك، إمّا بطلب الاختصار، وإما بغيره مما لا يشعر بانتقاص.

إنّ هذا التعامل مع الخلاف مظهر لسلامة المنهج، والحرص على الموضوعية، مما يؤهّل أحكامه لأن تكون أكثر دقة وإتقاناً.

وبناءً على هذه النتيجة، فإنّ من الجدير أن تُوجّه الدراسات النحوية إلى البحث عن النحويين الذين تخلّصوا من علامات التقليد والتعصب البارزة، ثم دراسة آرائهم، وموازنتها بأولئك الذين أثر التعصب فيهم ظاهر، فقد توصل تلك الدراسات إلى نتائج مفيدة.

٤- الناظر في الغرة يجد من أهم ميزاته عدم الاستطراد في موضوع أجني، وندرته في مسائل ذات علاقة بالموضوع، فتجد البحث في غاية الإحكام، لا تكاد تجد فيه ما يمكن أن تحذفه لعدم مناسبته.

وعباراته علميّة خالصة، غير مثقلة بمحسنات لفظية أو معنوية، وبالمقابل تجدها نظيفة من الإقذاع أو النقائص، أو ذكر ما يخل بالأدب، ولو من جهة بعيدة.

كل هذا، إنما كان نتيجة للموضوعية، التي تشكّلت عن فكر جاد، وشخصيّة متّزنة.

القسم الثاني: التحقيق.

أولاً: توثيق نسبة الكتاب

أجمعت كتب التراجم التي ترجمت لابن الدهان على أن له شرحاً للمع، اسمه: الغرة^(١).

وهذا المخطوط الذي بين أيدينا، هو ذلك الكتاب، يدل على ذلك عدة أمور:

١- وجود نصوص في النسخ تنص على ذلك، أو تدل عليه، فمن ذلك:

أ- ما جاء في آخر الورقة ٧٣ أ من نسخة كوبريللي: «تم الجزء الأول من كتاب الغرة من شرح المع، تصنيف: ناصح الدين تاج الأئمة أبي محمد سعيد بن المبارك بن علي الدهان النحوي رحمه الله وغفر له».

ب- آخر نسخة التيمورية: «تم الجزء الثاني من الغرة، وهو شرح المع».

ج- في الورقة ٢٥ ب من النسخة الأزهرية: «قال الشيخ الإمام العالم ناصح الدين...» وهذه النسخة وُضِعَ (قال الشيخ) بدل (قال سعيد) في كل موضع، وفي هذا الموضع ذكر لقبه.

٢- وجود النصوص المنقولة عن الغرة في هذا الكتاب، فمن ذلك:

أ- قول أبي حيان في التذييل والتكميل: «وفي الغرة: تكتفي (ليت) بأن مع الاسم، ولا تكتفي بأن مع الفعل عند المحققين، كذا نص ابن السراج، وهما مصدران، وذلك لظهور الخبر مع (أن)»^(٢).

وهذا النص بلفظه في الغرة: «وهنا نُكْتَةُ لطيفة، وهو أن (ليت) تكتفي بأن مع الاسم...»^(٣).

ب- قوله أيضاً في الارتشاف: «وفي الغرة: وتقول في: إن زيدا لما لينطلقن: إن الأولى لأن الثانية للقسم، وزيدت (ما) فيه فاصلة»^(٤). وهو بلفظه في الغرة^(٥).

(١) انظر: إنباه الرواة ٥٠/٢، ومعجم الأدباء ١٣٧١/٣، ووفيات الأعيان ٣٨٢/٢.

(٢) ١٥٦/٥.

(٣) الغرة ٦٢ أ.

(٤) ١٢٦٦/٣.

(٥) الغرة ٦٠ ب.

٣- وجود ما نسب لابن الدهان من آراء دون تصريح بالغرة، في هذا الكتاب.
وقد ذكرت أمثلة لذلك في المبحث الثالث من الفصل التاسع.

ثانياً: منهج التحقيق.

وهو المنهج المتبع في تحقيق المخطوطات، من نسخ المخطوط، ومقابلة النسخ، وتخريج الشواهد، وتوثيق النقول، والتعليق على ما يحتاج إلى تعليق من المسائل، ثم عمل الفهارس الفنية.

ثالثاً: وصف النسخ:

للكتاب أربع نسخ خطية، الذي يهمني منها ثلاث، إذ إن الرابعة لا يدخل شيء منها في الأبواب التي هي ضمن التحقيق.

النسخة الأولى: نسخة كوبريللي (رقمها ١٤٩٥)، وعدد أوراقها (١٥٣) ورقة، في كل صفحة اثنان وثلاثون سطراً، وفي السطر خمس عشرة كلمة، تبدأ من أول الكتاب، إلى أوائل باب النداء، وفيها سقطان:

الأول: في باب النعت بعد نهاية الورقة ٣٢ ب، ومقداره أربع ورقات، ينتهي بعد عدة أسطر من باب التوكيد، والترقيم متواصل.

الثاني: من آخر باب التوكيد، حتى أوائل باب النكرة والمعرفة، ومقداره عشر ورقات تقريباً، وموضع هذا السقط أبواب من أول الكتاب (باب الاسم المعتل) وما بعده، بترقيم متواصل.

والداخل في موضوعي من أول باب إن وأخواتها ورقة ٥٦ ب حتى السقط الثاني الواقع في باب التوكيد ١٣٥ ب، ومقداره (٧٩) ورقة.

ولم أعر على تاريخ نسخها، ولا ناسخها، وإنما وجد في آخرها: «استنسخها لنفسه محمد بن محمد بن عبد العزيز التجيبي الشاطبي، عفا الله عنه وعن والديه وعن المسلمين أجمعين».

النسخة الثانية: نسخة التيمورية، (رقمها ١٧١ نحو) وعدد صفحاتها (٥٣٦) صفحة، في كل صفحة سبعة عشر سطراً، وفي السطر عشر كلمات. تبدأ من أول باب المفعول به، وتنتهي بأول باب النداء.

وناسخها هو علي بن محمد بن أب القسم، وتاريخ النسخ عاشر ربيع الأول سنة أربع عشرة وستمائة (٦١٤هـ).

والداخل في الجزء المراد تحقيقه من أولها حتى نهاية باب العطف. ومقداره (٢٣٥) ورقة، ويوجد فيها تقديم وتأخير في الصفحات، وذلك في ثلاثة مواضع:

الأول: بعد صفحة ٣٦، إذ يأتي بعدها صفحة ١٩٩، حتى ٢١٩، فبعد ٢١٨: ٣٧.

والثاني بعد: ٣٢٠، إذ يأتي بعدها صفحة: ٣٤١ حتى: ٣٨٠، وبعدها ٣٢١.

والثالث بعد ٣٤٠، إذ يأتي بعدها: ٣٨١.

النسخة الثالثة: نسخة الأزهر، (بلا رقم) وعدد أوراقها (٢٣٥) ورقة، في كل صفحة سبعة عشر سطراً، وفي السطر عشر كلمات. تبدأ من باب إن وأخواتها حتى قبيل نهاية باب العطف، وقد سقط من أول باب (إن وأخواتها) قرابة ٦ أسطر، وكل هذه النسخة داخلة في الجزء المراد تحقيقه.

إلا أن هذه النسخة كثيرة الأسقاط، ولذا لم أثبت فروقها، إلا ما كان زيادة مفيدة، فأثبتته بين معقوفين.

وأعتقد أن هذه النسخة كالاختصار للكتاب؛ لأن أسقاطها منتقاة، والساقط فقرات كاملة، بحيث إن الكلام في غالب الأحيان لا يختل بذلك السقط.

وهذه النسخة مبتورة من أولها وآخرها، وليس فيها ما يفيد شيئاً عن ناسخها، إلا أنه لا يقول: (قال سعيد)، وإنما أبدل بها: (قال الشيخ)، فلعله كان أحد تلاميذه.

الغُرَّةُ

في شرح اللُّمَعِ

(من أول باب (إنَّ) وأخواتها إلى آخر باب العطف)

تأليف

أبي محمد سعيد بن المبارك بن الدَّهَّان (ت ٥٦٩هـ)